أحمد عبد الغفور عطار



الناشر
المؤسسة العربية للطباعة
جـدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــــداء

الى أبنـــاء وطنى المشـــتغلين باللغـــة وذوى الغـيرة عليـــها ٠

والى الـذين أســـهموا في خدمـــة لغـة القرآن بجهودهم وأموالهم ٠

الى محمد سرور الصبان وعبد القدوس الانصارى والسيد حسن الشربتـلى ٠

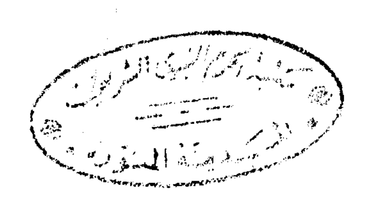
والى « المؤسسة العربية للطبـــاعة بجدة » التى أنفقت على طبع الكتاب ونشره ٠

والى القراء الكرام الذين تتبعوا آرائى ودراساتى وكتبوا الى أو كتبوا في الصحف ممن غابت أسماؤهم عن ذاكرتى التى لم تحتـــفظ الا بأســـماء بعضهم وهـــم الاساتذة : أحمد المحمد الصائغ ، وابراهيم بن سيف ، وعثمان الصالح ، ومحمد الدخيـــل ، وعبد الفتـــاح أبو مدين ، وأحمـــد ابراهيم الغزاوى ، والاب مرمرجى الدومينيكى ، وعبد السلام محمد هارون ٠

الى هؤلاء جميعا ، والى كل غيور على لغة القرآن أهدى هذا الكتاب ٠

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

١٢ ربيع الأول ١٣٨٤ هـ
٢٠ يوليو (تموز) ١٩٦٤ م



مقدمـــة

ترجع عنايتى باللغة العربية الى عهد طلب العلم بالمدارس ، وأول أثر لى يدل على هذه العناية « محاضرة » ألقيتها على زملائى الطلبة سنة ١٣٥٢ هـ ثم نشرتها في مؤلفى المسمى « كتابى » المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ بمطبعة أم القرى بمكة حرسها الله ، وعنوانها «تجديد اللغة » وشغلت منه خمس صفحات (٤٧ـ٥١) .

ومن الآراء التى رأيتها ما أنقله بنصه دون أن أغير فيه حرفا وها هى ذى :

« استعمال الالفاظ التى تلائم الذوق ولا تنبو على السمع ولا تثقل اللسان » .

و « استعمال الفصيح والاكثار منه في كتاباتنا » .

و « وهى (أى الالفاظ) في تجديدها خاضعة لنواميس الحياة ككل شيء ، قابلة للتجديد والتغيير ، يتأثر بالمحيط والوسط والسياسة والاجتماع والتقدم » .

و « في اختيار الالفاظ ذوق خاص لكل أمة تصطفى ما يناسبها ويمج ما تستثقله وتكرهه منها » .

و « أهم واجب يؤدونه للعربية وهو خلق الالفاظ خلقا جديدا ، وايجادها من جهة الاشتقاق أو زيادة حرف أو حذف أو وصل الكلمة بسابقة أو لاحقة ، وان تساير الحياة العصرية بكل ما فيها من علم وفن ومعنى وشكل ، ومخترعات وصناعات ، وأن تشمل المسميات كل حاجات العصر » .

و « العربية أكثر اللغات عددا في الالفاظ ، وأنها تتعدى الملايين ، ومع هذه الثروة الضخمة نقف مكتوفي الايدى لا نبدى نشاطا ولا نظهر قوة حتى نجعل هذا العدد الهائل من الالفاظ يتناول جميع أغراض الحياة » .

و « لو قدر لأحد الأدباء ـ وكثيرا ما قدر ـ زيارة المدن الغربية

وولج دور المتاحف والآثار وشاهد بهـــا أنواع الحيوانات الكبيرة والدنيئة وصنوف النباتات المتنوعة ، وضروب المعادن ، ومسميات الاعضاء المختلفة ، والعلوم ، والمعـــارف ، وقصد أن ينقل لأبناء جنسه ما في تلك الأمة من حضارة وأدب بواسطة الالفاظ ٠ مـاذا يفعل ؟ ألا يرى نفسه منعقد اللسان قاصر التعبير ؟ يرى كل شيء عـلى ضـوء الحيـــاة الحرة ثم لا يسـعه التعـبير الا بالاشـــارات والكيف والوصف » ٠

و « أيغني أن نقول : العربية واسـعة غزيرة المـــادة ، ومن غزارتها جعلت للسيف ألف اسم وللبعـــير خمسـمائة وللقط مئة ومـا يزيد عن خمسـمائة لليث ؟ ولا يغني كل ذلـك شـيئا بل من الخزى أن ندعى هـذا ونحن عـاجزون عن صـوغ وخلق ألفاظ لمبتــكرات الحيـــاة » ٠

وما زلت منذ ذلك العهد الذى مر عليه أكثر من ثلاثين سنة وأنا أدعو الى نصر العربية وتأييدها وحمايتها وحراستها وتنميتها واربائها دون أن نجد للدعوة أثرا مذكورا ، ولشـــد ما يملأ قلبى حزنا أن بلادنا التى هى أصل العربية وموطنها لم تعن بها ، كـأن لغة القرآن لا تهمنا ، واهمالنا اياها يفسر نظرتنا اليها ، وهى نظرة تجـــــاهل وازدراء ٠

لغة قرآننـــا وديننـــا ووطننـــا نهملهـــا ، بل نسرف في هدمها وننصرف الى لغات غريبة عنا نتولاها بالاهتمام والرعاية والاكبار ٠

وأنا لا أعادى لغة من اللغات ، بل أطلب أن نعنى باللغات الكبيرة الحية ، ولكن على أن تكون عنايتنا بلغتنا أكبر ٠

وفي الوقت الذى نمعن في تحقير لغتنا نجد الغرباء عنها يوالونها ويقدسونها ويؤلفون فيها دراسات ومعجمات ٠

نحن مسئولون ، ولكن أين من يقدر التبعة ؟ حتى الوزارات منصرفة عنه كل الانصراف ، ليس لدينـــا معجم من تأليفنـــــا ، ولم تشارك أى وزارة في المصطلحات العلمية التى تحتاج اليها ، مع أن

نظائرها من الوزارات في البلدان العربية مهتمة بلغة القرآن ، فوزارة البترول العراقية ـ مثلا ـ مهتمة بالمصطلحات البترولية ·

وما الدراسات التى تولت الدولة الانفاق عليها أو شجعت المشتغلين بها ؟ لا شيء من ذلك ·

ان معجما علميا صغيرا أمريكيا كلف الدولة مئات الالوف من الدولارات ، والمادة الواحدة في المعجم الروسى الشيوعى تكلف حوالى مائة جنيه ، ونحن لا ننفق شيئا في هذا السبيل ·

وكل ما أنفق في سبيل كرامة اللغة العربية وخدمتها لم يتجاوز حدود أفراد معدودين ، فعبد القدوس الانصارى العلامة اللغوى ألف كتيبا صغيرا منذ ثلاثين سنة سماه « اصلاح لغة الكتابة والعلم » أنفق على طبعه ونشره من جيبه ، من قوت نفسه وأسرته ·

ومحمد سرور الصبان أنفق على نشر « تهذيب الصحاح » للزنجانى و « غريب القرآن » لمخلوف آلاف الجنيهات ·

والسيد حسن عباس شربتلى أنفق على نشر « الصحاح » في سبع مجلدات ، و « مقدمة تهذيب اللغة » للامام الازهرى و « ليس في كلام العرب » لابن خالويه ·

وأنا نفسى أنفقت على نشر بعض دراساتى اللغوية ·
وما أكثر ما اقترحت ورأيت ولكن أين من يجيب ؟

وأشارك اليوم بجهدى الادبى فأخرج للقراء كتابى هذا « آراء في اللغة » اسهاما منى في خدمة لغة القرآن واستمرارا في هذه الخدمة التى بدأتها منذ أكثر من ثلاثين سنة ·

وعندما عدت لآرائى القديمة في تجديد اللغة واصلاحها وخدمتها وجدتها هى آرائى الآن بعد هذا الزمن الطويل ، ومرد

ذلك الى أن تلك الآراء لم تكن الا ثمرة دراسة وفهم ، وما رأيته ما يزال في حاجة الى التنفيذ .

وفي كتابي هذا آراء ومقترحات ودراسات لغوية أرجو أن تثمر النفع ، وأود من الدولة المسئولة عن القرآن والدين ولغتهما أن تجعل في « ميزانيتها » الضخمة « بندا » لخدمة العربية فتؤدى واجبا مفروضا عليها .

وهذه الآراء والكلمات التى يضمها الكتاب سبق نشرها في صحفنا وبخاصة في جريدة « عكاظ » التى كنت أملكها ، جمعها صديق ودفع بها الى لأنشرها في كتاب حفظا لها من الضياع ، وتعميما للفائدة المتوخاة ، وأرجو أن يتحقق ما صمد له وصمدت . وصلى الله على خير خلقه محمد ، وحمداً لله عز وجل أعظم الحمد ، ومنه نطلب العون .

١٢ ربيع الأول ١٣٦٤ هـ
٢٠ يوليو (تموز) ١٩٦٤ م

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

اللغة الانسانية

ما اللغة ؟ أهى أصوات مكونة من حروف تعبر عن الفكر والشعور ؟ أهى حقا للتعبير عن الفكر ؟ أهى حقا للتعبير عن الشعور ؟ كل ذلك جائز ، ولكن يجوز ـ أيضا ـ أن نطعن في دقة التعريف أو نتهم التعريف بالخلل وفقدان الاحكام منه ، فأى فكر وراء هذا الكلام الفارغ الذى نزجى به أوقاتنا ؟ وما الفكر الذى يعبر عنه بضعة أطفال ـ أو رجال ـ يثرثرون ؟ وما الفكر الذي يراد التعبير عنه عندما يتقابل غريبان في حجرة قطار فيحيى أحدهما الآخر؟

ما اللغة ؟ أهى وسيلة التفاهم بين المتحدثين بها ؟ أهى وساطة الصلة بين الناس ؟ أهى أداة الافصاح والابانة ؟

أهى هذه الكلمات التى نتخذها للتفاهم بيننا وبين الآخرين والافصاح بوساطتها عن رغبتنا وحاجتنا ؟ كل هذا جائز ، ولكن الذى لايجوز هو أن نجعل أحد هذه الاشياء أو جميعها تعريفا جامعا مانعا للغة ، لان اللغة أكبر من هذه التعريفات وأكثر شمولا لاشياء لم تستطع التعريفات أن تزويها في حدودها الضيقة .

ومادة « لغا » اللغوية ، تفيد الكلام الجيد وغيره مما لا يعتد به.

فاللغة ـ على هذا ـ تشمل المفيد من الكلام وغيره .

والتعريفات التى أشرنا اليها ليست هى التعريف الجامع المانع، ولكنه بعض تعريفها الشائع المفهوم غير أن هناك ما يكمله حتى يكون التعريف أقرب الى الحق .

فاللغة جهاز من الرموز أو نسق من العلامات نرمز بها الى ما نريد أن نعبر عنه ونبلغه الى غيرنا ونوصله اليه ، وهى أصوات تنفذ من السمع ، أما الكتابة فلا صلة لها ـ في أساسها ـ بحقيقة اللغة ، لانها نشأت بعد نشوء الرسم ، وما نشأت الا للتدوين ، وما الكتابة الا رموز بوساطة الصور والرسوم لاشياء تدل عليها الصورة ، فنحن اذ نرى صورة انسان لا نحتاج الى من يعبر لنا

بالصوت حتى ندرك لان الصورة أفصحت لنا عن حقيقتها ، فاللغة أصوات لغوية .

ونقول أصوات لغوية لنبعد عنها الاصوات غير اللغوية مثل رنين الوتر وحفيف الشجر وخرير الماء وزئير الاسد ، والاصوات اللغوية هي التى تتكون من حروف تتألف منها كلمات ذات معنى ولا تتأتى هذه الاصوات اللغوية لغير الانسان .

فاللغة خصيصة انسانية لا يشاركه فيها أحد من غير الجنس الانسانى ، وهى غير قائمة على الغريزة أو صادرة عنها ، بل هى مسألة انسانية محض ، لانها ظاهرة المجتمع الانسانى التى لا تتصل بالغريزة رغبة في التفاهم بوساطة نظام من العلامات الدالة على أفكار الانسان ومشاعره .

والفارق الذى أشرنا اليه بين الاصوات اللغوية وغيرها هو الذى يوضح لنا سمات اللغة ومعالمها وان كان بعض العلماء جعل الغريزة احدى وسائل انشاء اللغة مستدلين على ذلك بأن الانسان اذا آده ثقل من الاثقال التى لا يطاق حملها تنبعث منه أصوات يفهم منها السامع مقصده .

غير أن الواقع يحملنا ألا نهتم بهذا الرأى ، لان هناك فرقا بين الصوت الذى يرسله المفجوع وبين كلامه ، فالحالة الاولى عمل حيوانى لا يدل على جنس العاطفة وهو عمل غير ارادى صدر من جيشانها ، فهو انبثاق من اضطراب الطاقة العاطفية أو طفح العاطفة ، أما الحالة الثانية فعمل انسانى لانه حدد نوع العاطفة ، وأعرب للسامع عن شخصية الحادثة .

وبعد هذا الفارق نستطيع أن نقول : ان اللغة كلمات تتكون من حروف حتى نبعد عنها الاصوات الحيوانية والطبيعية .

وما دمنا بسبيل البحث في اللغة فان آراء كثيرة تعترضنا ، وهى جديرة بالبحث والتفكير ، مثل التوقيف والاصطلاح ، فالعلماء اختلفوا في ذلك ، ولعل أول من قال بالتوقيف هو افلاطون وجاء بعده كثير من علماء الاسلام فقالوا : ان اللغة توقيفية ، ومن هؤلاء ابن عباس ،

وقد ألم السيوطى في المزهر بـآراء علماء المسـلمين ، وذكر براهين الفريقين : فريق القائلين بالتوقيف ، وفريق القائلين بالاصطلاح ، ولكن علماء الغرب أجمعوا عـلى أن اللغـة اصطلاحية ، وان كانوا مسبوقين الى هذا القول ، سبقهم كثير منعلماء المسلمين الذين ذكرهم السيوطى في مزهره ، ومن السهل التوفيق بين الرأيين بأن نقول : بعض اللغة توقيف لنخلص من الجدل العقيم ٠

وما دامت اللغة اصطلاحا فان من البداهة أن تكون ظـاهرة اجتماعية ، اذ لولا المجتمع لما كانت هناك حاجة اليها ، اذ ما جدوى الآدمى الشارد في الخلوات من اللغة اذا كان لا يجد من يخاطبه بها ، وما نشأت اللغة الا مع المجتمع الانسانى ٠

ولم تنشأ اللغة لان الانسـان زود بأعضـاء النطق كالحلق واللسان والحنجرة وغيرها ، بل لهذه الاعضاء وظائف غير لغوية ، ولو كانت وظيفتها اللغة لكان في وسع الطفل الذى ننتزعه ساعة مولده من المجتمع ونضعه في مكان لا يتصل فيه بانسان يخاطبه أن يتكلم ، ولكن المشاهد أن مثل هذا الطفل لا يستطيع أن ينطق باللغة ممـا يدل على أن اللغة ظاهرة اجتماعية دعت اليـها الحـاجة فتعلمهـا ، ونخلص من هذا الى أن اللغة اكتساب وعادة وتقليد ٠

وما ذكر في تعريف اللغة ليس كله يدخل في باب التعريف ، فبعضه وصف وظيفتها أو وصف عملها ، فقولهم في تعريفها : انهـا ظاهرة اجتماعية ليس الا اشارة الى سبب وجودها ، وقولهم : انهـا أداة التفاهم ، انما هو وصف عمل اللغة ٠

ولكن التعريف القريب الذى نطمئن اليه هو : ان اللغة أصوات مكونة من كلمات ذات معنى ٠ واللغة ـ على مـا قدمنـا ـ ظـاهرة اجتماعية وأداة مكتسبة ، فالمشى ـ مثلا ـ عمل عضوى ، أما الكلام فعمل اكتسابى غير غريزى ، والا لاستطاع الطفل أن يتكلم بالغريزة كما استطاع المشى بها ، والكلام غير اللغة ، فهو نشاط عضلى انسانى مصوغ من كلمات اللغة ٠

والبحث في نشأة اللغة ليس سهلا ، والمعروف عنها أنها نشأت

من المجتمع ، وسبقتها حالة لم تكن اللغة فيها مجموعة أصوات لغوية ، بل كانت أصواتا مبهمة حيوانية ، وأظن أن لغة الاشارات كانت أسبق من المفاهمة من الصوت الحيواني ، ثم استعان الصوت مع الاشارة ، ولعل سبب ذلك بعد المسافة بين المتفاهمين أو تعذر الشهود ، كأن يريد اثنان التفاهم ليلا وهما في كهف وهنا لا بد من الاستعانة بالصوت لانه مسموع ، أما الاشارة فلا ترى للظلام .

ولغة الاشارة لا تسمى لغة وان كان صاحبها يعرب بوساطتها عن رغباته ، لان من شروط اللغة أن تكون أصواتا لغوية .

وبعد هذا ننتقل الى اللغة العربية ونسأل : متى نشأت ؟ ولكن الجواب يكاد يكون متعذرا ، فنحن لا نعرف نشأتها الاولى ، ولا نجد مصادر تشير الى ذلك ، كما أننا نجهل الادوار التى مرت بها حتى انتهت الينا وهي لغة قوية حية .

انتهت العربية الينا كاملة النمو والنضج ، ولا بد أن هناك أدوارا مرت بها في مسيرها الطويل حتى استقام لها ما استقام من الحياة والزكاء ، لان من غير المعقول أن تولد لغة كاملة تامة ، وما دام الامر كذلك فان من الطبيعي أن اللغة العربية سارت في طريق التطور حتى أصبحت في بعض الفترات أقوى لغة على وجه الارض ، لا تكاد تقف في صفها لغة من اللغات ، فاللغة اليونانية كادت تموت ، والفارسية انزوت ، واللاتينية ماتت ، وكانت العربية لغة الدين والانسانية ، ولغة العلم والحضارة ، ولغة الاخلاق والفلسفة ، كانت لغة الاحياء والحياة .

والعقل يأبى قبول قول من يزعم أن العربية هكذا بدأت ونشأت ، فألفاظ الحضارة والزمن والموسيقى والغناء والترف والصناعة والحدادة لا تأتى للغة الا بعد مراحل كثيرة تتخلص فيها من البداوة وتأخذ بما يتاح لها من الجديد .

وان ما نشهد في الآثار البيانية للعصر الجاهلى من الرقى العقلى والترف العاطفى والتقدم الانسانى يقطع بأن اللغة العربية ما انتهت الى عرب الجاهلية الا بعد أن سارت في طريق طويل .

وهذا شأن اللغات جميعا .

وهناك دليل يثبت ذلك وان كنا في غنى عن ذكره لان الواقع وحده يؤكد كل التأكيد أن التطور سنة الحيـــاة ، ولا سبيل الى أن تنبثق اللغة فجأة كاملة تامة ، وهذا الدليـــل هو أن أداة التعريف وضمير المتكلم والغائب وكلمات النفى والنهى وتصريف الأفعـــال مشتركين بين اللغة العربية واللغة الاشـــورية التى تنسب اليهـا السريانية ، وهذا لا يحسب تاريخه بأقل من ألفى سنة قبل الميلاد ، والعربية في ذلك التاريخ لم تكن ناضجة كاملة كماكانت في العصر الجاهلى ، وتذكر المصادر العربية أن العربية الاولى كانت لغة عـاد وثمود وطسم وجديس وعمليق وجرهم من أولاد ارم بن سام وهـذه القبائل هى المعروفة في تاريخ العرب بالقبائل البائدة .

ونقول : العربية الاولى حتى لا يقـع في ظن أحـــد أنها كانت العربية الفصحى ، وان مما اتفق عليـه المؤرخـون من أهل الحجاز والمؤرخون المحدثون الى اليمن كانت مصـــدر العربيـة الاولى ، لان العاربة هم أهل اليمن ، ثم يليهم المستعربة ، ومن المقطوع به أن لغة اليمن عربية ، ولكنها ليست عربيتنا الفصحى ، يقول أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة الفصحى : « ما لســان حمير بلساننا ولا لغتهم لغتنا » ويقول : « ما عربية حمير بعربيتنا » .

وهذا يثبت أن لغة اليمن عربية ولكنه ينفى أن تكون عربيته مثل عربيتنا ولعل السبب أن لغة حمير كانت العربية عندما كـانت لغة بدائية ، حتى أنه ليخيل لاحدنا أنها مغايرة للغتنا ؟

اللغة العربية

هى احدى اللغات السامية وأقواها وأعظمها اطلاقا ، وهى من اللغات الحية التى كان لها الغلبة على كل لغات الارض حتى كانت أسير لغة وأقواها وأنضجها وأكثرها حياة ونماء ، وقد استطاعت العربية أن تكون لغة الانسان الذى بلغ في الرقى العقلى المرتبة التى لم تبلغها أرقى الامم في عصر الفصحى الذهبى الذى دان لها كل أمم البسيطة ذات الشهرة والمجد والحضارة .

ولقد قامت لغة العرب بكل مطالب الناطقين بها ، فوسعت التعبير عن كل شؤون الفكر والادب والحياة ، ولم تضق عن التعبير عن كل حالات الانسان النفسية والعاطفية وغيرها ، وقامت بحاجات المجتمع الانسانى الديناميكى الذى قاد الحضارة والانسانية قرونا .

هذه اللغة الكريمة استطاعت في ماضيها أن تجيب طلب كل انسان مهما بلغ رقيه العقلى ، ووفت بكل حاجات المجتمعات التى اتخذتها وسيلة تعبيرها عن آدابها وعلومها وفنونها وفلسفاتها وكل شؤون حياتها وجميع مطالبها وأحوالها ، وما تخلفت عن ركب الحضارة وموكب الزمن وقافلة الانسانية ، بل كانت مع كل هؤلاء تتقدم مع المتقدم ولا تتخلف مع من أغذ السير وسبق الزمن ، بل تماشيه وتتسع لكل مطالبه .

واللغة كائن حى ، فهو قابل أن يصح وأن يمرض ككل كائن حى ، وقبول الحى للمرض آية على شعوره واحساسه ، وعلامة على أنه يتمتع بالحياة ، والا لكان في عدد الجماد الذى لا يشب ولا يهرم ولا يصح ولا يسقم .

وما تزال العربية قابلة لان تجيب الانسان في العصر الحاضر الى كل مطالبه ، ولكن لا يطلب منها أن تمنحنا ما نطلب منها ، اذا لم نساعدها نحن على الحياة والعطاء ، فهى اذا بخلت في بعض الحقول فما هى بمهتمة أو ملومة ، بل نحن المتهمون الملومون وحدنا :

نلوم زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

ان العربية لغة حية متطورة ، ولكننا نحن جمدناها وأغلقنا كل باب في وجهها حتى جعلناها في غيابة محبس ضيق ، فاذا لم تجبنا الى ما نطلب فالتبعة علينا نحن لا عليها .

ان دراستي للغة العربية جعلتني مطمئنا الى أنها ما تزال اللغة الحية القوية المتطورة ، ومـا تزال متسعة للتعبير عن كل مطالب العصر الحديث وما جد فيه مما لم يعرفه من وضعوا اللغة منذ آلاف السنين ، بل أعتقد أن العربية مستعدة لكل مـا يطلب اليها ، ولن تضيق بأن مخترع حديث أو مبتكر جديد في الآداب والعلوم والفنون على اختلافها وكثرة ما تشعب منها وانشق عنها .

انها لا تضيق ولن تضيق مهما أسرفنا في الاخذ منها .

وما دامت اللغة ظاهرة اجتماعية فانها تابعة للمجتمع ، والمجتمع المتقدم المتطور يستطيع أن يحملها معه في تقدمه ووثبه وطفره .

يقول ابن النديم في الفهرست : « لم يزل ولد اسماعيل عـلى مر الزمان يشتقون الكلام بعضه من بعض ، ويضعون للاشياء أسماء كثيرة بحسب حدوث الاشياء الموجودات وظهورها » .

ومن المدهش ـ حقا ـ ان يدرك ابن النديم هذه الحقائق عـن اللغة ويسبق كل علماء اللغة في العصر الحاضر ، ويأتى بما يتفق مع أحدث الآراء في نشوء اللغة وتطورها وسـبيل غناها ، ويقف عـلى حقيقة جد هامة ، وهى : ان اللغة ظاهرة اجتمـاعية تسـمو بسمو المجتمع وتنحط بانحطاطه ، وأدرك قيمة الوضع للمحدث مما يخترعه العقل البشرى .

فاللغة العربية ليست جامدة في حقيقتها ، بل الذى جمدها هم أهلوها وهم وحدهم الذين حبسوها في قالب حـديدى لا تستطيع الخروج عنه ، ولو عرفوا ما عرف ابن النـديم لمـا اتهمت العربية بعجزها عن وضع اسـماء المسـميات الجـديدة ، وبتخلـفها عن اللغـات الحيـة .

ان العربية لا تتهم بهذا بعد أن ثبت غناها الذى لم يتح للغة

من لغات الارض فاذا أخذنا جسم الانســـان وعرضنــاه على اللغات جميعها لتسمية كل أجزائـــه وأعضائه وأصابعه وكل مـــا يحتويه لاذهلتنا العربية بما نجد لديها من ثراء واسع تنفرد به عن كل اللغات .

ان اللغة العربية وضعت لجسم الانسان ـ أعضــائه وأجزاء أعضائه ـ أكثر من ألف كلمة .

وفي الزمن وضعت لكل ساعة من ساعات النهار والليل أسماء ، بل بلغ ما وضعته للزمن وما يتصل به أو يدل عليه مئات الكلمات .

وفي الاشياء الجنسية وضعت آلاف الكلمات .

فاللغة التى تتسع لكل هذا لا تتهم بالضيق والعجز ، وكيف تتهم بذلك وقد وسعت كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووسعت آداب العرب وعلومهم وفلسفاتهم وفنـــونهم وحضاراتهم ؟ ووسعت مطالب الانسان كلها عندما كان هذا الانسان سيد الارض وســـكانها .

أهدى للرشيد فرس جميل أصيل ، وكان بحضرته الاصمعى وغيره فشرط الرشيد على الاصمعى أن يسمى كـــل عضو في الفرس ويأخذه ، ونهض الاصــمعى فامســـك بالفرس يسميه عضوا عضوا وجزءا جزءا ، ويأتى على كل دقيق وجليل فيه مصادقا بكلام العرب .

فما نحن صانعون ، بل ما أنا صانع لو أن أحدا قدم لي سيارة وشرط علي شرط الرشيد على الاصمعى ؟ الذى أدين الله به أننى لا أستطيع أن أسمى من السيارة الا ما يستطيعه كل عامي أو أقل عامي .

فالعجز منى لا من اللغة العربية ، لانها لم تمنعنى أن أشتق أو أقيس أو أضـــع .

واذا أبيح للبدوى الجاهل أن يضع للجديد اسما فلماذا لا يباح للمثقف العلامة أن يكون له ما لذلك البدوى ؟

ان اللغة نملكها ولا تملكنا ، وما وضعنا اللغة الا لتعبر عـــن أنفسنا وأفكارنا وشعورنا وعن حياتنا وما يضطرب فيها من الخلائق التى لا عداد لها وعن كل شيء في وجودنا سواء أكان مادة أم معنى .

ان باب الاجتهاد والوضـــع يجب أن يكون مفتوحا حتى نزود

المعجم العربى الجديد ، وما الاشتقاق والقياس الا لتسهيل الوضع •

ان العرب أنفسهم تركوا كلمات عربية صحيحة فصيحة أصيلة لبعض الثقل فيها واستبدلوا بها كلمات معربة ، ويجب أن يكون لنا هذا الحق نفسه ، واللغة لا تمنعنا اياه ، بل تسعد اذا أمددناها بما يزيد في عمرها ويقوى روابطـها بالحيـاة المتـطورة ويكسبها القوة والحركـــة والنمـــاء •

عندما جاء الاسلام لم يقف فيما جاء بـه من عبادات وتشريع ونظم عند حدود الكلمات بمدلولاتها التى وضعت لها ، بل أخــذ كلمات وخرج بهاعن حدودها الاصيلة الى معان جديدة اصطلح عليها ، مثل الصلاة والسجود والصيام والنفاق والفسوق وغيرها •

بل العرب الجاهليون أنفسهم صنعوا هــذا الصنيع ، فكلمة « المجد » لم تكن عند وضعها بمعنى العزة والرفعة ، بل كانت ذات دلالة حسية ، فقد كان معنى المجد امتلاء بطن الابل من الشبع ، ولهذا قيل : مجدت الابل ، أى وقعت في مرعى كثير فشبعت •

ولكن العرب نقلوا هذه الدلالة الحسية الى دلالة معنوية •

وكذلك القول في كلمة « الكتاب » و « العقل » و « القرآن » ما كانت لتدل على ما تدل عليه الا بعد أن قام العرب قبل الاسلام بنقلها من الدلالات الحسية الى المعنوية رغبة في ارباء لغتهم ومضاعفة ثرواتها • فكلمة القرآن عندما وضع لفظها ما كانت تدل الا على حمل النـاقة ، تقول : قرأت النـاقة ، أى حمـلت • وقرأت الحـامل أى وضعت ، والمصدر : القرآن ، ثم نقله العرب من هـذا المعنى المادى المحسوس الى غيره فقالوا : قرأ زيد الكتاب قراءة وقرآنا ، أى نطق بالمكتوب فيه أو اطلع عليه ونظر فيه ، ثـم لمـا جاء الاســلام جعل للقرآن معنى خاصا اصطلح عليه •

وهذا الارباء اللغوى العظيم ما كان ليتم لولا أن العرب كانوا يدركون أنهم يملكون اللغة فهم أصحـــاب الحق الاصلاء في التصرف فيـــما يملـــكون •

أما نحن فقد وقفنا أمام اللغة وقفتنا أمـــام تمثال لا يتغير ،

وبذلك وقصنا أجنحتها ومنعناها من التصعيد والسمو ، وجعلناهـا لاصقة بالارض حتى علاها التراب •

فاللغة العربيـة كائن حي يقبـل ما يقبـله كـل كـائن حي ، ويجـوز عليـه مـا يجـوز عـلى الكائن الحي ، ولهـذا يجب ان نعاملها على هذا الاساس •

وطبيعة اللغة العربية نفسها تدفعنا الى أن نجدد فيها ونحدث ونضع ونشتق ونعرب ، وهي ـ بعد ـ تمتاز بالمرونة التى لا نلقاها في اللغات الحية الا قليلا فنحن لن نجد في لغة من لغات الارض كلمة يشتق من جذورها أكثر من مائة كلمة مثـل « علم » نستطيع أن نشتق منها مائة وعشرين كلمة •

وان بعض صيـغ الثـلاثى المجرد تأتى عـلى صور تختـلف باختلاف حركة العين ، مثل عند ، جاء فيه عند وعند وعند من بـاب كرم وفهم وفتح •

كل هذا يقيم الدليل على أن اللغة العربية سهلة مرنة متطورة ، وما حفظها لنا معما لقيت من حرب طاحنة الا مرونتها وقبولها للتطور، اذ لو لم تكن بها هـذه الخصائص لذهبت كما ذهبت أخواتها من اللغات السامية وغيرها ، ولكن اللغة العربية بقيت لانها لغة جديرة بالنماء والحياة •

والذى أضر بلغتنا عوامـل كثـيرة وقفت في طريقها وكبلتها وقيدتها حتى لم تستطع الحراك ولو أصاب لغة ما أصابت العربية لما استطاعت أن تصارع وتقاوم بل لكانت في عداد الموتى •

ومع هذا نجـد من قصـار النظر من يتـهم العربيـة بالعجز ، ويستدل على ذلك بأن اللغة العربية لم تستطع أن تحدث أسـماء المخترعات الحديثـة والمسـميات الجـديدة التى لـم يكن لهـا بهـا عهد سابق •

ولو كان الانصاف والحق مـا يصبو اليه المتهـمون لما وجهوا اتهامهم الى اللغة نفسها ، بـل لوجهوه الى الناطقين الذين جمدوها ووقفوها عند الحدود التى تركها عندها أصحابها الاصلاء •

ان الكلمات التى نستعملها هى نفسها كلمات القدامى ، والتراكيب نفسها هى الرواسم (الكليشيهات) التى أخذناها منهم ، فنحن لم نخدم اللغة ولم نستخدم « الرصيد » اللغوى استخداما ينميه ، بل قنعنا من « الرصيد » بجزء جد يسير ٠

اننا نحن الملومون في ضيق العربية عن ايجاد أسماء المسميات الحديثة ٠

ويجب أن نتجه الى العوامل التى وقفت في وجه نمو اللغة العربية ونتولاها بالدراسة والنقد والبحث ، لنعرف حقائقها ونستعد لها بما يقضي عليها ، فاذا وفقنا لذلك نكون قد بدأنا أول خطوة لتنمية اللغة العربية وأخذنا الاهبة لدفعها في طريق الحياة الجديدة ؟

* * *

الاهتمام بالعربية

اهتمام الامم بلغاتها أمر طبيعي ، ويزداد عندما تقوى الامة ، ويقال : ان أول عناية وجهت الى اللغة العربية هي عناية يعرب بن قحطان ، وقيل : انه أول متكلم بها ، وقيل : انه كان من سلاطين اليمن ، وجد ملوك حمير ، ولسنا بسبيل البحث في هذه « المعلومات » التاريخية التي لم تصل الى درجة اليقين والثبوت ، بل نستأنس بما قيل من أن يعرب بن قحطان أول من تولى تنقيح العربية لنستدل به على ما لو فقدناه ما قدم من البحث شيئا أو أخر عنه شيئا ، لاننا لم نقصد الى تحديد أزمان وذكر أوليات الا اذا كان في دراستها ما يقوم عليه بناء البحث الذي نريده .

واذا صح أن يعرب بن قحطان أول من تولى العناية باللغة العربية وتنقيحها فان من الثابت أن عربية يعرب أو حمير لم تكن عربيتنا كما قال أبو عمرو بن العلاء ، وعربية حمير لم تكن الفصحى التي نشهدها في الآثار والصور البيانية التي انتهت الينا من العصر الجاهلي وما بعده من عصور الاحتجاج .

وكانت عناية العرب في جاهليتهم بلغتهم شديدة ، والاسواق التي كانوا يحضرون اليها ويتناشدون فيها الاشعار ويقفون على أحوالهم الاجتماعية وغيرها مما يدخل في العناية ، لان القبائل كانت تقدم الى الاسواق ومعها شعراؤها الذين يعربون من مفاخرها ويتطولون بأمجادها ، وكان الشعراء يتخيرون الاساليب القوية والالفاظ الفصيحة والمعاني البليغة ، حتى قيل ان زهيرا كان ينظم القصيدة ولا يرسلها الا بعد أن يرضى عنها كل الرضى ، وما يرضى الا بعد أن يقضي حولا كاملا في تهذيبها وتنقيحها .

وكانت الفصاحة أعظم مفاخر العربي ، ولهذا كانت معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم « القرآن » يتحدى بفصاحته فصاحة

العرب الألى كـــانوا لا يرون مفـــخرة تســـاويها أو تصـــعد الى ذروتهـا العليـا .

وما يحرص الانسان حرصه على ما يراه مفخرته ، فالعرب كانوا في جاهليتهم شديدى العناية بالعربية غير أن هذه العنـــاية عظمت عندما جاء الاسلام ، لان النظرة الاولى التى كان ينظرها الجاهليون الى اللغة لم تتغير ، بل أضيفت بمجىء الاسلام الى اللغة نظرة تقديس جديدة ، لان المسلمين رأوا القرآن نزل من السماء بلغة العرب ، ولولا نفاستها ما اختارها القرآن ونزل بها ، ورأوا أن لسان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم العربية ، ورأوها لغة الدين الجديد .

كل هذا جعل المسلمين يبالغون في العناية بلغة القرآن ، فلم تعد لغة الجاهلية ولا لغة المشركين وان كانوا شركاءهم في النطق بها واخوانهم في الانتساب اليها .

وكان المسلمون شديدى الغيرة على العربية الفصحى ، أسوة برسول الله ، فقد لحن بحضرته أحد الصحابة فقـــال لصحابته : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » والارشاد والضلال كافيان للدلالة عـلى عظم الذنب وفدحه ، والا لما سمى اللحن ضلالا ، والارشاد ايصـــال الرشد ، والرشـــد ضد الغى .

وورد عمر بن الخـــطاب رضى الله عنـــه خطاب من أبى موسى الاشعرى جاءفيه : « من أبو موسى الاشعرى » فغضب عمر من لحن كاتب أبى موسى ، وكتب اليه : قنع كاتبك سوطا ، والتقنيع : علو الرأس بالسوط ، ولو كان سيدنا عمر مثل أكثرنا لأجاز ابقاء الاسماء الخمسة على حالة واحدة في جميع التراكيب على بعض اللغات ، ولكن عمر ما كان يحب الا الصحيح الذى لا شبهة فيه .

واعتبر سيدنا عمر اللحن اثما يعاقب صاحبه بالتقنيع ، وانه لعقاب حق ، وما أدرى لو كان سيدنا عمر بيننا ماذا كان يصنع مع ملايين اللاحنين من الرؤساء والمديرين والموظفـين ؟ أتراه يقنعهم ؟ مما لا شك فيه أنه كان يصنع معهم مـــا صنع مع كاتب أبى موسى الاشعرى ، ولاحتاج الى جيش يقوم بجزاء اللاحنين الخاطئين .

أليس ما صنع الرسول صلى الله عليه وسلم وصنع أبن الخطاب آية على الغيرة والحرص والعناية بالفصحى ؟

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « لأن أقرأ فاسقط أحب الى من أن أقرأ فالحن » •

كل هذا يدل على أنه صحب الاسلام العناية الكبرى باللغة ، حتى أنهم كانوا يمنعون ما تجيزه بعض اللغات ، ويتشددون في المنع، لانهم كانوا يعرفون للفصحى قدرها فلا يقبلون أن تجرح أو تخدش•

ثم ظهرت العناية في أثواب جديدة عندما ازداد الفتح الاسلامى ورسخ الدين الجديد ، فتخصص كثير من الأئمة في أصول اللغة وفروعها حتى يحتفظوا بقوتها وجمالها وصحتها ، فقام منهم من يحفظون التراث اللغوى ، ومن يضعون لها القواعد ، ومن يدافعون عنها ويذودون عدوان الدخيل عن رحابها الواسعة ، ومن يؤلفون المعاجم ، الى غير ذلك من ألوان العناية التى ما عرفتها لغة قديمة أو معاصرة للعربية في ذلك الزمن •

وعظمت العناية باللغة عندما اختلط العجم بالعرب ، وجاسوا خلال ديار العروبة واستوطنوها ، وبدأ الفساد يتسلل الى الفصحى حتى فسدت لغة المدن ، ومنع العلماء أخذ اللغة من أهل المدن وأسقطوا تلقينها منهم أو الاحتجاج بلسانهم وكلامهم ، ووجد أئمة العلماء من المشتغلين باللغة أنفسهم مضطرين الى الضرب في البادية والاختلاف الى سكانها ، رجاء أن يأخذوا الفصحى من أبنائها الاصلاء الذين لم تفسد لغتهم ولم تتكدر ألسنتهم بالعجمة حتى كانوا يفتخرون أنهم ضربوا في البادية وأخذوا عن أهلها •

ولا يستوعب هذا المقال ولا ما سبق من مقالات هذه السلسلة أسماء من ذهبوا الى البادية ، ولكن لا معدى لنا أن نشير الى بعض هؤلاء الذين حفظوا لنا التراث اللغوى ، ومنهم : الخليل بن أحمد ، رائد المعجمات العربية الاول دون منازع ، وخلف الاحمر ، ويونس ابن حبيب الضبى ، والكسائى ، والاصمعى ، والنضر بن شميل ، وأبو زيد الانصارى ، وابن دريد ، والازهرى ، والجوهرى، وغيرهم•

وكان منهج هؤلاء في تلقى اللغة وتدوينها منهجا علميا عسيرا ، وكانوا يتحرون كل التحرى ، وقد أشار الازهرى في مقدمة معجمه « تهذيب اللغة » الى ذلك فقال : « لم أودع كتابى هذا الا ما صح لى سماعا منهم (أى من العرب)أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت اليها معرفتى ، اللهم الا حروفا وجدتها لابن دريد وابن المظفر في كتابيهما فبينت شكى فيها وارتيابى بها » .

وكانوا كلهم ـ من ذكرت أسماءهم ـ كالازهرى في منهجه ، لا يأخذون اللغة الا سماعا من أصحابها الاصلاء ، ثم رواية عن الثقات ، أما الكتب فما كانوا يجعلونها كل اعتمادهم ، بل اذا كان المصنف ثقة ومعروف الخط فقد يأخذون منه بعد أن يقترن ما فيه بمعرفتهم الثاقبة .

بل كان التحرج يدفعهم كثيرا الى منع الفصيح اذا لم تصل اليهم مصادقة من كلام العرب كما منعوا استعمال « مستأهل » بمعنى مستحق وأهل و « شتان ما بينهما » مع أن « مستأهلا » فصيحة ، وتركيب شتان ما بينهما صحيح تؤيده مصادق من كلام العرب مما قطع بصحته .

ودفعتهم العناية باللغة الى الاحتفاء بالأعراب من أهل اللغة والفصاحة ، فكانوا يقدرونهم حق القدر ويبالغون في اكرامهم حتى يفيدوا منهم لغويا ، ومن هؤلاء الاعراب المشهورين بالفصاحة : أبو خيرة العدوى ، والخثعمى ، وأبو الدقيش ـ وكان من أفصح العرب وأبينهم ـ وأبو مهدية الاعرابى ، وأبو المنتجع ، وأبو طفيلة ، وأبو حياة بن لقيط ، وأبو البيداء الرياحى ، ومحمد بن عبد الملك الفقعسى ، وعبد الله بن عمرو بن أبى صبح ، وأبو مالك عمرو بن كركرة الاعرابى اللغوى صاحب النوادر ، وأبو الجاموس ثور بن يزيد ، وأبو سوار الغنوى ، وأبو ضمضم الكلابى ، وأبو ثؤابة الاسدى ، وأبو زياد الكلابى ، وأبو عرار العجلى، وعمرو بن عامر البهدلى الذى أخذ عنه الاصمعى ، وأبو شبل العقيلى ، وأبو ثروان العكلى ، وأبو فقعس ، وأبو دثار ، وأبو الجراح ، وهؤلاء الاربعة هم

الذين حكموا بين سيبويه والكسائى ، وأبو العميثل ، وعوسجة ، وأبو مسهر الاعرابى ، وأبو المضرحى ، والحرمازى ، وأبو الهيثم ، وأبو المجيب الربعى ، وأبو صاعد الكلابى ، وأبو الصعق العدوى ، والمفضل العنبرى ، ويزيد بن كثـوة ، وناهض بن ثومة الكلابى ، وأبو السمح الطائى ، وغيرهم كثير جد كثير .

وما كان أئمة اللغة العربية كالخليل والازهرى والجوهرى ، ليعنوا بهـؤلاء الاعراب الفصحـاء ويتتبعونهم ويرودون خيامهم ومضاربهم لولا الحرص على اللغة والعناية بها ، وما كانوا يحتفلون بهم لولا رغبتهم في أخذ اللغة عمن سلمت سلائقهم وألسـنتهم من الفساد ، واستقامت لهم الفصحى كل الاستقامة .

وكان أئمة العربية يسألون فصحاء الاعراب تصحيحا لاوهام أو تقويما لمعوج أو اسـتعانة بهم في بناء قواعد النحو والصرف ، ويلتمسون منهم الشواهد النحوية والصرفية واللغوية .

بل كان أئمة اللغة العربية يسرون أعظم السرور على نـادرة يتلقفونها من الاعراب ، حتى أن سرورهم لا يعدله سرور .

قال اعرابى لخـلف الاحمر بمحضر من أبى زيد الانصارى صاحب النوادر في اللغة : ما خير اللبن للمريض ؟ ـ بنصب خـير واللبن ـ فقـال خلف : مـا أحسـنها كلمـة لو لم تدنسـها باسماعها الناس .

وكان خلف ضنينا ، وكان يتمنى لو سمعها وحده من الاعرابى ولم يشاركه في السماع أبو زيد حتى يتفرد بروايتها ويعايى بهـا العلماء ويفـخر بهذه الكلمة التى أعجـب بهـا كل الاعجاب ، ولكن أبا زيد شاركه في السماع فأضاع عـلى خلف فرصة الاحتفاظ بهـا لنفسه مما أفقده شيئا كثيرا من اللذة فأسف كل الاسف وقـال كلمته التى تدل على فجيعته فيها .

ومعنى ما خير اللبن للمريض ، تعجب مثل قولك : ما أحسن اللبن للمريض .

واتصال أئمة اللغة بالاعراب ، واختلافهم الى البادية أعاناهم على تدوين اللغة وتأليف المعجمات وحفظ بنـاء العربية سليما من الخلل ، ونفى الدخيل وغير الفصيح وتصحيح الخاطىء .

وكان من مظاهر العناية البالغة بالفصحى انبراء طائفة كبيرة من أئمة العربية لتأليف الكتب في « اللحن » وأقاموا من أنفسهم حراسا على حرم العربية يذودون عنه كل دخيل يريد أن يتقحمه أو يتدسس اليه ، ولا يفترون عن النقد والتمحيص ، وتنبيه الناس الى الخطأ حتى يتجنبوه ، وردهم الى الصحيح حتى يلتزموه ، وألفوا كتبا وقفوها على بيان اللحن وحده ، ولعل أقدم مؤلف في هذا الباب الرسالة المنسوبة الى « الكسائى » واسمها « ما تلحن به العامة » .

وتبارى أئمة اللغة في تصنيف الكتب التى تبين « اللحن » ومن ذلك ما ألفه أبو عبيدة وأبو عثمان بكر بن محمد المازنى وأبو حاتم السجستانى وأبو حنيفة الدينورى وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الاشبيلى ، وكتب هؤلاء العلماء حملت اسما واحدا هو « لحن العامة » وكتاب أبى الهيذام كلاب بن حمزة العقيلى الحرانى واسمه « ما تلحن فيه العامة » وكتاب يحيى بن زياد الديلمى المعروف بالفراء وعنوانه « البهاء فيما تلحن فيه العامة » وكتاب أبى هلال العسكرى وهو « لحن الخاصة » .

وهناك عشرات الكتب في « اللحن » ألفها معاصرون لهؤلاء العلماء ، وما زال العلماء يؤلفون في هذا الموضوع حتى زماننا هذا .

ومن مظاهر العناية بالفصحى تصنيف العلماء كتبا في « المعربات » وأول كتاب علمى في هذا الباب كتاب « المعرب » للجواليقى .

ومن أعظم عناية العلماء بالفصحى تأليف المعجمات الضخمة الكبيرة التى تعد « دوائر معارف » .

ولولا العناية التى بذلها أئمة اللغة منذ العصر الاسلامى لما بقى التراث اللغوى سليما ، وقد استطاعوا أن يحفظوه لنا حتى انتهى الينا كما أحبوا ، وبقى علينا أن نقوم نحن بحفظه وأربائه واحيائه والافادة منه حتى تتلاقى جهودنا مع جهودهم ، ونعيد الى الفصحى دولتها وقوتها وعزتها ونجعلها لغة الحياة والاحياء ، ونخرجها من حدودها الضيقة ونعمل على أن تكون لغة حية قوية

لا تضيق بالجديد وبكل روافد العصر الحديث ، حتى نبعد عن لغة القرآن القالة السيئة والتهمة الشائنة بأنها لغة عجزت عن ايجـاد أسماء لمسميات حديثة ٠

ويجب أن تكون عنايتنا نحن أبناء هذا العصر من نوع جديد خاص ألا وهو أن نجعل العربية مرنة تتسع ـ كما كانت في الماضى ـ للحياة والاحياء ، وللوجود بما يضطرب عليه وما ينبثق عنـــه منه نتائج العقل والعلم ، وبغير ذلك لا يمكننا أن نخدم لغة القرآن التى يجب أن نعنى بها ونحرص عليها لان لغة الانسان قوامه وكيـــانه ووجـــوده وحيـــاته ٠

* * *

العامية

أقدم من الفصحى

اللغة العربية احدى اللغات السامية ، واللغات السامية المشهورة في القدم : الاكادية ، وهى الآشورية البابلية ، وتنسب الى أكاد Aeead وهو الاسم القديم للبلاد الواقعة ما بين النهرين ، وموقعها شمال بلاد الكلدانيين ، وكانت تسمى حينئذ « سومار » وكان يقطن أكاد في الالف الرابعة قبل الميلاد شعب سامي امتزج بأهل سومار (السوماريين) واندمج الشعبان حتى أصبحا أمة واحدة ، عرف بالشعب الآشورى البابلى ،وكان هؤلاء أصحاب علم وحضارة وتشريع ، ويكفى أن نعرف أن « حمورابى » من ملوكهم ، وحمورابى هو صاحب التشريع الذى سبق كل المشرعين بدقته وانسانيته ، وما تزال بعض الامم في عصرنا هذا ـ في أوروبا وآسيا وأمريكا ـ متخلفة في هذا السبيل عن عصر حمورابى في التشريع والقانون •

ومن اللغات السامية التى تنتمى اليها العربية : السامية الشرقية ، والسامية الغربية ، وهذه تنقسم الى العربية الشمالية والعربية الجنوبية ، أى العينية والسبئية والاثيوبية ، ومعها لهجات شتى ، بعضها قديم ، وبعضها حديث ، وكل تقسيم من هذه التقسيمات انما هو مسألة اصطلاح ، والتفرقة فيه أقل من التفرقة بين اللغات الهندية والجرمانية التى درسها الباحثون خلال القرن أو القرن والنصف الاخير ، اذ أن اللغات السامية ـ عدا الاكادية ـ تتقارب في الاجرومية والنطق ، بحيث تشترك كل لهجة وما جاورها، ولا يلحظ الانتقال من لهجة الى لهجة الا كما يلحظ مثل هذا الانتقال اليوم بين اللهجات الفرنسية والجرمانية ، ولما بدأ عصر الآباء العبريين عند مطلع الالف الثانية قبل الميلاد لم يكن الفرق بين اللغات يزيد على الفرق بين اللهجات العربية الاصيلة في هذه الايام(١) •

---

(١) ابو الانبياء للعقاد •

وما دامت اللغة العربية تنتمى الى السامية وتشترك مع أخوات لها فان من البداهة أن تتقارب مـــا ينمى منـــها الى سلالة واحدة ويتآلف ، وأن يكون بينها شــــبه من قريب أو بعــيد في الاصول اللغوية والقواعد ، وأن يتعاون بعضها مع بعض فتأخذ المحتـــاجة ما تحتاج اليه من قريباتها أو أخواتها ..

ويؤيد هذا ما نقله مرجليوت عن دسو Dussaud أن الاحافير النبطية التى ترجع الى القرن الثالث قبل الهجرة تدل على تقـارب شديد بين الآرامية والعربية الفصحى .

وقد لوحظ التقارب بين اللغات أو اللهجات العربية فيما هو أقدم من ذلك كثيرا بحيث لا يحسب تاريخه بأقل من ألفى ســـنة قبل الميلاد ، فان أداة التعريف وضــمير المتكلم والغائب وكلمات النفى والنهى وتصريف الافعال مشـــتركة بـين العربيـة واللغـة الآشورية التى تنسب اليها السريانية (١) .

وكانت العربية الاولى لغة القبائل التى سكنت الجزيرة العربية من اليمن الى الشام الى العراق وتخوم فلسطين وسيناء وقد عرفت باللغة السريانية خطأ نجم من اطلاق اليونان هذا الاسم عليــها ، وسبب ذلك أنهم كانوا يسمون الشام الشمالية أشورية أو سورية ، فشاعت تسمية العربية بالسريانية (١) .

وبين العربية والبابلية شبه أو تشابه واضح في كثير من أوجه الاعراب والحركات ، وكل الافعال في البابلية قريبة في صيغها من العربية ، وعلامة الجمع واحدة في البابلية والعربية .

وبين العبرية والعربية صلة وقربى في كثير من المجارى اللغوية وفي الكلمات المشتركة بينهما .

وانتماء العربية مع شقيقاتها الى جـذر واحد ، وجوار كثير من القبائل العربية لغيرها من الامم غير العربية كالفرس والروم جعـلا العرب يتأثرون في لغتهم بلغات غيرهم من الامم ، فقبيلة بهراء كانت تكسر حرف المضارعة كما نكسرها نحن في لغتنا العامية ، وما كانت

---

(١) أبو الانبياء للعقاد .

قبيلة بهراء لتصنع ذلك لولا تأثرها بالعبرية والسريانية اللتين تكسران حرف المضارعة .

بل سرت هذه العدوى الى كل قبائل العرب في شبه الجزيرة ـ ما عدا الحجاز ـ فكانت تتلتل كبهراء في كسر حرف المضارعة في فعل اذا كان عينه أو لامه ياءا أو واوا .

قال سيبويه ـ امام النحاة طرا ـ في « الكتاب » : « يتفق جميع العرب في كسر حرف المضارعة الا أهل الحجاز في نحو فعل اذا كانت عينه أو لامه ياء أو واوا نحو وجل وخشى فيقولون : نيجل ونخشى بكسر نون المضارعة » وهذا يسمى تلتلة بهراء .

وكانت حاضرة الحجاز غير خالية من الاعاجم نساء ورجالا ، فكان فيها من يونان وفرس .

ولم تكن كل القبائل العربية التى تنطق بالضاد موثوقا بلغتها لما اشتملت عليه لغاتها من الفساد والاعوجاج والخطل ، مما اضطر علماء اللغة أن يمنعوا الاخذ عنها وألا يبيحوا تلقى اللغة الا من بضع قبائل سلمت لغاتهم مما يكدر صفو عروبتها ، ولم يوثقوا غيرها وهى : قريش وهذيل وقيس وتميم وأسد وبعض كنانة وبعض طيىء .

وذكروا أسباب منع تلقى اللغة عن القبائل ـ ما عدا بضع القبائل التى مر ذكرها ـ ولحظوا الاسباب في عيوب لسانية لم تستطيع لغاتهم أن تسلم منها أو تبتعد عنها ، وجوارهم لغير العرب ، فذكروا في العيوب اللسانية طمطمانية حمير ، وشنشنة اليمن ووتمها ، وعجعجة قضاعة ، وكشكشة ربيعة ووكمها ، وكسكسة هوازن ، وفحفحة هذيل ، ووهم كلب ، وعجرفة ضبة .

وأشار العلماء الى القبائل التى منعوا أخذ اللغة عنها لجوارهم غير العرب ، ذلك الجوار الذى أفسد ألسنتهم أو أدخل اليها ما لا يتفق مع الفصحى ، فمنعوا الاخذ من سكان البرارى ممن كانت مساكنهم مجاورة للامم الاعجمية مثل : لخم وجذام جيران مصر والقبط ، وقضاعة وغسان واياد جيرة أهل الشام وأكثرهم نصارى

يقرأون بالعبرية ، وتغلب اليمن الالى كانوا بالجزيرة لمجاورتهم اليونان ، وبكر جيران النبط والفرس ، وعبد القيس وأزد عمان لانهم كانوا بالبحرين وكانوا على صلة بالهند والفرس ، وأهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ، وبنى حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم التجار المقيمين بينهم ٠

وما مضى من الحديث يدل على أن العربية لم تكن خالصة من الشوائب عند هذه القبائل مما اضطر العلماء الى منع أخذ اللغة عنهم للمجاورة والاختلاط بالاعاجم ، وللعيوب اللسانية التى تقبح جمال العربية ، اذ لا تتفق مع الفصحى في مخارج الحروف وفي نسقها القويم ، كما أن ما ذكرنا من الحوادث التاريخية يثبت أن الفصحى لم تكن لغة عامة الناس وخاصتهم ٠

وان اللغة التى تنتمى في جذرها الى أم تنتمى اليها لغات معدودة لا بد أن يأخذ بعضها من بعض ، فاللغة العربية لغة سامية تشترك مع أخواتها من اللغات السامية في كثير من قواعد الاعراب وصيغ البناء والصرف ، وان لغة يشترك فيها مع أهلها غيرهم لا بد أن تتأثر ألسنة أصحابها وتدخل اليها كلمات كثيرة غريبة عنها ٠

وما أشك أن دخول أبناء اسماعيل الاثنى عشر في العرب أتاح الفرصة لكثير من الكلمات أن تدخل الى لسان العرب حتى ظن أنها عربية فصيحة ، لان النسيان أو الجهل أو بعد المسافة عفى على أصولها وحقيقة مصادرها ، وقد أطلعنى العلامة اللغوى الكبير الدكتور رمسيس جرجس على كتابه ألفه في « المعربات » يضم حوالى خمسين ألف كلمة ، بينها آلاف الكلمات التى ظنها علماء اللغة العربية القدامى عربية فصيحة ، وهى في أصولها غير عربية ، فبعضها من الاكادية ، وبعضها من البابلية ، بل بعضها من لغات غير سامية ٠

وصديقنا الدكتور رمسيس جرجس عضو عامل بالمجمع اللغوى ومن كبار الباحثين في أصول العربية وكلماتها ، ولو طبع كتابه لكشف الستار عن علم جليل يفيد الباحثين والمشتغلين بلغة العرب ٠

وفي القرن الخامس قبل الميلاد غزا الفرس بلاد الكلدان واكتسحوها اكتساحا وأرهقوا سكانها قتلا وتعذيبا حتى اضطروا الى الفرار ، وهجروا وطنهم وسكنوا بلاد العرب حيث يجدون الامن والطمأنينة ، ويبتعدون عن الموت الذى يلاحقهم •

كماأن كثيرا من شذاذ الآفاق والمجرمين والهاربين من الظلم في مصر والعراق وفارس والهند والحبشة والروم هجروا بلدانهم الى الجزيرة العربية ليكونوا في مأمن من الشر الذى يريد أن يتخطفهم، لان الجزيرة صحراء ترد عنهم حكوماتهم وطالبيهم وتحول بينهم وبين القبض عليهم •

ومما لا شك فيه أن أولئك وهؤلاء عندما انتقلوا الى الجزيرة العربية انتقلوا بلغاتهم وعاداتهم وآدابهم وعلومهم وفنونهم ، واختلاطهم بالعرب يؤثر في لغتهم العربية •

والقرآن الكريم نفسه قد أشار الى العامية أو غير الفصحى اذ قال : « لسان الذين يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربى مبين » واحترز القرآن عندما ذكر اللسان اذ وصفه بأنه مبين والمبين : الفصيح الذى لا كدرة فيه من عجمة أو عيب أو لحن ، وهذه الآية رد على من زعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم من غلام سوقى ، كما تذكر كتب التاريخ وكماتذكر التفاسير التى منها تفسير النسفى وروح المعانى •

ونفهم من كل ما قدمنا أن الفصحى نفسها لم تقف في وجه الدخيل ، فموادها مزدحمة بآلاف الكلمات المعربة ، وما المعرب الا الدخيل ، بل أن ما نظنه فصيحا لجهلنا بأصوله ولجهلنا باللغات السامية القديمة حمل أئمة اللغويين من العرب أن يظنوا الدخيل فصيحا ، ومن هذا النوع آلاف الكلمات •

وما دام العرب لم يكونوا وحدهم هم الذين يسكنون بلادهم بل كان يشاركهم فيها من وفدوا اليها من مختلف البلدان فان من الطبيعى أن تطعم العربية بغيرها ••

وغير طبيعى أن يكون كل أفراد الامة العربية سواء أكانوا من القبائل الموثوق بلغتها كقريش أم من القبائل التى منع الاخذ منها كلخم وجذام على مستوى واحد في اللغة ، لاننا نجد أن التفاوت بين

الشعراء الكبار ملحوظ ثابت ، فاذا كان بين الاعلياء الخاصة تفاوت في الاسلوب والثراء اللغوى فان مما لا شك فيه أن يتخلف عنهم عامة الناس ٠

وان لغة العبيد غير لغة الاحرار ولغة العمال غير لغة الموظفين ، ونحن نشهد الفارق ولا نخطئه بين مختلف الطوائف وأصحاب المهن المتغايرة ، بل نشهد الفارق بين تلامذة في مستوى واحد اذا اختلفت أوطانهم أو أحياؤهم ٠

وكان في العرب في القبائل التى يوثق بلسانها العربى المبين خاصة وعامة ، وسادة وعبيد ، وصناع وحكام ، ولا بد أن يكون بين لغة الخاصة والعامة تفاوت يكون حينا تفاوتا كبيرا ويكون حينا آخر تفاوتا يسيرا ٠

وما الاخطاء النحوية والصرفية التى نجدها في بعض الآثار البيانية للعصور التى يحتج بلغات أهلها الا الدليل على وجود العامية التى تتجلى في الخروج على القاعدة الصحيحة للغة العالية ٠

يقول طرفة أحد شعراء المعلقات :

اضرب عنك الهموم طارقها

ضربك بالسيف قونس الفرس

والشاهد في « اضرب » وهى هنا فعل أمر ، وكان حقها البناء على السكون ، ولكن طرفة حركها ضرورة غير عابىء أو « ملتفت » للغة العالية ٠

كانت العامية موجودة مع الفصحى ، بل أقدم من الفصحى ، ولهذا نجد بعض آثارها تنتقل الى الفحول فنشهدها في شعرهم مما يثبت أن رواسبها تنزلق على لسانهم الفصيح برغم فصاحتهم وصفاء قرائحهم وسلامة سلائقهم ٠

والحوادث التى أشرنا اليها أسباب تاريخية تدل على وجود العامية ٠

وان من يزعم أن العرب جميعا في الجاهلية كانوا يتحدثون الفصحى ، ويزعم أن العامية غير موجودة فان الدليل يعوزه ، لان الطبيعة الانسانية التى لا تغالب تأبى أن يكون لسان كل عرب الجاهلية على مستوى واحد من البيان والفصاحة والاعراب ٠

والآثار البيانية شعرا ونثرا لا تدل مطلقا على أن كل أبنـــاء العصر يتحدثون اللغة العالية الخاصة ، فنحن لم يصل الينا غـير الشعر والامثال والحكم والخطب ، وما وصلنـــا ليس الا الندرة النادرة من جبال الانتاج الفنى للعرب ، وهذه الآثار للخاصة ، وما يروى الرواة أو يدون المدونون الا ما ســـما فكرا ولفـظا ، أمـا مخاطبات الناس فما كان لهم سبيل الى روايتها أو تدوينها .

وما بدأ تدوين كلام الناس العامى الا بعـــد العصر الاموى بزمن ، ولعل الجاحظ كان أول من اتجه الى هذا اللون من التدوين، أمـــا قبله فــلا .

ونحن واثقون كل الثقة أن العامية عاشت بجانب الفصحى في العصر الجاهلى وما بعده ، وما اللحن الذى نراه في شعر بعض شعراء الجاهلية واللحن الذى كان بحضرة الرســـول صـلى الله عليه وسلم حتى قال لاصحابه رضوان الله عليهم : « أرشـــدوا أخاكم فقدضل » الا العامية بنسبة ذلك الزمان .

غير أن الذى أريد أن أقوله : ان عامية العصر الجاهلى وعصر صدر الاسلام لم تكن كعاميتنـــا الحـــاضرة التى انشقت على أمها الفصحى وأصبحت مغايرة لها ، وما عاميتنا الا امتداد لعامية مـن سبقونا ، وبعد عاميتنا عن أمها العامية القديمة جعلها تظهر وكأنها لغة عامية جديدة لاصلة لهـــا بالجـــذر القـــديم ، وكأنها ليست فرعـــا منـــه .

ومن المستحيل أن تكون لغة فصيحة للاعلياء الخاصة تكون هى نفسها لغة العامة والا فقدنا العلامة الفارقة بين الخاص والعام؟

العربي
لا يعرف معنى كل كلمة

في وهم النـــاس ـ وفيهم طـائفة من العلمـاء ـ ان العربى الجاهلى أو الاصيل يعرف معنى كل كلمة عربية ، ويدرك دلالتها ادراكا صحيحا ، لانها لغته .

هذا وهم يجب أن يزول ، فما كان العربى محيطا بمعنى كل كلمة ، وما كان مستوعبا كل ألفاظ اللغة ، بل أذهب الى أبعد من هذا وأقول : ان اللهجة الادبية التى وصلتنا بوساطة الآثـــار البيانية لم تكن لغة عامة الناس ، بل أعتقـــد أنـــه كانت هناك لهجتان : احداهما عالية ، هى لغة الادب والعلم ، ولغة عامة هى التى يتحدث بها عامة الناس .

وسنتناول كـــل قضـية مـن هـــذه القضايـا حتى نزيل عنهـــا اللبس ونعرضهـا عرضا علميا كى يقف القارىء الكريم عـلى الحقـــائق المجردة .

ان العربى لم يكن عارفا معنى كل كلمة يسمعها ، مثلنـــا مثلهم ، بل فينا من يعرف من معانى المفردات ما لا يعرفه كثير من شعراء الجاهلية أنفسهم ، لان شاعرا قرشيا ـ مثلا ـ كان يعرف لغة قريش ، ويجهل لغات غيره من القبائل الاخرى ، أما نحن فقد وصلتنا لغات القبـــائل مجتمعة في المعجم العربى ، ومن هنـا كانت المترادفات التى لا عداد لها .

كان جامعو اللغة من أصحاب المعجمات يرتادون القبـــائل ويتصلون بالاعراب من مختلف القبائل ، ويأخـــذون عنـهم اللغة ويدونونها ، وبذلك تم تدوين لغات القبائل ، وسنؤيد ما ذهبنـــا اليـــه بالادلـــة .

قال رسول الله صلى الله عليـه وســـلم : « ان أحبـكم الى وأقربكم مجلسا منى يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وأبغضـــكم الى

وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة هم الثرثارون المتشدقون المتفيهقون . قالوا : يا رسول الله قد عرفنا الثرثارين والمتشدقين ، فمن المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » .

وفي حديث في الفتن ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر في اشراط الساعة : أن تنطق الرويبضة في أمر العامة ، قيل : ما الرويبضة يا رسول الله ؟ قال : الرجل التافه الحقير ينطق في أمر العامة .

وروى سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تزال الامة على شريعة ما لم يظهر فيها ثلاث : ما لم يقبض منهم العلم ، ويكثر فيهم الخبث ، وتظهر فيهم السقارة . قالوا : وما السقارة يا رسول الله ؟ قال : بشر يكونون في آخر الزمان تحيتهم بينهم اذا تلاقوا التلاعن » .

ومثل هذه الاحاديث كثير ، ومن غير شك أن الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وسألوه عرب أصلاء أقحاح يحتج بلغتهم وتؤخذ منهم اللغة ، ومع ذلك لم يفهموا معنى المتفيقهين والرويبضة والسقارة ، مما يدل على صحة ما ذهبنا اليه من أن العربي ما كان يدرك معنى كل كلمة تصافح سمعه ، وكل العرب سواء في هذا ، وما كان أحد يحيط بلغة العرب غير محمد عليه صلوات الله وسلامه ، وما كان أحد سواه يحيط بالعربية لفظا ومعنى واستعمالا ، قال الامام الشافعي : « ما يحيط بلسان العرب غير نبي » .

وحضر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب وفد بني نهد ، فعجب الامام وقال : يا رسول الله ، نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم العرب بما لا نفهم أكثره .

وكان رسول الله يوضح ما يسألونه عنه مما لا يعرفون معناه من الكلمات .

وحديث علي لا يدل على معرفة الرسول الواسعة كل السعة بمعاني الالفاظ فحسب ، بل كان يعرف معاني الكلمات ، ويعرف مصطلحاتها ونوادرها وفصحها وشواردها أكثر من أهلها .

في كل زمان وفي كل مكان على درجة واحدة في الذكاء وصحو الملكات والاحساس والتعبير ، بل يتفاوتون في كل ذلك تفاوتا كبيرا ٠

والامام على من أعظم الراسخين في فهم لغة العرب لفظا ومعنى واستعمالا ، ومع ذلك ما كان يعرف معانى كثير من الكلمات ، واذا كان هذا مع الامام فما بالنا بالآخرين ٠

وهذا عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ كان أحد أئمة الدين ، ومن الطبقة الاولى بين المفسرين ، ومن المحيطين بلغة العرب كان يند عنه فهم معانى كلمات كثيرة منها كلمة « فاطر » ٠

وكان عمر بن الخطاب ذات مرة على المنبر فسأل الحاضرين عن معنى « التخوف » في قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » فسكتوا ، فنهض شيخ من هذيل وقال : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص ٠ قال عمر : وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها ؟ فأجابه : نعم ، قال شاعرنا زهير :

تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

فعمر ومعه عديد من الصحابة وغيرهم من العرب لم يعرفوا معنى « التخوف » لولا الشيخ الهذلى ٠

وهذا البيت لم يرد في ديوان زهير المطبوع في دار الكتب المصرية ولا في مخطوطاته التى اطلعت عليها ، وهو ـ كما روى الاغانى (طبعة دار الكتب المصرية ٦ : ١٧٢) لابن مزاحم العقيلى ـ وكما روى هامش « لسان العرب » مادة سفن ، ونسب البيت لذى الرمة ونسب لابن مقبل ولعبد الله بن عجلان النهدى (راجع مادة سفن وخوف في اللسان والصحاح) ٠

وطبيعى أن يجهل العربى معنى كثير من كلمات لغته ، لان الاحاطة بها مستحيلة ، بل كان من العرب من يجهلون معنى الشعر والجمل لا الكلمات المفردة ، وطبيعى أن من يجهل المفردات يجهل معنى الجمل ، ومن ذلك أن شاعرا لامته امرأته لانه لا يقول فيها الشعر يشبب بها ويمدح جمالها ، فقال :

تمت عبيدة الا من محاسنها
فالحسن منها بحيث الشمس والقمر

فـل للذى عابهـا من عائب حنـق
أقصر فرأس الذى قـد عبت والحجر

وسرت المرأة بهذا الشعر وحسبته مدحا لها ، مع أنه غـاية في الذم والهجـاء ٠

وهـذا يدل على أن من العرب من كان يجهل معنى التراكيب كهذه المرأة العربية ، ومثلها كثير ٠

وما أظن بعد ما قدمت يبقى ذلك الوهم القائم في أذهان أغلب الناس ، ويسلمنا ما قدمناه الى رأى آخر ، وهو أن الآثار البيانية من كلام العرب التى وصلتنـا لا تجعـلنى أعتـقد مثـل غيرى أن الجاهلين ومن بعدهم من العرب الاقحـاح كـانوا جميعا يتكلمون اللغة العالية ، بل أعتقد أنه كانت هناك لغتان : عالية ، وعامية ، ولكن ليست العامية مثل عاميتنا ، بل أعتقد أن العامية في تلك الايام كانت أقرب الى الفصحى من عاميتنا البعيدة عن الفصحى ٠

أحسب أن الاعتقاد بأن أولئك العرب كانوا يتحدثون اللغـة العالية في خطابهم بعضهم بعضا خاطىء ، وانه لوهم من الاوهام التى استعبدتنا كل هذا الزمن الطويل ، فظننا ما ظننا ، حتى أن العلماء كانوا يتحاشون أن ينسبوا الى جاهلى خطأ لغويا اذا أخطأ خوفا من أن ينسب الى صاحب اللغة الاصيل الحق ما لا يتفق مع الكرامة ٠

وسنفرد حديثا خاصا نثبت فيه أن الجاهليين مثلنا يخطئون في العربية كما نخطىء ، وليسوا بمعصومين ولو زعم العصمة مـن يزعمها لهم ٠

ان الآثار البيانية التى وصلتنا من الجاهلية لا تدل على أن كل عرب الجاهلية كانوا مثل امرىء القيس وزهير والنابغة والخنساء وحسان وطرفة والاسعر الجعفى وغيرهم في معرفة اللغة واستعمالها لان ذلك مخالف للطبيعة الانسانية ومناقض للواقع ، فليس الناس في كل زمان وفي كل مكان على درجة واحدة في الذكاء وصحو الملكات والاحساس والتعبير ، بل يتفاوتون في كل ذلك تفاوتا كبيرا ٠

ان الشـعراء الفحول أنفسـهم يتفاوتون في حسن التعبـير

وصدق الاحساس وقوة البناء واشراق الاسلوب ، فاذا كان بعضهم يرجع على بعض في اللغة واستعمالها وهم ذوو الجباه العاليـــة في التي نستعملها وصنع ما صنع مع الجاهليين وتناول انتاجنا الادبى والفكرى واتخذه وحده الدليل الذى يقدمه بين يدى حكمه، فما يقول؟

لا مفر له أن يقول : اننا نتخذ اللغة الفصحى ، وسيزعم أنهـا لغة الخاصة والعامة ، ولن يستطيع أن يقول غير ذلك اذا كان حكمه مبنيا على ما بين يديه من الآثار البيانية التى وصلته عنا ، وهذا ما صنعناه نحن ازاء آثار العرب القدامى حين زعمنا أن الفصحى كانت لغة جميع الجاهليين .

لو تناول هذا المؤرخ بعد ألفى سنة آثارى وكلها مكتوبـــة بالفصحى وتناول آثار أدبائنا ومفكرينا وهى باللغة العربية الفصحى وقال في حكمه : ان عصرنا هذا عصر الفصحى لان آثاره البيـــانية مكتوبة بالفصـــحى ، ولا شـــك أن أبنـــاء هـــذا العصر كـــانوا يتكلمون الفصحى .

ماذا نقول اذا صدر ذلك الحـــكم ؟ سنتهم بحثــه بالتهافت والقصور ، ونرميه بالجهل .

اننى أنا وزمـــلائى نكتب الفصحى ونتخذهـــا لغـــة خطبنا ومحاضراتنا وكتبنا ، ولكنى لا أتخذها لغة خطابى ، بل لا أستطيع الى ذلك سبيلا ، لان قلمى فصيح ولسانى عامى .

الجاهليون مثلنا ، ونحن مثلهم ، فاللغة العالية لغة المثقفـين والعلماء والادباء والشعراء ، أما العامة ـ عامة الشعب ـ فلغتـــهم أدنى الى العامية ، والا ما مزية بعضهم عـلى بعض في اللغة والتعبير اذا كانوا جميعا سواء في اللغة ؟

وبين يدينـــا آثـــار الشـــعراء والخطبـــاء في الجاهلية والعصر الاسلامى في الصدر الاول ، وليست كلها في درجة واحدة من القوة والفصاحة والبيان ، واذا كان الاعلياء يتفاوتون فمن غير شك عندى أن للجاهليين لغتين : احداهما لغة الادب ، والثانية لغة الخطاب ، وتلك عالية ، وهذه عامية ، ولكن يجب ألا يفـــهم أحـــد أن عاميـــة

الشعر والادب فان من المقطوع به أن نجد هذا التفاوت في غير زمرتهم .

لو جاء مؤرخ بعد ألف سنة أو ألفين وأراد أن يكتب عن لغتنا الجاهلين مثل عاميتنا الحديثة ، ويجب ألا يقع في الذهن أن البون كان شاسعا كل الشسوع بين عامية الجاهليين وفصحاهم ، بل أعتقد أن عامية الجاهليين لم تكن بعيدة عن فصحاهم بل كانت قريبة منها ، لان السلائق العربية كانت سليمة لم يفسدها ما أفسد سلائقنا ، ولم تلتو ألسنتهم الفصيحة التواء ألسنتنا .

ولعل الشواهد الشعرية التى وصلتنا من أصحابها العرب الاصلاء التى لا تتفق مع قواعد النحو والصرف والعربية من الادلة على أن العامية في العصور التى يحتج بعربيتها كانت تندسس الى لغة الادب العالية فكان هذا الخطأ الذى يؤاخذ عليه صاحبه .

ولعل الرواسب الاولى للغة العربية قبل تمامها ونضجها تطفو على الالسنة فيكون ما يعتد خطأ بالنسبة للعربية بعد كمالها واستوائها ، وهذا يبدو في بعض التصحيف واللغات الشاذة والاشتقاق الغالط واللحن .

وفي المقال القادم سنذكر الادلة العلمية لنثبت اثباتا علميا وتاريخيا أن للجاهلية لغتين : احداهما فصحى ، والاخرى عامية ، وذلك قبل أن نثبت أن الجاهليين كانوا يخطئون في قواعد اللغة نحوا وصرفا ، حتى اذا انتهينا من اثبات ذلك انتقلنا الى اثبات أخطاء الجاهليين اللغوية حتى نقف على الحقيقة التى لا ندعى العصمة والكمال لغير من أراد الله لهما ذلك .

والبحث العلمى الصحيح المجرد يجب أن يتم بعيدا عن التعصب والهوى ، والا فقد جماله وتهدمت الاركان التى يقوم عليها، وحينئذ يستحيل كلاما لا يوثق به ؟

في الجاهليـــة

من يخطئون في العربية

لقد أثبتنا فيما سبق من مقالات هذه السلسلة أن الفصحى لم تكن وحدها لغة الخاصة والعامة ، بل كـــانت في الجاهلية ومـا بعدها من العصور التى يحتج بلغتها لغتان اثنتان ، احداهما لغـة الادب التى يتخذها الخاصة وسيلة للتعبير عن تجاربهم الشعورية وخوالجهم وأفكارهم ، ولغة أخرى يستعملها عامة الناس في خطاب بعضهم بعضا ٠

ونضيف الى ما سبق من الادلة دليلا جديدا في الموضوع الذى وقفنا مقالنا عليـــه ، ألا وهو وجود آثـــار بيانية خاطئة بالنسبة للقواعد الصحيحة ، وهذه الآثار البيانية لشعراء من الفحول ممن يحتج بلغتهم ٠

انها آثار خاطئة بالنسبة للقواعد الصحيحة ، ويستطيع بعض المتحذلقين تصويبها بالتأويل المسف والعلل المفثية والتقدير المعلول والجـــدل الســـخيف ٠

ونستطيع بهذه الوسائل تصويب كل خطأ مهما كان فدحـه ولكننى لا أسيغ الخطأ ولا أسوغه ولو كان صادرا من أصحاب اللغة الاصلاء ، بل اعتد كل ما كان مخالفا للقواعـــد الصحيحة خطأ ولو كان هناك ألف طريق لتسويغه ، هو خطأ عند من يريد التمســك بالقاعدة الصحيحة التى لا تلف ولا تدور ، هو عندى خطأ وان كان يجيزه بعض اللغات الشاذة أو تصوبه الشواهد المخترعة ٠

أنا لا أجيز هذا النوع مـن الخـــطأ ، لاننى لا أريد للقاعـدة الصحيحة أن تتهدم أو تعتل أو يعتورها خلل يجعلها مضطربـــة ، بل لا أقبل الشاذ ولا أجعله قياسا يقاس عليه ، لان ذلك يضعف من القاعدة العامة ، كما أننى لا أقبل التقدير الذى يراد منه تسـويغ الخطأ أو الشاذ ، بل أرده وأنكره ٠

وما أضعف لغة العرب ووقف في طريق تقدمها ونهوضها الا انبراء النحـاة ذوى الاهـواء لتســويغ الخـطأ ، كأن الانســان معصوم من الزلل ، والا جمود العلماء والادباء والمفكرين .

بل أجدني مسوقا الى القول ، بأن الجاهليين أنفسهم ، ومن يحتج بلغتهم لم يكونوا بنجوة عن الخـطأ ، وفي عصمة من اللحن ، بل كان فيهم من يخطىء ويلحن ، وقد جاء في الشعر الجاهلي نفسه أبيات لا تجيزها قواعد النحو والصرف ، وبعضها لا تجيزه القواعد الصحيحة ، وان كان من يريد تسويغه لا يعدم ســبيلا اذا ركب متن التأويل السقيم والتقدير المفتى والاعتذار المصنوع .

ولعل مرد ما نرى من خطأ في بعض آثار الجاهليين وغيرهـم هو أن الرواسب الاولى للغة العربية قبل تمـامها وقبـل نضجـها واستوائها تطفو على الالسنة وتنزلق منها . ويبدو ذلك في مخالفـة قواعد النحو والصرف ، وفي الاشـتقاق الغــالط ، وفي التصحيف والتحريف .

وأنا اذ أنكر القياس على الشاذ ـ من جملة ما أنكر ـ فانني أريد أن تبقى قواعد العربيـة ســليمة لا تفرقها الاقوال الكثـيرة المختلفة أو تزلزلها الشواذ .

ولو أردت اتباع سبيل الذين يجيزون ما أمنع لاستطعت أن أهدم كل قواعد النحو والصرف والعربية قاعدة قاعدة بحيث لا تبقى واحدة منها قائمة ، ولكنى لا أريد أن أتخـــذ سبيل هؤلاء الذين يهدمون القواعـــد .

لو أراد صاحب هوى أن يجعل الفــاعل منصوبـا والمفعول مرفوعا ، وأراد أن يجعل الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا لاستطاع لان عنده مثالا شاذا يستطيع أن يتخذه قياسا يقيس عليه .

والفعل لا يدخله أل التعريف لانــه خـاص بالاسم ، ولكن في المستطاع أن ندخله على الفعل ، ولنا في أبى الخرق الطهوى أسـوة اذ كان يدخل أل على الفعل المضارع في بعض أشعاره .

و « لم » أداة جزم ، ولكن في المستطاع أن نجعل منها أداة

نصب وأداة رفع ، وفي وسع كل خاطىء في قواعد النحو والصرف أن يجد مثالا سابقا يحتذيه ، يسوغ به خطأه الشنيع ، فاذا قال أحد هؤلاء : لم نضرب بالنصب لوجد الدليل الذى يسوغ به الخطأ الشنيع ، فقد وردت قراءة شاذة تسوغ ذلك ، ومن هذه القراءة الشاذة : « ألم نشرح لك صدرك » بجعل لم أداة نصب ، ونصب « نشرح » •

وهذه قراءة أبى جعفر المنصور وخرجها ابن عطية وجماعة على أن الاصل ألم نشرحن ، بنون التوكيد الخفيفة ، فأبدل من النون ألفا ثم حذفها تخفيفا ، وفي البحر المحيط تفسير أبى حيان يقول : ان لهذه القراءة تخريجا أحسن مما ذكر ، وهو أن الفتح على لغة من ينصب بلم ويجزم بلن عكس المعروف •

ولكن العلماء ردوا هذه القراءة لانها لم ترد ولانها تخالف القاعدة الصحيحة المعروفة •

وأنا لا أسيغ هذه القراءة وأمثالها ولا أقرأ بها للسبب الذى من أجله ردها العلماء •

ونخلص من هذا الى أن الجاهليين ومن يحتج بلغتهم لم يكونوا بعيدين عن الخطأ واللحن ، ففى آثارهم البيانية كثير من الشواهد التى خالف أصحابها القواعد النحوية والصرفية ، ومن ذلك هذه الامثلة التى أسوقها ، وهى قليل من كثير •

قال طرفة بن العبد ، أحد شعراء المعلقات :

اضرب عنك الهموم طارقها

ضربك بالسيف قونس الفرس

فطرفة في بيته هذا خالف القاعدة الصحيحة في قوله : « اضرب » اذ لم يجعل فعل الامر للواحد مبنيا على السكون بل بناه على الفتح •

وقال قيس بن زهير ، صاحب داحس ، وهى فرسه :

ألم يأتيك والانباء تنمى

بما لاقت لبنون بنى زياد

فهو في هذا البيت « عطل » لم عن العمل •

وأنشد أبو زيد في نوادره :

مـن أى يومى من المـــوت افر

أيوم لـــم يقـدر أم يـوم قـدر

وقالت عائشة بنت الاعجم :

في كـل ما هم أمضى رأيه قدمــا

ولم يشاور في الامر الـذى فعـلا

ففى هذين البيتين جعل الشاعران «لم» أداة نصب، وهو خطأ.

قال أبو النجم العجلى :

ان أباهـا وأبـا أباهـا   قد بلغا في المجد غايتاها

فهو قد جعل « أبا » أحد الاسماء الخمسة مبنيا على حالـــة واحدة ، كما ألزم المثنى في « غايتاها » حالة واحدة ، وهو خطأ ، فاللغة العالية في الاسماء الخمسة أن يعرب في حالة النصب بالالف وفي حالة الجر بالياء وفي حالة الرفع بالوار ، أما الزامها فلغـــة ، ولكن اللغة الصحيحة اعرابها .

وقال آخر :

تزود منـا بـــين أذنـــاه ضربـة

دعتـه الى هـــابى التراب عقيـم

فالشاعر هنا ألزم المثنى في « أذنـــاه » حالـــة واحدة ، واذا احتج أحد بالضرورة في بعض هذه الاحوال فان الاحتجاج في هـذا الشاهد بالضرورة ساقط ، لان الشاعر لو مشى على القاعدة الصحيحة وجعلها « أذنيه » بدل « أذناه » لما انكسر البيت .

وقيـــــل :

اذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن

خطاك خفافـا ان حراسـنا أسدا

والقاعدة أن يقول : ان حراسنا أسد ولكنه ارتكب ضرورة .

وقال العجاج :

يا ليـت أيـــام الصبـــا واجعـــا

والصواب : رواجع ، بالرفع لانه خبر ليت .

ولذى الخرق الطهوى :

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقـا
الى ربنـا صوت الحمار أليجـدع

وقال آخر :
فذو المال يؤتى مالـه دون عرضه
لمـا نابـه والفـارق اليتعـمل

وقال شاعر :
ما أنت بالحـكم الترضى حكومته
ولا الاصيل ولا ذى الرأى والحسب

وقـال :
لا تبعثن الحرب انى لـك الـ
ينـذر مـن نيرانهـا فاتـق

وفي الامثلة السابقة ادخال أل التعريف على الفعل المضارع ، وهو خطأ شـنيع .

وللعمانى الراجز :
كأن أذنـاه اذا تشـوفا قادمة أو قلمـا محرفـا

وقيـل :
فلن يحـل للعينـين بعـدك منظر

وجعل الشاعر « لن » أداة جزم ، وهو عندنا خطأ لانه يخالف القاعدة العامة الصحيحة ، والصحيح أن يقول فلن يحلو ، بـدل فلن يحل ، ولكنه ارتكب الخطأ للضرورة الشعرية .

وقيـل :
فمـا وجـدت نسـاء بنى تميـم
حـلائل أسـودين وأحمرينـا

والصواب : سـودا وحمرا لان باب أفعل فعلاء لا يجمع الا على فعل كأحمر حمراء حمر .

وقـال أحـدهم :
غـدا مالك يرمى نسـائى كأنما
نسـائى لسـهمى مالك غرضان
فيـا رب فاترك لى جهيمـة أعصرا
فمالـك مـوت بالقضـاء دهـانى

يريد : ملك الموت ، وهو من الاشتقاق الغالط .

وقيـــل :

دامن ســعدك ان رحمـت متيــما

ونون التوكيد لا تدخل على الماضى ، ولكن الشاعر أدخلها على « دام » فقال : دامن .

ومثله قول من قال :

أقـــائلن احضـروا الشـــهودا

و

أشـــاهر بعـــدنـــا السيوفا

وفي هذين الشاهدين دخلت نون التوكيد على الاسم ، ونون التوكيد خاصة بالفعل .

وهذه الشواهد التى سقناها ، كلهـا لمن يحتج بلغتهم ، وفي جميعها مخالفة للقواعد الصحيحة . وأنا أنكرها وأشتد في الانكار ، لانني لا أريد القاعدة أن تضعف أو تنهدم ، والقاعدة توضع لتغليب العموم المطردة ونفى الشذوذ المتفرد ، والا لما احتيج الى القـاعدة اذا تساوى الاعم والشاذ ، والمقبـول والممـــنوع ، والمطرد الجـارى والمتـــفرد الآبـــد .

ان مثل هذه الشواهد مما لا يجوز القياس عليه والاقتداء به ولكن يحسب حسابه لدى الباحث الذى يدرس تطور القاعدة حتى تصل الى موضع الرسوخ والثبوت .

وهذه الشواهد التى ذكرتها ـ عندى ـ رواسب العامية أو العربية قبل نضجها واستوائها ، ونخرج منها بنتائج هامة ، اهمها :

ان الجاهليين ومن يحتج بلغتهم كانوا يخطئون ، وانهم ليسوا بمعصومين من الخطأ ، وان كانوا يمتازون بالسلائق السليمة .

ان العامية لا تعدو مخالفة المطرد ، وهـذه الشـواهد خالف أصحابها المطرد ، فهى ألصق بالعامية منها بالفصحى .

وان العامية كان لها وجـــود في عصور الفصحى وليســت ناشئة بعدها ، غير أن العامية في ذلـــك الزمـــان كانت قريبة من الفصحى ثم اســتقلت عنـها وأمســت لغـة ذات كيـــان خاص وقواعـــد خـــاصة بهـــا ؟

عوامل

ضعف اللغة العربية

كانت اللغة العربية قوية في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام وفي العصر الاموى كل القوة . وكان الناطقون بها يشعرون بالعزة لانهم يتحدثون العربية فـــلا يخطيئون ، بـل كـــانوا يتفاخرون بالفصاحة البينة ، وكان اللحن سبة تسقط صاحبه ولو كان خليفة.

ومع أن الفتح الاسلامي امتد في كل اتجاه ، ودخل الاسلام من العجم خلق كثير أكثر من تعداد العرب ، وازدحمت بهم المدن العربية الاصيلة فقد بقيت العربية قوية صافية .

وفي العصر العباسى كانت العربية الفصحى للخاصة ، امـــا العامة فقد كانوا يتساهلون في قواعدهـــا ، و لايشعرون بالنقيصة اذا لحنوا، لانهم في صعيد العامية آمنون من الازراء والعار ان أخطأوا.

ولكن اللحن لم يكن جديدا ، بل أرى أنه أقدم من الفصـــحى ثم سايرها كما سيأتي في المقال الذى سنقفه عليه في هذه السلسلة من مقالاتنا اللغوية .

وكانت العناية الاولى بالعربية استجابة الى ما تفرضه الغيرة على القرآن والحفاظ عليه، فذوو الغيرة على الفصحى كانوا يحمونها من كل غزو يضعف سلطانها أو يفسد ســـلامتها ويرنق صفاءها حتى تبقى لغة القرآن والحديث سليمة كاملة قوية .

ولكن زحف الحياة كـــان أكبر من قوتهم ، فلم يستطيعوا أن يحفظوا اللغـــة العربيـــة كمـــا كانت فوقفوا حراسا عليهـــا يبعـــدون عنها عوامل الضعف حتى استطاعوا أن يصونوا المادة اللغوية مـــن تدخل ما ليس من الفصحى . ولكنهم شعروا بما يجابه لغتهم مـــن العوامل التى لا ترد .

وليست كل العوامل كانت عوامل هـــدم ، بل كـــان بعضها منبعثا من حسن النية ومن الرغبة في سلامة الفصحى ، ولكن هذا

العامل كان من أسباب جمود العربية ، وهو أن أئمة اللـغة كانوا ينظرون اليها نظرة تقديس وتبجيل .

كانت الفصحي مقدسة ، وطفقت هذه القداسة التى وهبوها لها تمنع كل تجديد كما تمنع كل وافـد جـديد صالح يريد أن يعتكف في حرمها ، فوقفت اللغة عند الحدود التى تركها القدامى .

بل أسرف بعض أئمة العربية الغير عليها أن يخطئوا الصحيح ويمنعوا الفصيح لانهم لم يعوه من الفصحاء ، ولم يجدوا مصادقه من كـــلام العرب .

رد أئمة اللغة كثيرا من الكلمـــات والتراكيب لهذا السبب ، فالجوهرى ـ أحد أئمة اللغة وأول من خطا بالمعجم العربى خطوات واسعة ـ خطأ كلما « استأهل » وعدها لحنا واعتبر من يستعملها لاحنا ، وتبعه معاصروه من اللغويين ومن جاء بعده حتى عصرنا هذا وتاسيت أنا نفسى بهم حتى وقفت على صحة الاستعمال فأجزت .

ان قواعد العربية لا تمنع « استأهل » ولكن الذين منعوا لم يمنعوا لان القواعد العربية تمنعه ، بل منعوه لانهم لم يســـمعوه من العرب ولم يجدوه في شعر عربى أو كلام فصيح .

ومن هنا كان انكارهم .

ولقد أنكرت مثل من سبقنى كلمة « استأهل » بمعنى مستحق وأهل ، وحملت كثيرا من العلماء والكتاب أن يستبدلوا به كلمـــة « أهل » مع أن فصحاء العرب نطقوا به ، غير أنى لم أقف عليه الا باخرة ، فقد قرأت في « تهذيب اللغة » لامام العربية الازهرى المتوفي سنة ٣٧٠ هـ انه سمع من اعرابى فصيح قولـــه : تستأهل يا ابـا حـــازم ، وذلك بحضرة أعراب فصحاء لم ينكروا عليه .

هذا مثال على تخطئة كلمة فصيحة صحيحة ، أما المثال عـلى تخطئة تركيب صحيح ، فهو « شـــتان مـا بينهـــما » فالاصمعى والجوهرى والازهرى وغيرهم من أئمة اللغة خطأوا هـــذا التركيب لغويا وقالوا : شتان ما بينهما ، خطأ ، والصواب : شتان ما هما .

قال أبو حاتم : أنشدت الاصمعى قول ربيعة الرقى :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى
يزيد سليم والاغر ابن حاتم

وقال الازهرى في التهذيب ، والجوهرى في الصحاح : ليس قول ربيعة بحجة ، انما هو مولد ، والحجة قول الاعشى :

شتان ما يومى على كورها
ويوم حيان أخى جابر

ان أئمة اللغة أبوا أن يحتجوا بربيعة بل خطأوه ، وظنوا ان « شتان ما بينهما » خطأ ، والصحيح أن ما منعه هؤلاء الائمة الاعلام الاثبات ورد في الصحيح من كلام العرب ، ولكنهم لم يطلعوا عليه فأنكروا ذلك الاستعمال ، قال أبو الاسود الدؤلى :

فان أعف يوما عن ذنوب وتعتدى
فان العصا كانت لغيرك تقرع
وشتان ما بينى وبينك اننى
على كل حال أستقيم ، وتظلع

وقال البعيث :

وشتان ما بينى وبين رعاتها
اذا صرصر العصفور في الرطب الثعد

وقال الاحوص :

شتان حين يبث الناس فعلهما
ما بين ذى الذم والمحمود ان حمدا

وهاتان الحادثتان تدلان على أن أئمة اللغة كانوا يتقيدون بالسماع وحده ، وكانوا ينكرون ما لم يصل اليهم ، ولو أجازه القياس ، وفي انكارهم هذا حجر لواسع ، وتحريم لمباح ، وكان من الاسباب التى جمدت الفصحى ووقفتها عند حدودها الضيقة وأجبرتها أن تقيم ما بينها حتى أصابها الجمود .

واللغة ليست مقدسة وليست قرآنا لا يدخل اليه كلام مخلوق ، ووهم بعض العلماء ـ سيما المتأخرين منهم ـ ان اللغة العربية مقدسة ، فمنعوا الزيادة فيها وحاربوا كل من أراد

تجديدها ، ونسوا أن اللغة ليست مقدسة ، فقد كانت لغة المشركين قبل الموحدين ، ولغة الكفر قبل الاسلام ، ولغة الشعر قبل أن تكون لغة القرآن ، اللغة كالثوب يلبسه البر والفاجر .

ونظرة القداسة التى ألقاها العلماء على اللغة كانت من أهم العوامل في جمود العربية ووقوفها عند حدودها الاولى ، ولو تناولوا اللغة على أنها كائن حى يحيا بالغذاء الجيد المتجدد لاصبحت العربية اليوم كأرقى اللغات الحية المنتشرة ، ولخرجت من عزلتها المفروضة عليها على رغمها .

وما زال بيننا من العلماء اللغويين ذوى الغيرة المتضرمة من يعتبر العربية مقدسة ويمنع ـ لهذه القداسة ـ أى تجديد يراد لها فيقوم بمحاربة كل جديد ينمى الفصحى ويزيد ثروتها اللغوية .

ان هؤلاء العلماء دفعهم حسن النية وافتتانهم بالفصحى الى منع تجديدها وذود كل جديد عنها ، وان شأنهم مثل شأن الاب الرحيم الذى حمله حب ابنه الى عزله في بيته حتى لا يؤذيه أحد ، فنشأ نشأة انفصالية بعيدة عن الحياة والمجتمع والناس ، لا يعلم عن هؤلاء شيئا لا يعطيهم ولا يأخذ منهم .

ان سنة الحياة لا ترضى بالانعزالية ، وانها تفقد الحى كثيرا من دفقات الحياة المتجددة .

وعندما اتسع الفتح الاسلامى اختلط بكل عربى عشرة أعاجم وأكثر فلم يستطع العربى أن يصون لغته ويحميها من غزواتهم وروافد لغاتهم وحضاراتهم وعاداتهم فاضطرت الفصحى ـ على مرور الزمن ـ أن تنزوى بأبراج الخاصة العليا وفي الكتب والرسائل البليغة ، أما السوق وحديث المجالس والمعاملات فقد انفصلت عن الفصحى حيث كتب عليها أن تنقطع عن موكب الحياة وقافلة الاحياء وانتزعت العامية السيادة المطلقة من الفصحى ، لانها أصبحت لغة التخاطب عند الخاصة والعامة على السواء .

وكان من العوامل التى قضت على سلطان الفصحى وجاهها علماء النحو من المتأخرين الذين صعبوا النحو العربى السهل ، وعقدوا القواعد وأغرقوها في الخلاف والجدل وأخضعوها للمنطق حتى بعدت الشقة على طالب العربية .

ويكفى أن يقول أحد أئمة النحو الاعلام ــ وهو ابن خالويه ــ : «اننى أتعلم النحو خمسين سنة فما تعلمت ما أقيم به لسانى » فاذا كان هذا الامام العظيم يقول هذا فما قول الآخرين ؟!

ان مدارس النحو المختلفة وعلماء النحو يحملون تبعة تأخر العربية ، وهؤلاء لم يكونوا خصوم الفصحى ، بل كانوا أحباءها ، ولكنهم كانوا كبعض الجاهلين الذى وأد ابنته خوفا عليها من الجوع أو العدوان ٠

وخصومة المدارس النحوية بعضها بعضا دفعتهم الى اغراق النحو بالبحوث التى تقوم على الجدل المنطقى الغث ، الذى يضير اللغة ولا يفيدها ، وعداوة النحويين بعضهم بعضا جعلهم يتصيدون الشاذ أو الشاهد المخترع حتى يؤيدوا « نظريتهم » البعيدة عن سنن العربية وقواعدها ٠

وكتب « الخلافات » النحوية تقدم لنا الدليل على هذه الخصومة التى ما نزال ندفع « ضرائبها » حتى الآن ، تلك الضرائب التى أثقلت كاهلنا اللغوى ومنعتنا من السير وقيدت خطانا فلا نستطيع أن نتقدم ٠

وتبع كل هذه « الحرب » النحوية ضعف الاساتذة والطلاب معا ، فالمدرس لا يستطيع أن يستوعب نظريات النحو لكثرتها وكثرة الخلافات وتشعب طريق النحو العربى ، فاذا كان ابن خالويه المتفرغ للنحو والعربية يعترف أن خمسين سنة من عمره قضاها في تعلم العربية لم تستطع الى تقويم لسانه سبيلا فما بالنا بهذا المدرس الذى يدرس عشرين فنا ، والحياة التى يحياها لا تتيح له التفرغ للنحو ٠

وسرى من ضعف المدرس الضعف الى الطالب ، فأصبحت نتائج اختبار العربية محزنة الى حد بعيد ، لان الرسوب في مدارس مصر ، في بعض السنين ، كما ذكر الدكتور أحمد أمين رحمه الله في بعض ما كتب في الرسالة ٩٠٪ ٠

وهذا الضعف جعل الطلبة يكرهون قواعد اللغة العربية ويتجهمون لها ويزرون بها كل الازراء ويؤثرون عليها اللغات الاخرى لا يجدون في نحوها ما يجدون في النحو العربى من تعقيد وعسر

وتكلف وشدة تكد الذهن وترهق العقل وتضعف الملكة ٠

وان فهم الاساتذة ان النحو والصرف والبلاغة هى العلوم التى تقوم اللسان من العوامل التى أضعفت اللغة العربية وأفسدت الملكة وكدرت السليقة ، فهذه العلوم أعوان خارجية تساعد على معرفة الصواب والخطأ في بناء الجملة وصحة الكلمة ، ولكنها لا تصنع لها « عربيا » قويم اللسان ٠

ان علم العروض لا يخلق لنا شاعرا بل هو يعين الشاعر على معرفة الخلل اذا لم تهتد اليه سليقته الصافية وأذنه الموسيقية ٠

انه كالمسطرة تقيس المسافة دون أن تعى هى نفسها شيئا مما تعمل ٠

ان النحو والصرف والبلاغة والبيان والبديع أدوات اللغة الميكانيكية ، ولكن اللغة لا تؤخذ بوساطتها كالشعر لا ينظم بوساطة علم العروض ٠

يجب أن نفهم اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية ، بل أكبر الظواهر الاجتماعية الانسانية ، لان اللغة الانسانية خصيصة الآدمى وطريقته الانسانية وأساس فهم العلوم والآداب والفنون جميعها ، وكل علم من العلوم مبنى على اللغة ، فما دامت اللغة ضعيفة وأهلوها ضعفاء فانهم ـ تبعا لذلك ـ يكونون ضعفاء في كل العلوم ، بل أكاد أقول : انهم يكونون ضعفاء في الدين والاخلاق ، ضعفاء في الحياة ٠

اننا نقرأ الفاتحة كل يوم أكثر من عشرين مرة ، ولكنا نقرؤها قراءة آلية ولهذا لا أثر لها في نفوسنا وأرواحنا وأذواقنا ، وذلك لاننا لا نفهم معنى هذه السورة التى استوعبت أصول الانسانية وجذور الحياة الفاضلة والاخلاق الكريمة ٠

ولو كنا أقوياء في اللغة لاستطعنا أن نفهم هذه السورة فهما صحيحا ، ولكننا نجهل اللغة ، وتبع ذلك جهلنا بمعانيها الرائعة حتى فقدنا الاحساس بما في هذه السورة الفاتحة من روائع ومثل وذخائر شعورية ودينية وانسانية لا تنفد ٠

والعوامل التى أشرنا اليها في هذا المقال هى العوامل التى أدت الى ضعف اللغة العربية ، ولكنها عوامل لم يقصد أصحابها منها الى هذا الضعف الذى منيت به الفصحي ، بل كان حسن النية والغيرة على لغة القرآن الدافع ، ولكن كانت نتائجها غير مرضية وغير مـــا ينتظر أولئك الغير المخلصون ؟

* * *

عوامل

ضعف اللغة العربية

(٢)

ذكرنا في المقال السابق العوامل التى كـــان أصحابها غـير متهمين بسوء النية والحقد ، بل كانوا يمتازون بالغيرة على لغـــة القرآن والحرص عليها وعلى سلامتها ، ويمتــــازون بحســن النيــة والاخلاص للفصحى ، ولكنها كانت من عوامل ضعف اللغة العربية ووقفها عند الحدود التى تركها القدامى عليها .

أما العوامل التى تتبطن الحقد وسوء النية فكثيرة .

وأول العوامل القديمة الشعوبية فقـد آذنت العرب بحرب لا هوادة فيها ، وعيرتهم بخلائقهم وصفاتهم وطباعهم وعاداتهم ، وأزرت بلغتهم العربية وبالخط العربى ، وحفلت كتب التاريخ والادب بذكر أحقاد الشعوبية وأدلتهم وأقوالهم .

والشعوبيون وقفوا في وجه العرب والعروبة والعربية لانهـم رأوا أن العرب كانوا حملة الاسلام ، والاسلام حارب كل ما لا يتفق مع الفطرة السليمة وقضى على عروش البغى والمذاهب الباطلـــة ، والايمان لم يدخل الى قلوبهم التى أغلقوها ، فقاموا بالحرب الفكرية.

كان الشعوبيون يخافون من التهجم على الاسلام ، فهاجمـــوا العرب ، ومـع خوفهم مـا كـانوا يتركون الفرص ، فظهر الزنادقة والملحدون ، وكانوا جميعا حربا على اللغة العربية . وقصدوا مـن حربها هدم الاسلام لانها لغته ، فاذا استطاعوا الى زعزعة قواعدها وسعهم تحقيق مآربهم .

وكتب الشعوبيين مليئة بهجومهم على اللغة الفصحى .

أمـا الخط العربى فكان نصيبه عظيما من الهجوم والحرب ، ونحن لا ننكر أن بين بعض الحروف العربية تشابها يؤدى الى اللبس والخلل والتصحيف ، ولكن الحروف الهجائية في اللغات الاخرى لم تسلم من عيوب كثيرة ، وخطنـــا العربى من أجمل الخطوط ، وهو

قابل لأن يؤدى جميع الاشكال الهندسية ، لان الخط العربى مكون من نقط وخطوط مستقيمة ومنكسرة ومنحنية وأقواس ودوائر •

جاء في كتاب « النحو واللغة والخط والكلام » في المجلس السادس من المناظرات بين ايليا النصيبى (الكاتب السريانى) المشهور المتوفي سنة ١٠٩٤ م أى منذ تسعمائة سنة وعامل نصيبين:

« الخط السريانى أكثر حسنا وأصح وأكثر فائدة من الخط العربى ، لان حروف السريانيين غير منقطعة وغير متشابهة ، وحروف العرب كثيرة التنقيط ومتشابهة كتشابه الباء والتاء والثاء ، وفي كثرة التنقيط كلفة على الكاتب ولبس على القارىء ، وتشابه الحروف مشكل ، ومما يدل على أن الذين استخرجوا الخط العربى لم يحكموا الامر في تشكيل الحروف ولا في تسميتها ، هو أنهم سموا أكثر الحروف المتشابهة بأسماء متشابهة في الخط ، وذلك مثل الباء والتاء والثاء ، فان هذه الحروف اذا كتبت كانت أشكالها متشابهة »•

ونسخة هذا الكتاب بالمكتبة الاهلية بباريس ، وفي الكتاب أشياء كثيرة كلها هجوم على الخط العربى وعلى لغة العرب ، وايليا يقوم بهذا الهجوم وهو يعرف أن القذائف ستقع على الاسلام نفسه ، ولهذا السبب جعل هجومه على الخط العربى واللغة العربية •

ويحيى النحوى الاسكولائى النصرانى الذى كان في عصر معاوية وأحد مؤدبى يزيد بن معاوية ألف كتبا في مهاجمة الاسلام والعروبة ولغة العرب انتقاما من المسلمين •

فاذا كان هؤلاء من غير المسلمين فان فريقا من المتظاهرين بالاسلام مشوا في طريق ايليا ويحيى وهؤلاء هم الشعوبيون الذين يسخرون بالعرب وبلغتهم وبكل ما يتصل بهم ، وقد ذكر الجاحظ في « الحيوان » وفي غير كتاب من مؤلفاته العظيمة كثيرا من أخبار الشعوبيين •

ثم ضعف المسلمين وهجوم التتار وتفرق شمل المسلمين كان من عوامل ضعف اللغة العربية ، فهى قد تأخرت بتأخر الناطقين بها وهزلت بهزالهم وخمولهم ، وفقدت السيادة منذ فقدوا سيادتهم •

وشيوع اللحن وسيطرة العامية كان من أهم أسباب ضعف اللغة العربية •

ثم جاءت الطامة الكبرى مع العثمانيين عندما حكموا البلاد العربية و « تركوا » العادات واللغة فأصبحت لغة العرب لغة ضعيفة لانهم أرادوا لها ذلك ، ولم يكن العرب مستعدين لمقاومة هذا الغزو لضعفهم ٠

ثم شارك الاستعمار الغربى العثمانيين في حطم اللغة العربية ، وأراد ـ الاستعمار الغربى ـ أن يقضى على الاسلام والقرآن بالقضاء على اللغة العربية لانه رآها لغة الدين وكتاب الله ولغة الحضارة الاسلامية ٠

وأراد المستعمرون الغربيون احلال العامية محل الفصحى ، وراموا أن يجعلوا العامية لغة الكتابة والعلم ، واستجاب لهم بعض كتاب العرب فدعوا الى العامية ، ثم جاءت الشيوعية التى حطمت الاسلام والعربية في البلدان التى احتلتها مثل بخارى وطاشكندى ووجهت ضربات قوية الى العربية بأسماء مختلفة كالادب الشعبى ، والثقافة الشعبية ، وتيسير الادب والعلم والفن للشعب ٠

ودعاة العامية في العالم العربى من مفكرى العرب ومن الشبان العجزة كثير في أيامنا هذه ، ولكن من حسن العربية أن تقوم هذه الدعوات الهدامة في وقت صحوة العرب ونهضتهم الحديثة ٠

انهم يدعون الى أن تتخذ اللغة العامية لغة كتابة ودأب وعلم ، وأنا أسير معهم وأقول لهم : اكتبوا لنا الادب والعلم باللغة العامية ، اقول لهم هذا وأنا أعرف أنهم يعجزون كل العجز ٠

وقد حاول كاتب لبنانى ذلك فكتب مقدمة ديوان شعرى باللغة العامية وقرأتها فلم أفهم كثيرا من الكلمات العامية التى لا يعرفها غير اللبنانيين ، وقرأها مصرى وبحرانى وسورى وأردنى وكويتى ويمنى فكانوا مثلى ، لان لكل بلد عربى عامية خاصة به ، وفي كل لغة عامية كلمات كثيرة لا معنى لها الا عند أصحابها ٠

ولو تحقق حلم دعاة العامية ، واستقل كتاب كل بلد بتأليف كتبهم وكتابة مقالاتهم بلغتهم العامية لكانت بضاعة محلية لا تصدر ، واذا أريد تصديرها لزمت ترجمتها ٠

ولا سبيل البتة الى اتخاذ اللغة العامية لغة كتابة وأدب وعلم ، وعلى كثرة الدعاة لم نجد واحدا منهم استجاب هو نفسه لدعوته

واتخذ العامية لغة كتابة .

فهذا الاستاذ الكبير سلامة موسى أحـد أقطاب الدعاة بل قطبهم الكبير ، يدعو الى العامية ونبذ العربية خمسين سنة بل أكثر ، وله حوالى أربعين كتابا ، ومقالاته تملأ عشرات المجلدات ، ومع هذا رأى استحالة اتخاذ العامية لغة أدب وعلم فلم يكتب بها مقالا أو كتابا واحدا .

وأى ضربة توجه الى دعوة أقسى من هذه الضربة ؟ وأى دليل أبلغ على فساد الدعوة واستحالتها وتهافتها من أن يكون قطبها المعلم أول من يتنكر لها ؟

واللغة العامية نفسها لم تصبح كما كانت عامية ساقطة ، بل أخذت هى نفسها تقرب من الفصحى ، فالاذاعات والصحف والمدارس تقوم بمهمة هذا التقريب ، حتى اللغة العامية في بعض المسرحيات المذاع بها ليست عامية البلد الذى تذاع منه ، اذ توخى مؤلفوها البعد عن الكلمات الاقليمية التى لا تفهم في الاقطار الاخرى .

ان الفصحى لم تنزل الى السوق ولكن العامية أخذت تقترب من الفصحى .

ان أقصى ضربة وجهت الى صميم الفصحى كانت من العامية التى اضطر اليها اضطرارا عندما فسدت السلائق واعوجت الالسنة والتوت الاقلام وزحفت الامم غير العربية وانتشرت في ربوع العربية جموعها التى لا تحصى ، فانزوت العربية في الكتب ، ولكن النهضة العربية بعثت في الفصحى قوة كبيرة حتى صحت من غفوتها الطويلة وأخذت تصارع العامية وتنتشر بوساطة وسائل النشر المختلفة .

وصحب غزو العامية للفصحى الغاء الاعراب الذى هو أكبر خصيصة للعامية ، وقام في بضع السنوات الاخيرة دعاة جدد من الكتاب الصغار المحدثين يدعون الى تيسير العربية الفصحى بالغاء الاعراب محتجين بأن الاعراب عسير يصل الى حد الاستحالة ، والتزام الاعراب لا يحسنه كل عالم وأديب ، فحرى به أن يقضى عليه ابتعادا عن التورط في الخطأ والنقيصة .

انهم يزعمون ذلك ويطلبون الغاء الاعراب حتى يكون النطق بعيدا عن اللحن اذا سكنوا أواخر الكلمات ، وهؤلاء قصار النظر

لم ينظروا الى المشكلة نظرة صحيحة ، ولم يتغلغلوا في أعماقها لحلها فجاءوا بما حسبوه حلا وما هو بحل .

اذا وافقنا دعاة الغاء الاعراب جدلا فما نحن صانعون بالشعر؟ أنلغي الشعر تبعا للاعراب ؟

ان تسكين متحرك في الشعر يكسر البيت ، فاذا أردنا أن نقرأ هذا البيت :

فانما الامم الاخلاق ما بقيت

فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قراءة نلغي منها الاعراب ونستبدل به تسكين أواخر الكلمات فانه لا يصبح شعرا ، وموسيقاه تفنى ، ومعناه يفقد آثاره في نفس القارىء والسامع .

ولا يقول بالغاء الشعر من آداب الامم انسان ذو احساس آدمي .

ويقول الانجليز : لو خيرنا بين الهند وشاعرنا شكسبير لاخترنا أن نفقد الهند ونتمسك بالشاعر .

والعرب يقولون : الشعر ديوان العرب .

وكل أمة منذ كان التاريخ الانساني حتى ينتهي لا ترضى أن تزول منها دولة الشعر .

واذا رضينا أن نفقد الشعر ـ جدلا ـ فما نحن صانعون بالنثر ؟ أنسكن آخر كل كلمة ؟ يجيب الدعاة : نعم ، ونحن نوافقهم لحظات لنرى ما تنتهي اليه دعوتهم لو أتيح لها أن تتحقق .

ان كل ساكن تعقبه فترة صمت وسكون ، فقراءة الصفحة التي تستغرق قراءتها معربة دقيقة واحدة تستغرق قراءتها بعد الغاء الاعراب دقيقتين أو دقيقة ونصف دقيقة ، والقراءة تصبح متقطعة ، لان كل كلمة تصبح مستقلة عن سابقتها ولاحقتها ، وفي هذا اجهاد النفس .

ثم لغة الادب لا يظهر جمالها اذا فقدت الاعراب .

والاعراب قيد حقا ، ولكنه ليس ثقيلا كما يظن الدعاة لعجزهم ، ولكننا نستجيب لهم لنصل الى ما نريد .

هم يزعمون ان الاعراب مجهد ، ولا يحسنه الا قلة قليلة بل ندرة نادرة ، والدعوة يراد منها التيسير والتسهيل ، كما يراد بها حفظ الكرامة للناطق حتى لا يتورط في خطأ اعرابي ينزل من قدره

ويدفعه الى الخجل للنقيصة التى ارتكبها ٠

وهؤلاء الدعاة غفلوا عن أشـياء كثيرة ، فليست حركة الاعراب وحدها هى الصعبة ، بل معرفتها سهلة ومعرفة المنصوب والمجرور والمرفوع ليست عسيرة ، لان للـجر حالتين لا ثالث لهما ، حالـة الاضافة وحالة الجر بالحرف ، والمنصوب يمكن حصرها في بضـع حالات ، وللمرفوع حالات معدودات أقل من المنصوبات ٠

ليست المشكلة في معرفة حركة الاعراب ، ولكن المشـكلة في الحركات التى تسبق حركة الاعراب ٠

اذا رضينا أن نلغى حركة الاعراب لجهلـنا أو عجزنا عـن معرفة الحركة الصحيحة ، فماذا نصنع بمركز الحرف الذى يسبقه ؟

اننا بالغاء حركة الاعراب لم نسلم من الخطأ ، فهل نلغى كل حركة ونستبدل بها السكون ؟!

ان الثلاثى المجرد ـ على سبيل المثال ـ يصعب تمييز عينه في المضارعة ، والافعال الثلاثة لا حصر لها ، وهى سماعية ، وقليـل منها يخضع للقاعدة والقياس ، فهل ـ لهذا العسر العسير ـ نلغى حركة عين المضارعة تخلصا مما نشـفق منه ؟ اذا أجازوا ذلك فان من المتعذر كل التعذر النطق في العربية بثلاثة حروف ساكنة ، ففى ضرب يضرب ـ مثلا ـ يجب أن نسكن الراء والباء ، والضاد ساكنة بطبيعتها وهذا متعذر ، وليجرب الدعاة ٠

وهؤلاء الدعاة يظنون أن الحركة في اللغة العربية فضلة ولهذا يطلبون الغاء الاعراب ، ويجهلون ان الحركة جزء من صميم الكلمة العربية ، ولا يمكن وجود حرف عربى بدون حركة ٠

واذا كنا نلغى كل شيء لصعوبته فيجب أن نلغى كل العلوم والآداب والفنون ، ونلغى قواعد الاخلاق وكل القواعد الانسانية ، لانه ما من علم خلا من الصعوبة والعسر ٠

ماذا نحن صانعون لو أن مائة مليون طفل ومريض في العـالم ـ وفيه منهم أكثر من هذا العدد ـ طلبوا الغاء اللحم من الموائد لان معدهم لا تهضمه ، ولانه عسير عليهم تناوله ؟

أنستجيب لهم ؟ اذا كـانت كل دعـوة من مريض أو عاجز ممعود أو ذى هوى تجاب فلا بد أن نعيد الانسان الى الغـابة حيث

لا قيود ولا سدود ، بل انطلاق لا تحده حدود !

ولكن الانسانية لا ترضى بالعودة الى الغاب ، والمخلصون لا يرضون بهذه الدعوات الهدامة الى الغـــاء الاعراب ، بل يحاربونها لانها دعوة تريد هدم لغة القرآن .

هذه بعض العوامل التى جابهت الفصحى لزعزعة بنيانها الوثيق المتين ، ولكن لغة القرآن بقيت حيث انهزم الدعاة لانهم عاجزون عن حل المشكلة اللغوية حلا سليما ، وانهزمت تلك العوامل وان كانت أضرت بالفصحى ضررا بليغا أخذ يزول ، وسيزول متى عمت الثقافة اللغوية وأصلحنا طريقة تلقين العربية ، وتعليم قواعدها التى أبعدت الناس عن أصول العربية ونبعها الصافي الاصيل ؟

نشأة النحو العربي

كتب الاستاذ العلامة مصطفى السقا المدرس بجامعة الملك سعود في العدد الاول من مجلتها الممتازة بحثا رائعا عن « نشأة النحو العربى ، وموازنة بين أهم مذاهبه ومدارسه » وهو بحث جدير بالمناقشة لانه بقلم أحد العلماء الراسخين في علم العربية أو النحو العربى ٠

ولقد طرق هذا الموضوع كثير من العلماء في العالم العربى منهم ـ كما أذكر ـ العلامة الاستاذ طه الراوى بمجلة المجمع العلمى بدمشق ، وأحد مفاخر العقلية العربية الدكتور أحمد أمين ـ رحمه الله ـ في كتاب « ضحى الاسلام » وغيره ، والباحث العظيم الاستاذ ابراهيم مصطفى الذى ألقى بحثه وعنوانه : « أول من وضع النحو » في مؤتمر المستشرقين سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨ م) ونشره حينئذ بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم أعاد نشره بعد زيادة ما عن له بمجلة المجمع اللغوى بالعدد الصادر سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) وموجز بحثه الشك في أن أبا الاسود الدؤلى أول من وضع النحو ٠

وأذكر أن الاستاذ عبد الوهاب حمودة رد على الاستاذ ابراهيم مصطفى بعد نشره بحثه بمجلة كلية الآداب ببضع سنين في هذه المجلة نفسها ردا علميا قوامه أن الادلة التى ساقها الاستاذ ابراهيم مصطفى لا تقوم على أسس علمية ٠

ويكاد يجمع المؤرخون ان أبا الاسود أول من وضع النحو ٠

ويتفق الاستاذ السقا مع من سبقه من المؤرخين والباحثين في هذا ، وان كان بحثه خاليا من رأيه القاطع ، لانه سرد الآراء دون تمحيص ونقد ، ودون أن يعطينا رأيه ٠

وقد دفعنى الاهتمام بما كتب أن أسهم معه ومع غيره في رأى أكاد أطمئن اليه حتى ينقضه دليل علمى ، وهو أن أول من وضع النحو العربى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٠

فالروايات تذكر أن أبا الاسود أول من وضع النحو ،

وتختلف في العبارة ، فبعضها يقول : « وضع » وبعضها : « رسم » وبعضها « أسس » فاذا رضى الباحثون عن هذه الروايات التى تكاد تجمع على الواضع الاول فان من العلم أن نأخذ ببعض الرواية ونترك بعضها الآخر ، ففى الروايات الاسلامية العربية أن عليا كرم الله وجهه أعد رقعة دفعها الى أبى الاسود وفيها : « الكلام كله : اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأه به ، والحرف ما أفاد معنى » وطلب اليه أن ينحو هذا النحو ، وأعلمه أن الاسم ثلاثة : ظاهر ومضمر ، واسم لا ظاهر ولا مضمر .

ويقر أبو الاسود أن الامام عليا هو الذى وضع له القاعدة الاولى ، الا أن بعض الباحثين يعزو اقرار أبى الاسود الى حبه الامام وتشيعه له ، ونسى هؤلاء أن أبا الاسود عندما أقر بعمل الامام أردف يقول : « ثم وضعت باب العطف والنعت الى أن وصلت الى باب ان وأخواتها ما خلا « لكن » فلما عرضتها على علـى أمرنى بضم لكن اليها » .

ثم ان هؤلاء الباحثين يغفلون عن عبقرية الامام العقلية والعلمية ، وينسون أنه كان باقعة ملهما في كل علوم القرآن ، ويؤثر عنه أنه كان سريع البديهة حاضرها ، فقد سئل وهو على المنبر عن هالك ترك زوجة وأبوين وبنتين ، فرد من فوره : صار ثمنها تسعا ـ بضم التاء ـ وسميت هذه المسألة « المنبرية » لانه أفتى وهو على المنبر بالكوفة .

ونحن لا نجهل أن الشيعة أضافوا الى سيرة الامام ما لا يزيد في فضله الراجح ، واذا أغفلنا الزيادات والمبالغات فاننا نجد الامام في طليعة المفكرين الاسلاميين ، ولا يستطيع أحد أن يغفل عن مواهب الامام التى أجمعت التواريخ الموثوق بها على صحتها ، ثم ما أثر من أقضية وأحكام وبدائع وحجج ومبتكرات تدل على أن الابتكار من سجاياه ، وأن العقل الرياضى الناضج من مزاياه .

اننا نستطيع أن نزعم أن الشيعة أضافوا كثيرا الى سيرة الامام على ، ولكن الشىء الذى لانستطيع أن ننكره هو عقل الامام الرياضى

وعبقريته البكر التى تجعله أول قائد من قواد الفكر الاسلامى ، وموهبته التى لا توصف الا بالخلق والابتكار ٠

وأعظم الادلة على الشك في أولية الامام من ناحية وضع النحو النظر الى تاريخ النحو في اليونانية والسريانية حيث مرت أجيال قبل وصول النحو فيهما الى قاعدته العلمية ، بل مرت أجيال قبل الاهتداء الى التفكير في وضع الخطوط الاولى للنحو ٠

وهذا الدليل على وجاهته لا ينهض حجة لاصحابه الذين غفلوا عن مسائل هامة منها :

١ ـ المصادر العربية التى لم تنفها حقائق العلم ، ومناهج البحث ، فهى كفاء المصادر الاخرى ٠

٢ ـ لم تكن الكوفة خالية من اليونان والسريان ، فقد كانت منزل أبناء الامم غير العربية ومغشاتهم ، وفيهم علماء يعرفون نحو السريانية واليونانية ٠

٣ ـ ثبت ان الامام كان يستعمل بعض كلمات غير عربية ، مثل قالون ، مما يدل على صلته بأبناء الامم غير العربية ٠

٤ ـ وجود بنى الاحمر في جيشه ٠

٥ ـ عقله الرياضى ٠

٦ ـ الخطوط التى وضعها الامام لا تعتبر غريبة، فالمصطلحات عربية الالفاظ والدلالة مثل قوله لابى الاسود : ان الاسم ظاهر، ومضمر، وما ليس ظاهرا ومضمرا ، أما الكلمات الاصطلاحية وهى : الاسم والفعل والحرف فمما أطمئن اليه أن ذلك نتيج صلته بغير العرب كالسريان ، ففى نحوهم هذه المصطلحات ، فاذا أخذها من علمائهم فما ثم ما يمنع ٠

٧ ـ لو كان هذا من مبالغات الشيعة فما الذى منعهم من أن يضيفوا الى سيرة الامام أنه ابتكر أبوابا أخرى للنحو ؟ وما الذى منعهم أن يضيفوا الى الحسن والحسين رضى الله عنهما ما أضافوه الى أبيهما ، وكل بالمكان المفضل منهم ، مع أنهم بالغوا كل المبالغة في سيرة الحسين مما لا تزيد مبالغته ذرة في ميزان فضله ، ومع هذه

المبالغات لم يخطر للشيعة أن تنسب الى الحسين فضل المشاركة في بناء قواعد العلوم وارساخ أسس البحث والدراسة .

والتاريخ الصحيح لا ينفى وجـــود سريان ووجود من يعرف اليونانيــة في الكوفة ، بل يثبـــته ، ويثـبت أن في جيش الامـام من بنى الاحمر ، وفيهم علماء .

ووجود غير العرب في جيش الامام وفي الكوفة ـ وهؤلاء لـم يكونوا ذوى سلائق وفقه للغة العرب ـ يدعو الى التفكير في وضع خطوط بدائية تعين هؤلاء على النطق بالفصيح .

وليس بممنوع عقـلا أو منطقا ألا يضع الامام الخطوط الاولى للنحو استنباطا وتأسيا ، ومن الجائز عقــلا أن يكون الاهتداء الى النحو البدائى الساذج كتقسيم الكلمة منظـورا فيه الى النحـو في اللغات الاخرى التى كان من أصحابها بين يدى الامام طائفة كبــيرة فيها أصحاب علم وفقه ودراية بنحو لغاتهم .

وكانت الضرورة ملحة في عصر الامـــام الذى دخل في الاسلام من ليسوا بعرب الى وضع نظام يحفظ لسان الاعجمى من الزلل في آيات الله ، وكان الخليفة امام المســلمين وقائدهم الاعـلى وواضع خططهم الحربية وفقيههم وعالمهم وقاضيهم ومفتيهم وخازن أموالهم وراعيهم ووزير اقتصادهم وتموينهم ومعــارفهم وتجارتهم ورئيس أركـــان حربهم .

وكان الامام على في كل هذا بارزا موفقا ، وما دام الامر كذلك فلا مانع عقلا ولا منطقا أن يكون الخليفة الامام أشد الناس شعورا بالحاجة الى النظام الذى يحفظ القرآن من الخلل في تقويم عبارتـه وقراءة كلماته قراءة صحيحة .

وأيا كان الامر في مسألة النحو فان الشىء الذى لا يستطاع اغفاله هو أن الامام وضع الخطوط البـــدائية الاولى ورســم النهج فكان أول من رسم النحو العربى ووضعه وأسسه .

و « دور » أبى الاسود ـ كمـــا يظهر لى ـ أنه أضاف الى أثر الامام ما زاد من عمقه وشيوعه ولكن في محيط فكرى ضيق لا تتسع المحاولات الاولى لاكثر منه .

واذا كانت الادلة التى استدل بها الشاكون أو النافون وضع

النحو عن الامام علي فان نتائج ذلك نفي وضع النحو عن أبي الاسود نفسه ، لان ما يطعن فيما نسب الى الامام بأسباب وأدلة هو نفسه الذى يطعن فيما نسب الى أبي الاسود الذى لم ينف عنه أنه أول من وضع النحو أحد من المتقدمين أو المتـأخرين غير الاستاذ ابراهيم مصطفى في بحثه الذى ألقاه بمؤتمر المستشرقين ٠

ورأى الاستاذ ابراهيم مصطفى مردود لانه مبنى على أسس غير علمية ، وعلى أدلة لا تثبت أمام التجربة وحقائق التاريخ ، وحسبنا أن الاستاذ حمودة ـ الذى أشرنا اليه في أول بحثنا هذا ـ قد أسلم رأى الاستاذ ابراهيم مصطفى الى حيث ينتهى رأى غير مدعوم بسند تاريخي صحيح واثبات علمي قاطع ٠

والرواية التى تثبت أن أبا الاسود ـ بعد وفاة الامام وفي عهد زياد عندما كان عاملا لمعاوية على العراق ـ وضع علامات في أواخر كلمات القرآن كتابة ليهتدى بها الى حركات أواخرها حتى لا يختل اعراب القرآن تعيننى على أن أزعم أن حركة الامام على سابقته ، وأنه دل أبا الاسود على الخطوط التى رسمها له ، فلما رأى أبو الاسود أن تلك القواعد البدائية لم تكفل تقويم اللسان خطا خطوة جديدة نحو ضبط الكتابة ٠

ان الامام حاول ضبط الكلام وأبا الاسود ضبط الكتابة حتى يكون عونا للذهن ، فوضع العلامات التى تضبط أواخر الكلم احترازا من أن يخطىء اللسان اعرابها ٠

وعمل أبو الاسود ـ هذا ـ ليس رواية تاريخية حتى يتشعب فيها القول والاتجاه ، بل رواية تسندها المشاهدة ويؤيدها البرهان القائم على الحقيقة ، فقد كشف في مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط عن مصحف مخطوط يظن أنه أقدم مصحف مخطوط في مصر ـ وهو محفوظ بدار الكتب المصرية كما ذكر الدكتور حسن عون في كتابه « النحو واللغة » وفي هذا المصحف ما يؤيد الروايات التاريخية التى ذكرت أمر ضبط أبي الاسود المصحف بوساطة النقط بمداد أحمر ، حتى لا يزل القارىء في اعراب أواخر الكلمات ٠

تلقى أبو الاسود من الامام ما أرشده اليه ، ثم ابتكر مسألة ضبط أواخر الكلم في القرآن بوساطة النقط ، ولا يستبعد أن

يكون أبو الاسود ناظرا في هـــذا الى السريانية لانها كانت تضبط حركات الاعراب بالنقط ٠

أما الابواب المنسوبة الى أبى الاسود فنحن نشك فيها ، لان باب ان وأخواتها ـ مثلا ـ ينسب الى أبى الاسود استقصاؤه حتى لم يترك الا « لكن » التى أضافها الامام على لم يكن استقصاؤه مستوفي حتى زمن سيبويه في كتابه الذى عد فيه خمس أدوات ، وهى : أن ولكن وليت ولعل وكأن (الكتاب ١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠) وجعلها في باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها عمل الفعل فيما بعده ٠

ويلاحظ أن سيبويه جعل ان وأن (بالفتح والكسر) حرفـــا واحدا ، أما أبو الاسود فقد جعل كلا حرفا مستقلا ، وفرق بـــين المكسور والمفتوح وعدهما حرفين ٠

ولو كانت الروايات التى تذكر استقصاء أبى الاسود لباب ان وأخواتها صحيحة لكان لسيبويه أسوة بأبى الاسود ، ولكنه لم يكن لديه ولا لدى أساتيذه وزملائه وتلامذته علم بما نسب الى أبى الاسود مما يدل على أن رواية استقصائه لباب ان وأخواتها غير راجحة ٠

أما باب الفاعل والمفعول المنسوب اليه أو التعجب في صورته الساذجة قبل أن يصبح أمرا قائما على قواعد من المنطق والقيـاس فغير بعيد أن يهتدى اليه ، لان الالســـنة الدخيلـة والسلائق غير الاصيلة تخطىء في الفاعل والمفعول والاهتداء اليه ليس عسيرا عـلى أبى الاسود الذى كان من القراء الواقفـين عـلى أسرار اللغة العربية وفصحها ونوادرهـــا ٠

ولكن الذى نســـتبعده وننفيـه أن يســـتقصى المنصوبـات والمرفوعات بأنواعها ، ويضع قواعدها ٠

كما أن التعجب ليس عســيرا عليه أن يهتـدى اليه بعـد أن سمع ابنته تخطىء فيه فتنطق بعبارة التعجب في صيغة الاستفهام ٠

كل هذا جائز أن يهتـــدى اليه ، ولكن الذى لا يجـــوز هو الاستقصاء والتقعيد وشمول الاحكام ٠

وننتهى من هذا الى أن الامام أول من وضع النحو العربى ،

وأبا الاسود أول من ضبط ما رسم الامـام ، مع الاحتفاظ بفضـله في ابتكار علامات الحركة بالنقط بمداد أحمر ليخـالف بـين نقـط الاعجام التى ينسب وضعها الى نصر بن عاصم ونقط أبى الاسـود الدالة على حركات الاعراب في القرآن حفظا له من التواء الالسنة في اعرابه وتمكينا لغير أصحاب السلائق السليمة والراسخين في العلم من القراءة الصحيحة •

وليس فيما قلناه مخالفة الاستاذ السقا كل المخالفة ، بـــل تفريع لبعض ما ذهب اليه الا في مسألة واضع النحو الاول ، وكنت أود من الاستاذ الفاضل ـ وهو علامة جليل ـ أن ينقد النصـوص التى استشهد بها ويقفنا على رأيه المقوم ، لا أن يقدم لنا بحثا نفتقد فيه الشخصية ، ولا نجد فيه ما نلقـــاه عنـد تلامذته ، ويخلو من سمات قدرة الباحث العليم •

وكنت أنتظر منه في بحثه أن يقف قراءه أو طلبته على نشـأة كلمة « النحو » ومتى سمى هذا العلم المعروف « نحوا » ؟ ومن أول مـن أطلـقه ؟

المعروف أن هذا العلم لم يكن يطلق عليه « النحو » منذ وضع الامام على خطوطه البدائية الســـاذجة بل الذى كـان يطلق عليـه « العربية » ، ولعل أبا الاسود أول من اصطلح عليه فتبعه من بعده فسمى به ، الا أن نصا جديرا بالتأمل ورد في « المعارف » لابن قتيبة ص ١٨٨ في ترجمة زر بن حبيش أنه « كان أعرب الناس ، وكـان عبد الله بن مسعود يسأله عن العربية » وفي « المعـــارف » أن ابن مسعود رضى الله عنه توفي سنة ٢٣ هـ وفي الاصابة وغيره مثل ذلك•

فاذا صح ما ذكره ابن قتيبة ـ ونحن نشك فيه ـ فان النحو العربى يكون قد عرف حينئذ ، وبدأ قبل اجتماع أبى الاسود بالامام على بالكوفة ، لان الامام كرم الله وجهه سافر الى العراق بعد وفاة عثـمان ســـنة ٣٥ هـ •

غير أن التاريخ لم يشر الى وجود العربية التى هى « النحو » قبل اجتماع على وأبى الاسود ، ومن هنا كان في هذا النص نظر ،

بل كان هذا من أسباب شكنا في النص الوارد عن ابن قتيبة ، وما أدرى ما صحة نسبة هذين البيتين الى الخليل وهما :

ذهب النحو جميعا كله
غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع
فهما للناس شمس وقمر

فاذا صح أنهما للخليل ـ والخليل توفي سنة ١٧٠ أو ١٨٠ هـ وعيسى توفي سنة ١٤٩ هـ ـ فان اطلاق النحو على العربية كان في القرن الثاني ـ منتصفه ـ .

واطلاق « النحويين » على المشتغلين بالعربية كان معروفا في القرن الثانى أيضا ، فقد جاء في الكتاب ١ : ١٦٧ : « هذا باب استكرهه النحويون » .

وقيل : ان لقب يوحنا فيلبوس الدمشقى الذى كان بدمشق في عصر الراشدين وأوائل حكم بنى أمية يلقب عند العرب ويسمى « يحيى النحوى » الاسكولائى كما جاء في تاريخ الادب السريانى صفحة ١١٣ .

فهل كان العرب يلقبون يحيى بالنحوى لاشتغاله بالنحو في لغته ؟ ولكن التاريخ لا يحدثنا أن يحيى اشتغل بنحو لغته أو النحو في اللغة العربية ، بل كان يدير سياسة المال للامويين في حكمهم ، وكان مسيحيا متعصبا يهاجم الاسلام والمسلمين ويؤلف الكتب في الازدراء بهم وبعقيدتهم ويرد على القرآن دون أن تمتد اليه يد الامويين .

هذه اشارات الى استعمال كلمة النحو والنحويين بالمعنى الاصطلاحى ، ولكن هذا لا يكفى لتحديد أول من أطلق النحو على العربية ، ومع هذا يفيد من يريد دراسة ذلك ، وكنا ننتظر من الاستاذ السقا ـ أستاذ النحو العربى ـ أن يعالج هذه المسألة بما عرف به من العلم الواسع النافع والقدرة في هذا السبيل اللاحب .

والبحث الذى كتبه الاستاذ السقا في مجلة جامعة الملك سعود ليس كالبحوث التى عودنا اياها ، فقد طوته السرعة ، وبدا عليه

طابع الارتجال ، ولو كتبه غير السقا لكان له عذره ، أما أن يكتبه أستاذ النحو العظيم فلا ، وميزة الجواد أن يسبق أما يأتى مع غيره فذلك ليس من صفات المجلى المصطفى ٠

من ذلك أنه أراد أن يطوف بمدارس النحو ، ولكنه لم يوفق التوفيق المطلوب من عليم مثله في بيان شخصية مدرسة البصرة ، لانه ألم بتاريخها الماما ، دون أن يصف لنا خصائصها ودقائقها ويبين معالمها وسماتها الا في مسألة لا نشك أنها « العلامة الفارقة » بين مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ، تاركا النقاط الجوهرية للخلاف بين المدرستين ٠

قال الاستاذ السقا : « أراد ابن أبى اسحق الحضرمى وتلميذه عيسى بن عمر الثقفى أن تحكم اللغة بضوابط حديدية يفرضها التعميم المنطقى على المتكلمين باللغة جميعا دون نظر الى واقع اللغة واختلاف البيئات والقبائل ٠

وما كانت اللغة لتحكم بالقوانين العقلية ، وانما المناهج اللغوية مناهج اجتماعية تنظر الى ما بين أهل المجتمع الواحد من خلاف في القوى والاستعداد والبيئات ، ولا تنظر الى المثالية النظرية التى تعامل الناس بقانون واحد » ٠

وكنت أحب ألا يصف الضوابط بالحديدية ، فهى كلمة ثقيلة لا تناسب المقام ، وكان له في غيرها خير عوض ، ولو قال : «الضوابط المحكمة» لكان أدق في التعبير وأصدق في الدلالة وأدل على القصد وأبعد عن السوقة ولغة الصحافة المتذلة ٠

وأما ما نخالف فيه الاستاذ الجليل فيما ذهب اليه فكثير ، فهو يقول : ان ابن أبى اسحق وعيسى أرادا احكام اللغة بضوابط يفرضها التعميم المنطقى الخ ، وهذا حق نوافقه عليه ، لان هجيرى مدرسة البصرة اقامة قواعد ثابتة وايجاد نظام شامل ، وأما ما نخالفه فيه فقوله : « دون نظر الى واقع اللغة واختلاف البيئات والقبائل » ٠

والذى نعرفه أن مدرسة البصرة لم تستطع الوصول الى اقامة

قواعد العربية الثابتة بدون النظر الى واقع اللغة واختلاف بيئات المتكلمين بها ، فما من قاعدة نحوية عند البصريين الا كان الاستقصاء سبيلهم اليها ، وكان منهجهم الحكم بالتغليب الراجح على الشذوذ المرجوح مما جاء فيه أعم وشاذ ، حتى يضمنوا لها التفرد بالقوة ليكون لها الحكم الغالب كما في حرف « لن » الناصبة ، و « لم » الجازمة ٠

وليس اعتماد الشواهد واستقصاء كلام العرب خصيصة المذهب الكوفي بل هو خصيصة المذهب البصرى قبل الكوفي ، فالبصريون اطلعوا على كلام العرب وأخذوا بالاصح الاقوى الذى يصلح أن يكون قاعدة راسخة ونظاما متبعا ، ولم يغفلوا عما لا يتفق مع منهجهم العلمى الدقيق ، بل حسبوا حسابه ووضعوه في باب الشواذ عن القاعدة مما يسمع ولا يقاس عليه ٠

ومدرسة البصرة كانت تنظر في حذق ومهارة ودقة علمية ونظر ثاقب الى « واقع اللغة واختلاف البيئات والقبائل » فواقع اللغة الذى لم يغفلوا عن اعتباره غير متروك عندما وضع البصريون قاعدة الفاعل والمفعول والجار والمجرور وصيغ الفعل ماضيا ومضارعة وأمرا الى غير ذلك من الابواب ، فواقع اللغة الذى نراه قد جعل كل فاعل مرفوعا وكل مفعول منصوبا ، فبناء قاعدة لهما لا يتم الا بعد النظر الى واقع اللغة واختلاف البيئات والقبائل ، ومن غير ذلك لا تكون القاعدة قاعدة ٠

وان الاستاذ السقا قد فاتته الحقيقة عندما بنى على اختلاف القوى والاستعداد والبيئات بين أهل المجتمع الواحد قاعدة مختلفة هى عدم الخضوع لقاعدة راسخة واحدة ونفى النظر الى المثالية النظرية التى تعامل الناس بقانون واحد ٠

ان اللغة ظاهرة اجتماعية ، «والمناهج اللغوية مناهج اجتماعية» ولكن هذا أدعى الى تقعيد القواعد التى تحفظ المثالية النظرية سليمة من الخلل غير قابلة لاعتواره اياها ، لان الاستاذ استعمل كلمة لعلها جاءت عفوا ولكنها دلت على الحقيقة التى تنبثق من وحى الخاطر

والالهام فتهدم نظرية أقامها الارتجال أو تقليد الاحكام غير المحكمة ، فهو يقول : « اجتماعية » يصف بها المناهج ، والاجتماع لا يتأتى الا بعد جمع شتات المتفرقات وتوحيدها ليكون من ذلك قاعدة يصدر عنها الاشتات فلا يختلفون في الاصول ومنابع السجايا .

فالقاعدة عند البصريين يقصد بها حفظ لسان أهل المجتمع وجعله لسانا واحدا حتى تكون « اجتماعية » هي السلطان ولها الحكم .

فالاجتماع ينتج الاعم والافشى قاعدة البصريين .

ولو أخذنا برأى الاستاذ السقا في معاملة الناس بغير قانون واحد في النطاق غير اللغوى أو النحوى لكان الاستاذ أول الثائرين ، لان في ذلك تشتيتا للمجتمع ، وهو لا يرضى بهذا التشتيت .

ان جميع القواعد العلمية ـ في النحو وفي كل علم ـ تقوم على « المثالية النظرية » ولا ينقصها أو يقللها أو يجرحها شواذها ، فقانون الجاذبية من ناحية « المثالية النظرية » واحد أمام التعامل ، ولكن خروج آلاف الاجسام من قبضة هذا القانون حتى تجاوز بعضها نطاق الجاذبية بعشرات الآلاف من الاميال لم يصب القاعدة بالاختلال .

ولو فرض أن جسما أو آلاف الاجسام وسعها الخروج على هذا القانون حتى عجز عنها لما تغير حكمه الثابت .

كذلك القول في قواعد النحو التى تبنى كما تبنى قواعد المجتمع الاخلاقية والاقتصادية على الاعم والافشى كقاعدة البصريين في النحو . وأرانى ـ لهذا ـ غير قابل رأى الاستاذ السقا الذى مر ذكره ، كما أرانى غير راض عن قوله : ان « الذى آثره الكوفيون في منهجهم هذا أقرب الى طبيعة اللغة من المذهب البصرى » ومنهجهم ـ على رأيه ـ ان الكوفيين « أنكروا على البصريين اهدار ما سمعوه غير فصيح من كلام بعض القبائل ، وجوزوا القياس على كل ما سمع من كلام العرب ، حتى ولو كان بيتا واحدا وان خالف الاشيع والافشى في كلام العرب ، وبناء على ذلك الاصل جوزوا أن تبنى

قائدة نحوية بالقياس على المثال الواحـــد ، وهـو « الذى ســماه البصريون شاذا ، فلم يهدر الكوفيون شيئا من كلام العرب مطلقا ، مشهورا فاشيا أو غير مشهور » •

ومع هذا يقول الاستاذ الســقا : ان عمل الكوفيين أقرب الى طبيعـــة اللغـــة •

وما أدرى كيف يتفق مع طبيعة اللغة أو كيف يكون القرب اليها مع اباحة القياس على المثال الواحد الا اذا أريد هدم القواعد ؟

ان طبيعة اللغة تقبل القاعدة ـ كما أحسب ـ حتى تحتفـظ بالضبط وتوصف بالاحكام ، أما تركها دون قواعد ثابتة فذلك مـا تأباه طبيعة اللغـــة •

والقاعدة لا تبنى الا بعـــد اسـتقصاء الشواهد ، فاذا تمت « عملية » الاستقصاء بدأت عملية الفرز رغبة في تغليب الاكثر على الاقل ، والسائر على الشاذ ، والراجح المقبـــول عـلى المرجـوح ، والقوى على الضعيف •

وان عملية الاستقصاء والفرز تسلمنا الى الاختيار الذى لا يتم الا اذا أخذ القائمون بهذا الامر في اعتبارهم منزلة الشاهد واصالة لغته وقبيلته وقيمة النص وسلامته من عيوب اللسان والعلل التى تصحب الدخيل أو غير الموثوق به من القبائل التي تحرز اللغويون أخذ اللغة عنها لوجود من يرجحون عليها في سلامة السلائق وبيان اللسان وصحة المخارج وفصاحة النطق ، وأخذوا في اعتبارهم النظر الى فوارق اللهجات بين الحاضرة والبادية ، ولم يغفلوا عن القبـائل التى تؤخذ عنها اللغة والتى لا تؤخذ عنها •

وبعد هذا يتجهون الى القرآن يبحثون فيه عن مصادق أحكامهم ونتائج بحوثهم وحقيقة قواعدهم ، فاذا وجدوا في القرآن تأييـــدا وعضدا فما بعد كلام الله كلام •

أما ما ينفونه بعد الفرز مما لا يتفق مع الاغلب الاعم الذى فيه الغناء لبناء القاعدة فيهمل من الحسبان ، مع الاحتفاظ به لانه يصلح للباحثين في تاريخ القواعد المبنية على العــموم الغـالب لا الشـذوذ

المغلوب ، حتى يكونوا على علم وبصر بالتطور اللغوى الذى يتناسى في مراحله ما كان شاذا خارجا على الاعم الاغلب .

والبصريون على حق كل الحق في انكار التأسى بالشذوذ اذا عن للمتأخرين الاقتداء به حرصا على القـاعدة العامة أن تهـدم ، وابتعادا عن أن يصبح الشاذ قاعدة متبعة ، فيكون لكل كاتب لغة ، ويجد كل غالط حجة من المتروك يستدل به على صواب خطئه ويسوغ به ما لا يتفق مع القواعد النحوية ، ولا يجرؤ من يغلطه لان دليله الشواذ التى ندرت بها ألسنة لم تسم الى ذروة الفصاحة والبيان .

وانى أعجب من الاستاذ السقا أن يسمى عمل البصريين في ترك الشذوذ اهدارا لشىء من كلام العرب ، وعمـل الكوفيين أقرب الى طبيعة اللغة ، مع أن البصريين لم يهدروا شيئا من كلام العرب ، لان القياس عندهم — وعندنا — لا يتم الا على الاعلم الافشى ، فـاذا تركوا ما لا يتفق معه فذلك ليس اهدارا بل رعاية للقاعدة وحرصا عليها ، مع احتساب ما لم يعدوه فصيحا أو ما جعلوه من قبيـل الشذوذ رصيدا يفيد الباحثين في تاريخ القواعد .

ان البصريين استقصوا كلام العرب الموثوق بهم ، فأخذوا بما يعد صالحا لبناء القاعدة وأغفلوا الشاذ وسموه شاذا أو غير فصيح ليكون ذلك سمة له تميزه عن العموم أو الفصيح الـذى بنيت عليـه القـاعدة العامة .

وقد ذكر الاستاذ نفسه شاهدا على عـدم اهدار البصريين ، ولكنه لم يسقه ليثبت خلافا في بعض وجهات النظر بين البصريين أنفسهم ، وقال : « ان المخالف للاشيع الاكثر في كلام العرب عربى صحيح لا يهدر بل يحفظ ولا يقاس عليه » وهذا هو فصل الحـكم في هـذه المسـألة .

واذا أراد الاستاذ الفاضل من الاهـدار ابطـال القياس على الشاذ فالحق معه .

وينسى الاستاذ أن تكون السياسة من أسباب الخلاف بين المذهبين ، وعجيب هذا النفى منه ، فالعلماء نفوا أن تكون السياسة

سبب وجود أحد المذهبين ، وهذا صحيح ، ولكن أحدا لم ينف أن للسياسة أثرا في هذا الخلاف ، كماأن هناك آثارا لغير السياسة كاللؤم والطمع والجشع .

ان السياسة دخلت في العقائد الدينية ، ويعلم الاستاذ أن الامويين قالوا بالجبر تمكينا لسياستهم التى أنكرها الصحابة حتى يميتوا البواعث النفسية في الساخطين أو في الجماهير ويحملوهم على الرضا بما قسم الله لهم دون أن يحركوا ساكنا .

ان للسياسة دخلا في تاريث العداوة بين المدرستين ، كما أن للتعصب للبلد دخلا في تأجيج الخصومة ، الا أن السياسة لم تكن سبب ميلاد احدى المدرستين ، غير أن العداء السياسى للبلدين مما لا ينكره التاريخ ، ولكنه تطور فانتهى عند العلماء الى تنافس علمى كان له شأن كبير في نشاط المذهبين .

كما أننى لا أوافق الاستاذ السقا على رأيه أن مدرسة البصرة قياس ومنطق ، ومدرسة الكوفة مدرسة سماع ورواية ، فمدرسة البصرة لا تقل عن الكوفة رواية وسماعا بل بنيت قواعدها على الرواية والسماع ، ومن أقطابها من يفضلون أمثالهم من الكوفيين فيهما ، مثل أبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وابن أبى اسحاق وسيبويه ، ولكن ميزتهم أرز الكلام العربى أرزا حسنا .

واذا أردنا أن نصف مدرسة الكوفة بالقياس فان الدليل لا يعوزنا اذا نظرنا الى العدد ، فالكوفيون قالوا بالقياس بل قال امامهم وهو الكسائى :

انما النحو قياس يتبع وبه في كل علم ينتفع

واذاكان البصريون يقيسون على الاعم الاغلب فانهم جعلوا للقياس طريقا واحدا ، أما الكوفيون فهم يقيسون على الاعم الاغلب مثل البصريين ، ويزيدون أنهم يقيسون على الشاذ ويقيسون على المصنوع ، وعلى المنحول ، وعلى المثال الواحد ، وعلى كل ما ورد اليهم من الكلام صحيح النسبة أو دعيا .

غير أن القياس الصحيح نجده عند البصريين ، والفارق بين

القياس عند هؤلاء وعند الكوفيين أن قياس البصريين أحكم ، وهو ـ بعد ـ قياس ذو طابع علمي ، أما الكوفيون فتركوه دون حدود مرسومة مما يوحي الى أنهم لم يريدوا غير المخالفة ليجعلوا لهم مدرسة أمام مدرسة البصرة ، لانهم بغير هذه المخالفة لا يسعهم تشييد مدرستهم ٠

وأكاد أشبه مذهب الكوفيين في النحو بمذهب السوفسطائيين في الفلسفة ، كماأستطيع أن أشبه مذهب البغداديين في العربية بالبراجماتزم في الفلسفة ٠

ولعل ضبط القواعد النحوية عند البصريين وأحكامها وتحرير النظام ورسوخ البناء ووثاقة التركيب ودقة التطبيق أتاحت لمذهبهم أن يسود ، كماأن الكتب المؤلفة على مذهب البصريين جعلته صالحا للدراسة والبحث والنقد والتطبيق ٠

أما الكوفيون فلم تصل مؤلفاتهم الى الناس الا قليلا ، وآراؤهم لم تكن ـ في أغلبها ـ الا لمجرد الجدل وبالازراء بمذهب البصرة حتى يجعلوا لمذهبهم وجودا وكيانا مسنودين من قبل الحكام طمعا في دنيا يصيبونها منهم ٠

واذا درسنا سير أئمة البصريين والكوفيين خرجنا بنتيجة تثبت زهد البصريين وتهالك الكوفيين على الدنيا ودفاعهم عن حطامها ٠

ولست بهذا أجرد الكوفيين من التوفيق في بعض ماذهبوا اليه، بل أعرف أن مدرسة الكوفة وفقت أكثر من مدرسة البصرة في بعض أبواب النحو كاعراب المضارع واعمال اسم المصدر مثل المصدر ٠

والنحو الذى يدرس في جميع الاقطار العربية على مذهب البصريين ، وحسب مذهبهم فخرا أن يزوى منافسه في الكتب ، ويحل محله في موطنه الاصلي ٠

ثم ان جميع المصطلحات النحوية منابتكار البصريين الا النادر، والقواعد والاصول ثمرة جهدهم الخاص ، ورجحان آرائهم ، وصحة قواعدهم،ودقة نظامهم لاسبيلالى نكرانها ، حتى أنالكوفيينأخذوا عن

البصريين وتلمذوا لهم، أما البصريون فلم يأخذوا عن الكوفيين، وأزر الكلام عند البصريين وتشددهم في اعتماد الشواهد وتحريهم ونقدهم ، أما الكوفيون فقد تساهلوا فأخـــذوا ممن لا يوثق بعربيتـــهم ، ودفع بشيخهم وامامهم الهوى على تغليط الصحيح بسقيم ، وحمـل قوم على شهادة زور تمكنه من تابعه •

كما أن ضبط القواعد من عمل البصريين ، أما الكوفيون فقد اعتمدوا الشواذ واللغات ومن لا يوثق بعربيتهم •

وميزة مدرسة البصرة بناء القـــاعدة عـلى الاصـــول العلمية الصحيحة ، وهي الاخذ بالاعم والافشي ، ووصـــف ما لا يتفق معه بالشذوذ أو الضعف أو الخطأ ، أما الكوفة فتعتمد على الســـماع والرواية والقياس في غير منطق علمي ولا بصيرة ، فتضع القواعد في باب واحد بعضها بجانب بعض اعتمادا على الاعم ، وعلى النادر ، وعلى الشاذ ، وعلى غير المشهور ، وعلى المصنوع •

بل تعتمد مدرسة الكوفة على المثال الواحـــد كمـــا أشـــار الاستاذ السقا •

والمذهب البصرى يفحص كـــلام العرب ويتقصى شـــواهـــده ويستقصيها ثم يضع القاعدة تاركا ما لا يتفق مع منهجه وهو الاعم الاغلب ، معتبرا اياه شـــاذا ، أمـــا الكوفي فيدير أصول قواعـــده مـــع مسموعـــاته •

والمذهب البصرى مذهب العقل والنقل معا ، ومذهب الحرية والمنطق ، والرواية والقياس ، وقاعدته هى قاعدة العلم الثابتة التى لا يعتورها الخلل كلما ورد بيت شاذ ، أو شاهد مصنوع ، أو كلام منحول يملـــيه الهوى ، قاعـدة البصرة هى التى تذود عن نفســـها الفوضى والاضطراب ، أمـــا مذهب الكوفة فيقبل الشاذ والمصنوع والموضوع والمنحول وما لا يتفق مع المنطق اللغوى والنحوى ، ويضع لكل ما يسمع أو يحب ـ دون سماع ـ قاعدة •

وهذا ما جعل المذهب البصرى حيا يطوى الاجيال والعصـــور لانه مذهب ديناميكى ، وينزوى المذهب الكوفي لانه مذهب ستاتيكى، والبقـــــاء للاصـــلح ؟

الوضع والتعريب

منذ نحو ربع قرن كتبت في هذا الموضوع فصلا نشرته بكتابي المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ بمطبعة أم القرى وأبديت آراء ما زلت أدعو اليها ، ولو كان « كتابي » هذا في خزانة كتبي لنقلت بعض الافكار التي أراها أهلا للاخذ بها في النهضة باللغة العربية ، ولعل أحد القراء يفضل علي بكتابي هذا الذى طال بحثي عنه .

لماذا لا يباح لنا أن نضع ونجدد في الحدود التي تبيحها لنا قوانين العربية ؟ لماذا يساء الظن بنا نحن الالى نملك اللغة ؟ اذا أبيح التجديد في الدين والفقه والتشريع فان من البداهة أن يباح في اللغة.

ان بدعة التقليد التي نعيش فيها هي التي تسيطر علينا فتمنعنا من التجديد والاصلاح ويقيم بعض مدعى الغيرة على العربية من أنفسهم حراسا عليها يذودون كل فكرة يراد منها الخير للغة القرآن .

ان القدماء يسيئون الظن بغير القديم ، بل كان في القرن الثالث والقرن الرابع من العلماء من يزرون بالجديد ويبعدون أصحابه من الاحتجاج بهم ، ويسمونهم « المولدين » تمييزا لهم عن أسلافهم ، بل بلغ لديهم الازراء بالجديد الى حد التعصب الاعمى ، فقد قرىء على أحد أئمة العربيةشعر لبعض المولدين ولم يذكر بين يديه اسمه ، فأعجب به ورضي عنه ، فلما استوثق من اعجابه ورضاه أخبره أنه فلان الشاعر المولد ، فانقلب رضاه سخطا واعجابه سخرا وازدراء .

ومثل هذا الامام العظيم يزوى عقله وادراكه فلا يستخدمهما في تمييز الغث من السمين ، ويدفعه تعصبه الى تبجيل القديم وان رث ، وتحقير الحديث وان سما .

وكان من أصحاب المعجمات كالجوهرى والازهرى وابن سيده يتحاشون الجديد أو الموضوع من الكلمات الجديدة ، فلا يدونونها

في معجماتهم ، حتى حجروا واسعا وحرموا حلالا ، ووقفوا اللغة عند الحدود التى تركها أصحابها الاصلاء ، وبذلك فقدنا ثروة حية جعلت لغتنا السمحة السهلة المرنة الطيبة فقيرة جامدة ٠

والقياس أحد أركان الفقـــه الذى يتصل بالعقيدة والعبادة ، وجدير أن يكون أحد أركان اللغة ، وما دام الدين نفسه اســـتعمل كلمات لمدلولات جديدة غير معروفة فان من الحق لنـــا نحن الذين نملك اللغة أن نصنع ذلك ٠

وأصحاب اللغة الاصلاء أنفسهم استعملوا كلمات غير عربيـة من مختلف اللغات ، ولم يحملهم التعصب على التنكر للغريب بـــل أدخلوه في عربيتهم دون أن ينهض من يجبههم ويتهمهم بالهوى أو العجز ، بل القرآن نفسه استعمل كلمات كثيرة معربة بعضها مـن الحبشة وبعضها من السريانية وبعضها من اللغة العبرية ٠

وان في لغتنا العربية أكثر من خمسين ألف كلمة معربة يظن علماء اللغة أن أكثرهـــا من صميم الفصحى الذى وضعه العرب ٠ وما زعم هؤلاء ما زعموه الا لجهلهم باللغات الاخرى ، أما وقد اتسعت الدراسة اللغوية فقد استطعنا أن نستدل على المعرب الدخيل الذى ظن فصيحا من وضع العرب ، ومـــا هو في الحقيقة الا منقول من اللغات غير العربية ٠

واذا أبيح لناأن نبتكر في المعانى ونعجب بالمبتـــكرين ونرفع ذكرهم وقدرهم فان مما لا أسيغه أن نمنع الابتكار والوضع في عالم الالفـــاظ والكلمات ٠

والحجر عـلى المجـددين باسـم الغيرة على اللغة تجن عليها ، ولســنا نحن أكثر غـيرة عـلى العربيـة من القرآن الكريم لسانهـا المبين ، فالقرآن استعمل كلمات معربة ، والرسول صلى الله عليه وسلم استعمل مثلها ، والعرب الاقحـــاح صـنعوا صـنيع القرآن والحـــديث قبلهما ٠

فاذا كان بيننا من يتأسون بأبى عبيدة وينفون أن في القرآن كلمات غير عربية ، ثم يطلبون أن نضع ونبتكر فان هـؤلاء قـــد

أباحوا لانفسهم ما لم يبحه القرآن ورسول الاسلام والعرب •

يقول أبو عبيدة : « ليس في القرآن سوى لسان العربية ، ومن زعم خلاف هذا عظم على الله حجته • قال تعالى : (انا جعلناه قرآنا عربيا) » •

ان أبا عبيدة لم يفهم حقيقة العربية في مسألة الوضع والتعريب ، لانه أنكر مباحا وحرم حلالا ، وشدد النكير على من قال ان في القرآن الكريم كلمات أعجمية في أصولها وميلادها •

ووجد أبو عبيدة اتباعا أعلنوا باسم الغيرة على اللغة العربية الحرب على كل جديد مبتكر ، وزعموا أن الوضع ليس من حق المولدين والمحدثين ، وأغلقوا باب الوضع اغلاقا عنيفا محكما ، وغفلوا عمن هم أكبر من أبى عبيدة وأكثر غيرة على العربية والقرآن والدين وأعظم حبا لله •

اذا زعم أبو عبيدة ذلك فقد قال من هو أعظم منه وأفضل ان في القرآن كلمات أعجمية ، فقد روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في أحرف كثيرة أنها غير عربية مثل : سجيل ، وأباريق ، واستبرق، ويم ، وطود ، وهم أعلم بالتأويل من أبى عبيدة وأعظم منه غيرة على العربية وفهما لها •

لماذا لا نأخذ برأى عباس ومجاهد وعكرمة ونتخذه نبراسا لنا فيما نريد للغتنا من سعة ونهوض ؟ ولماذا لا نقتدى بالرسول عليه الصلاة والسلام نفسه ؟ فلقد روى مسلم : انه عليه السلام قال : اشتكيت درد ، ودرد في الفارسية بمعنى الوجع ، ولما كسا النبى صلى الله عليه وسلم أم خالد قميصه وأشار الى علمها قال : سنا أو سنه بالتشديد ، ومعناه بالحبشية : حسن •

وأنا أبيح أن نستعمل درد الفارسية وسنا الحبشية في فصيحنا لان امام الفصحى الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم استعملها ، وان صنيع رسولنا جدير بالنظر والاهتمام من المشتغلين باللغة ، وقمين أن يرشدنا الى ما يجب أن نتخذ من طرق ووسائل لاربار المعجم العربى وانماء العربية •

ان في الفصحى عشرات الكلمـــات التى تؤدى معنى درد وسنا ، ومع هذا استعمل الرسول عليه الصلاة والسلام اللفظ غير العربى ، وما في الوجود من هو أغير على لغة القرآن منه عليه السلام ، وليس أسلم منه ذوقا وأرهف حسا ، هذا اذا صح عنه صلى الله عليـــه وسلم ، واذا لم يصح ففى مئات الكلمـات المعربـة التى جاءت في القرآن والحديث ما يدل على سماحة العربية واتســـاع صدرها لمـا هى في حاجة اليه •

ثم اذا كان من حق بدوى جلف لا علم عنده ولا ثقافة لديه أن يبتكر ويضع فما يمنع العلامة المثقف من هذا الحق ؟ ألأنه تخلف في الزمن ؟ ان التخلف في الزمن ليس ذنبا يحاسب به صاحبه ، فمحمد تخلف في الزمن عن جميع الانبياء والمرســلين وكان أفضلهم طرا ، وأعظمهم قـــدرا •

ان من حق المحدثين أن يضعوا ، والا من أين نأتى بمن يضعون لنا ما نحن في حاجة اليه من الكلمات ؟ اننـــا لا نستطيع أن ننشر الموتى الذين كان من حقهم الوضع لانهم أصحاب اللغة الاصلاء !

ان العلماء الذين رأوا أن الوضع من حق أولئك القدامى وليس من حق المحدثين جاءوا بما يحجر اللغـة ويزويهـا في حدود ضيقة ، ويجعلها تعيش على أنقاض الماضى ، ويقطع صلتها بكل جديد مـــن الآداب والعلوم والفنون ، وبكل حديث في الحضارة المتجددة •

وان من الخسارة الفادحة التى حلت باللغة العربية أن أخذ الناس برأى الذين منعوا الوضع عن غير القدماء ، فلم يوفقوا لاحداث كلمات جديدة ، وبقيت العربية جامدة متخلفة عن موكب الحضارة والمدنية والعلم كل التخلف •

والوضع من حق كل فرد كما كان عند القدماء ، فاذا كان هذا الحـق لكل بدوى جـلف ، فــان من الجـــور أن نمنعه عن المثقفين والعلماء المعاصرين •

ومع تقدم العالم العربى ومعرفة أبنائه لروائع الانسان أيــا كانت لغته ، ومعرفة كثير من العرب للغات الاجنبية فــان ســيطرة

القدماء علينا ما تزال قوية ، بحيث جعلت الاقوياء الشجعان منا يخافون فلا يضعون اتقاء لغضب من يتظاهر بالغيرة على لغة القرآن فيمنع الوضع والتعريب .

وأنا أبيح الوضع والتعريب ، وأدعو اليهما ، ولا أخشى على العربية منهما ، لان العربية ليست من الضعف بحيث تختفي أمام جيوش الكلمات الجديدة التي نضعها ، بل العربية قوية مرنة ، وما جمدت ووقفت الا في عشرة القرون الاخيرة .

وكان في عصر العباسيين من وضعوا وعربوا ، ولكن المعجمات العربية خلت من ذلك لان ما وضعوه أو عربوه مولد جاء متأخرا عمن لا يوثق بهم فأهملوه ، وبذلك أفقدونا ثروة عظيمة ، ولولا أن كتب الطب والرياضة والعلوم بقيت حتى عصرنا هذا لفقدنا شيئا كثيرا ، وهذه الكتب التي بقيت ليست كل مؤلفات العرب في هذه الميادين ، ولكنها بعضها وفيها ثروة وغنى ، وبوساطتها نستطيع أن نزيد في مواد اللغة بعد أن نحيط علما بمنهج هؤلاء في الوضع والتعريب .

انني أدعو الى الوضع والتعريب وأطلب فتح الباب لهما ، وألا نقف في وجه الجديد ، وبغير هذا لن نستطيع أن نجعل لغتنا العربية العظيمة عظيمة في حاضرها ومستقبلها كما كانت عظيمة في ماضيها ؟

حق الوضع

سؤال يثب الى الذهن بعد قراءة مقـــالي السابق ، ولا بد أن نجيب عليه ما دمنا أبحنا الوضع ورأينـــاه ضرورة لازمة اذا أريد تضخيم اللغة وارباء معاجمها .

من الذي يحق له الوضع ؟ أستطيع أن أقول : ان كل ناطق باللغة العربية يحق له الوضع ، لان اللغة ملك المتكلم ، فمن حـق المالك أن يتصرف في ملكه تصرفا لائقا والا حجر عليه .

ولكن اذا أبحنا الوضع لكل ناطق بالعربيـــة فاننا سنجابه مشكلة لا حل لها ، لان الاباحة المطلقة تفضى بنا الى الفوضى .

غير أنني أرى أن الفصحى لم يضعها عليه الناطقين بها ، بل اشترك فيها مختلف طبقات الامة العربية ، وفيها الرفيع والوضيع والخاص والعام ، وكل من هب ودب ، ولذا رأينا في الفصحى كلمات لا حصر لها تدل على كدر القريحـة والذوق ، ومـا أشـك أن مـن وضعوها لم يكونوا ذوى ذوق سليم واحساس مرهف ، وكذلـــك القول في كل لغة من لغات بني الانسان .

ليضع كل انسان ما يعن له ، والاستعمال وحده هو الـذى يشهد للكلمة بالحياة والقوة ، وما يغفله ينحدر من تلقاء نفسه الى اللحد يتوارى فيه ، وهذا ما حدث في الفصحى نفسها .

نحن في حاجة الى كلمـــات في الادب وفي الرياضة والكيمياء والزراعة والصناعة والطب والجغرافيا والتاريخ والميكانيك وغيرها ، وما يستطيع الاديب أو الكاتب وحده أن يقوم بالوضع ، فيحدث لكل مسمى اسمه الذى يصلح له ، لان ذلك محال ، اذن ، لا بد من أن يضع كل فريق من الكلمات ما يخص مهنـته وعمـــله ، فمهندسو السيارات يضعون أسماء الآلات التى يعرفون وظائفها مما لا يجدون له في العربية ما يحسن أن يطلق عليه ، وهكذا حتى اذا اجتمـع في

صعيد اللغة آلاف الكلمات قام العلماء والادباء ممن وصلوا القمة بالاختيار واقرار ما يرونه صالحا ، واسقاط ما يرونه حوشيا أو ساقطا .

ولا بد أن نتجه الى اللغة العامية وننتقي منها من الكلمات مما لا نجد له في العربية نظيرا ، يجب علينا ذلك قبل أن نمضي الى الوضع نتجه الى العامية نختار من كلماتها ما نراه صالحا ونتجه في الوقت نفسه الى الوضع ، حتى لا نضيع الزمن ، فحسبنا ما أضعنا منه حتى تخلفنا عن ركب الحياة المجد الناهض .

وسيصيح بعض الجهلاء الذين يتظاهرون بالغيرة على اللغة العربية ويزعمون : ان في ذلك اضرارا بالعربية لاننا نحتاج الى عشرات الآلاف من الكلمات ، فاذا قمنا بالوضع والتعريب وحصلنا منهما على مائة ألف كلمة ـ مثلا ـ وأضفناها الى معجمنا العربى ، فقد كتبنا على الكلمات الفصيحة أن تندس بينها وتصبح قلة في هذه الكثرة التى تتضخم كل يوم ، لان الحياة الحاضرة والحضارة الحديثة تقذفان الى الوجود كل يوم جديدا من المخترعات والنظريات، واذا مضينا في هذا الطريق عشرين سنة أصبحت الكلمة العربية غريبة بين الكلمات الدخيلة .

وأنا أسأل : وماذا في ذلك ؟ اذا وضعنا وعربنا واشتققنا وأخضعنا كل ذلك لموازين العربية الدقيقة فلا حرج أن تأخذ مواضعها من المعجم العربى ، وما ثم نبو ما دام ما نحدثه نعتده عربيا ، وما الاثم أو الحرج في ذلك ؟

ان ما نحدثه عربى ، وما دام عربيا فلا حرج أن يسلك في سمط العربية .

لو حققنا كل ألفاظ العربية التى نستعملها لوجدنا الدخيل وما نقل معناه الى معان جديدة لم تخطر في ذهن الواضع أو الوضعة أكثر من الالفاظ العربية الاصيلة .

بل المجاز أخرج كل الكلمات من مواطنها الاصيلة الى معان جديدة لم يعرفها الواضعون ، حتى الكلمات التى أصبحت شعارا

كالمجد والقراءة والكتاب لم تكن في الاصل بمعانيها التى نستعملها ، بل غادرت مواطن دلالاتها الى مواطن جديدة أنزلها فيها المجاز ٠

وكل هـذا يدل على أن الوضع ضرورة للغة ، وانه من « المعطيات » ولكن لسوء حظنا وتخلفنا في ميادين الفكر والحضارة ما نزال على شواطىء المعطيات في حين أن اللغات وأصحابها شقوا المحيط الثائر وقهروه ، ولم ينهض فيهم من يجبههم كابن فارس الذى قال : « ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نتخذ قياسا لم يقيسوه » بل تطلعوا الى الفضاء وغزوه ٠

ان ابن فارس كان من أئمة اللغة في القرن الرابع ، وله فيها مؤلفات جليلة عالية مثل « المقاييس » و « المجمل » وله آراء علمية طريفة مبتكرة لم يسبق اليها ، بل معجمه « المقاييس » معجم فريد في نوعه ، ومع عبقريته أنكر الوضع والقياس ، ومنعهما ، وأخذ الناس برأيه وآراء أمثاله حتى كتبت الغلبة للعامية على الفصحى ، وأصبحت لغة كل الناس في الخطاب دون استثناء ٠

ولو لم يتخذ هؤلاء الائمة من أنفسهم « شرطة » يحملون العصي يقنعون بها كل من أباح لنفسه الوضع تقنيعا لتطورت العربية خلال عشرة القرون الماضية ٠

ولولا أن الادباء والشعراء والفنانين والعلماء منذ العصور العربية أباحوا لانفسهم الوضع والتعريب والاشتقاق لحرمت العربية من هذا التراث الذى يملأ الارض ٠

ولو أن نقلة العلوم أوثقوا أنفسهم بقيود ابن فارس لما نقلت كتب أرسطو وأفلاطون وكتب الهند وفارس ، ولحرمت العربية من حضارة انسانية عظيمة ما يزال المنصفون في العالم يشهدون لها ويعجبون بها ٠

ونرى أن الضرورة في أيامنا هذه الى الوضع والتعريب أشد منها في أى وقت مضى ، لان الحاجة تقضى علينا بألا نتخلف أكثر مما تخلفنا ، وما يصح أن نحبس العربية في قمقم لا تستطيع أن تتحرك فيه أو تستنشق الهواء منه ٠

وان من البر بلغة القرآن أن نجعلها لغة حية متطورة ، وألا نغفل عن خصائصها وامتيازها وأصالتها ومرونتها ، وحسبها السجن الذى عاشت فيه، ذلك السجن الذى وضعها فيه ابن فارس وأصحابه .

ان العربية لم تستغن في ماضيها المشرق عن الوضع والتعريب، فلماذا لا نبيح لانفسنا ما أباحه أصحابها لانفسهم ، ان كانوا يملكون حق الوضع لانهم أصحاب اللغة فان المحدثين أصحاب حق أيضا لانهم يملكون اللغة كما كان يملكها القدماء .

وننتهى من هذا الى أن الوضع ضرورة لا مفر لنا منها ، ولكن يجب علينا ألا يخرج ما نضع أو نشتق أو نعرب عن موازين العربية وقوانينها ، حتى يكون ذلك ماشيا على سنن العرب ، وقد صدق ابن جنى الذى يقول : «ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» .

وأذكر أن الاصمعى كان بمجلس الرشيد فأهدى اليه فرس أعجبهما ، فشرط الرشيد على الاصمعى أن يسمى كل عضو في الفرس وألا يترك شيئا ، ونهض الاصمعى وأخذ يضع يده على كل دقيق وجليل من أعضاء الفرس وأخذه .

ذكرت هذه القصة وقلت : لو أن أحدا من حكامنا أحضر مائة من أساطين اللغة وأحضر لهم سيارة وطلب اليهم جميعا أن يشتركوا في تسمية أجزائها وشرط لكل منهم مثلها اذا استطاعوا جميعا أن يسموا كل أجزاء السيارة ، أكانوا يستطيعون ما استطاع الاصمعى وحده ؟

لو كنت مستشارا لهذا الحاكم لاشرت أن يضيف الى شرطه عشرة آلاف جنيه مع كل سيارة ، وهو آمن أنهم لن يستطيعوا .

أبعد هذا نمنع الوضع والتعريب ؟!

ان المنع من أشنع الذنوب ، فلا بد أن تتفق الكلمة على اباحة الوضع والتعريب حتى نعين لغتنا على النهوض ، وتقوم لجان مختصة لدراسة الكلمات العامية الصالحة وقبول ما يضعه الناس كل في اختصاصه .

ومن غير ذلك لا نستطيع أن ننهض بلغتنا ، وليس من الغيرة

تحريم ما أبيح في اللغات جميعا ، ولم يحرم الدين ذلك ، بل وضع وعرب واشتــق ، وآن لنــا أن نقتــدى بالقرآن والحديث والعرب أنفسهم اذا أردنا أن ننهض بلغتنا ؟

* * *

اللغة والعلوم

الامم المستقلة تدرس العلوم في مدارسها وجامعاتها بلغاتها الوطنية ، فالانكليز يدرسون في جامعاتهم علوم الطب والكيمياء والهندسة والرياضة وغيرها باللغة الانكليزية .

وليست الامم الكبيرة وحدها هي التي تجعل لغتها لغة العلوم في جامعاتها ، بل هناك أمم صغيرة تصنع ذلك ، ولغات هذه الامم ليست من اللغات الحية المشهورة السائرة ، بل تكاد تكون لغات محلية مثل اليونانية والاسبانية والبرتغالية والصينية واليابانية والهولندية واليوغسلافية والتركية والفارسية والعبرية .

ومع هذا يدرس الطب والكيمياء والهندسة والرياضة باللغة اليونانية وغيرها من اللغات الصغيرة ، حتى اللغة العبرية أصبحت لغة العلوم ، الا اللغة العربية ، فما السبب ؟

أعتقد أن السبب ليس قصور اللغة العربية ، ولكن الاستعمار هو السبب ، فاليونان أمة صغيرة تعيش في رقعة تعد بالنسبة للبلاد العربية من المحيط الى المحيط جيبا صغيرا بالنسبة لها ، ولكنها مستقلة ، وهذا الاستقلال جعل لغتها ذات سيادة ، أما العرب فكانوا مستعمرين للترك الذين فرضوا عليهم لغتهم واعتقلوا اللغة العربية حتى أضعفوها ، ثم جاء الاستعمار الغربى فصنع صنيع الترك بالعربية .

ولهذا جعلوا لغة العلوم بالانكليزية والفرنسية حتى يقضوا على العربية بوساطة القضاء على لغتها ، لانهم يدركون أن اللغة هى الكيان ، فاذا قضى عليها قضى عليه .

واللغة العربية ليست أقل من اليونانية والعبرية ، بل هى لا تقل في قوتها وجمالها وسعتها عن اللغة الانكليزية ، فاذا استطاعت اللغة العربية في القرن الثالث والرابع أن تكون لغة

العلوم والفلسفات والحضارات المختلفة فهي صالحة أن تكون هذه اللغة في هــذه الايام .

ألم يكن « القانون » في الطب لابن سينا باللغة العربية ؟ ألم تستطع لغـات لـم تكن في سـيرورة العربيـة وقوتهـا وسعتها أن تترجم « القانون » ؟

اذا استطاعت اللغات الاوروبية قبل نهضتها في القرون الاخيرة أن تتسع للقانون فيترجم اليها ويكون المرجع الاول والاكبر في علم الطب بضعة قرون ، فان الدليـل قائم عـلى أن العربيـة في العصر الحـاضر تستطيع أن تكون لغة علم .

ومـا يشـك أحد أن اللغـة العربيـة التى وسعت العـلوم والفلسفات قبل بضعة قرون حتى كانت لامم الارض اللغة العظيمة التى تنزل عليهـا ضيفـا كلمـا أرادت أن تترجم المعارف الانسانية والعلوم وما تزال كما كانت في قوتها ومقدرتها .

وان تدريس العلوم في الجامعات العربية في البلدان العربيـة باللغات الاوروبية اتهام صريح للعربية بالعجز والقصور وعدم الصلاح .

واذا كان ذلك جائزا والعرب مستعمرون فـان من العار أن نقبل ذلك الآن بعد أن استقل العرب وقويت اللغة العربية .

واذا كانت أوروبا عندما كانت لغاتها محلية محدودة تدرس العلوم بوساطتها ، وكان « القانون » والكتب العربية منقولة الى تلك اللغات المحلية فلا يصح أن نغفل العربية في أيامنا هذه ونستبدل بها اللغة الانكليزية أو غيرها في تدريس الطب والعلوم الاخرى .

واذا كـان الطـب والكيميـاء والهندسـة والرياضـة تدرس في عهـد محمـد علي باشـا وما بعـده من العهـود باللغـة العربية فان من الخيـانة لديننـا وأنفسـنا وأوطاننا ولغتـنا أن نجعـل تدريس العلوم بغير العربية .

وان جامعة سوريا استطاعت أن تدرس الطب في أيامنا هـذه بالعربية ، وهذا دليل على قدرة اللغة العربية على تدريس مختـلف العلوم بالعربيـة .

وما يقول أحد ان العربية أقل من اليونانية حتى نهملها ولا ندرس بها العلوم •

ان العربية تستطيع ، ولكننا نحن الذين لا نريد •

واذا كنا ونحن مقبلون في العالم العربى كله على نهضة قوية تتناول كل شئون الفكر والحياة لا نهتم بلغتنا بل نتهمها ونهملها ، فمتى نهتم بلغتنا ؟ ومن ذا يهتم بها ؟

يجب علينا أن نعنى بلغتـنا ونجعلها لغة العلوم في جـامعاتنا دون أن نتجهم للغات الحية ، لان تعلم اللغات فريضة وضرورة حتى نكون على علم بما فيها من تراث وذخـائر ، ولكنى أطلب أن تكون لغة علوم جامعاتنا اللغة العربية التى لا تعجز عن ذلك •

نعم ، ان العربيـة لن تعـجز في حاضرها عما قدرت عليـه في ماضيها ، وان من العار أن يترك الانسان لغته الى أخرى ، ويتطاول على لغته بالازدراء والتحقير ، من العار أن يرتكب هذا الاثم ولغته من خير اللغات وأقواهـــا ؟

الألفاظ

كائنــــات حيــــة

لا تنكر على الطفل اذا فتل منه الساعد ونما العظم وكبر انه أصبح رجلا ، لانه كائن حى تطور مع الزمن ، وكذلك الالفاظ ، انها كائنات حية ، تولد ، فبعضها يموت ساعة يولد ، وبعضها يعيش ثم يفنى ، وبعضها يتوارى ، وبعضها يعيش ويعمر طويلا، ويمشى مع الزمن ، وبعضها يتطور وينمو على مر الايام •

بل يكاد يكون أكثر الالفاظ متطورا ، لان المعنى الاصلى الذى يوضع له قد يصبح مجهولا ليحل محله المعنى المجازى الذى انتهى به الى التطــــور •

فالمجد ، والقلم ، والكتاب ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، والاسلام ، والعظمة الى ما لا يحصره العد من الالفاظ قد انتقلت الى مدلولات جديدة لم يعرفها واضعوها حينما وضعوا وتواضعوا عليها •

ويجب ألا نجمد ونحمل لغتنا الحية النامية على الجمود ، بل يجب أن نساعد على تطور الكلمات وعلى حمــل معــــان جديدة . لان وظيفة الكلمة أن تدل على معنى ، ولا بأس أن تدل على غير معــــنى واحد ، أو تتسع في الدلالة ، أو تحمل جديدا •

ويجب أن نفرح اذاحملت كلمة نعرفها معنى جديدا كما نفرح للمرأة الولود ونبتهج بالمولود •

ويجب الا نعجل بتخطئة المجددين ذوى السلائق الحية والقدرة على الفهم ، ونتجنى على الجديد لانــه جــديد لــم تعرفــه العرب في جاهليتها أو اسلامها لان اللغة خادمنا ولسنا نحن بعبيدها •

أذكر أن عالما خطأ كاتبا لانه استعمل كلمة « التقليد » في معنى الاتباع ، لان من وضعوها لم يعرفوا لها هذا المدلول الجديد •

وأنا لا أرى خطأ في استعمال التقليد بمعنى الاتباع وان كان هذا اللفظ مغنيا عن الآخر ، لان اثنين خير من واحد هنا ، وارباء

المعجم العربى ثراء للناطقين بالعربية ، بل أجيزه وأشجعه ، وما ورد يبيحه .

ففى اللسان والاساس والمعيار والتاج والتكملة وغيرها من المعجمات الكبيرة تذكر « قلدتها قلادة ، جعلتها في عنقها ، ومنه التقليد في الدين ، وتقليد الولاة الاعمال » وهو مجاز كأنه جعلها قلادة في العنق .

وفي تعريفات الجرجانى : « التقليد عبارة عن اتباع الانسان غيره فيما يقول أو يفعل معتدا للحقيقة من غير نظر وتأمل في الدليل . كان هذا المتبع (المقلد) جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه . أو التقليد عبارة عن قبول قول الغير بدون حجة ولا دليل » .

وتدل هذه النصوص على أن المعنى الاصلى للتقليد واحد ، وهو وضع القلادة في العنق ، ثم توسع الناس في الاستعمال على سبيل المجاز حتى أصبح أقرب من الحقيقة .

فاستعمال التقليد في معنى الاتباع دون نظر وتأمل صحيح مجازا ، كأن المقلد جعل عمل من يقلده أو قوله قلادة في عنقه ، أى ألزم نفسه به كلزوم العقد العنق .

والمجد ، ما أساسه في اللغة العربية ؟ انه وقوع الابل في مرعى كثير فتشبع ، هذا هو معنى المجد ، فأين هذا من معنى المجد المجازى الذى هو العز والرفعة ؟

لقد نسى الناس المجد بمعناه الاصيل الذى وضع له ، وذكروا معناه الجديد الذى انتهى اليه تطوره ، وهكذا الامر في كلمات اللغة .

وأخلص من هذا الى أنه ليس من الحق التجهم لكل جديد لان العرب لم يعرفوه ، بل يجب أن نرحب به ما دام في صلاح اللغة وارباء المعجم العربى .

واذا كان العرب جاهليين واسلاميين أباحوا لانفسهم أن يتصرفوا في اللغة تصرف من يملكونها لانهم يملكونها حقا فان لكل ناطق بالعربية أن يتصرف فيها تصرفا حسنا يزيد في اللغة ويوسع آفاقها .

واذا أخذنا أى لفظ في المعجم وجدناه يحمل معانى مختلفة ، منها معناه الاصيل الذى وضع لــه ثم اختــفى لان المعنى الجديد برز عليــه وواراه ٠

ومن الالفاظ مئات وألوف أصبحت كالآثار القديمة في المتحف يفيد منها الباحث دون أن يستعملها ٠

فنحن لا نستعمل أكثر كلمات المعجم العربى ، بعضها لتوحشه وأبوده ، وبعضها لنفور حروفه ، وبعضها لانزوائه ، ولا نستعمل الا ما كان سهلا لطيفا يقع من السمع موقعا حسنا ٠

وما يتردد من الكلمات يبرهن على أنه حى يتمتع بالصحــة والقدرة ، ولا يستطيع الزمن أن يشيخه ويفنيه ، فهو يغالبه ويسير في الحياة والوجود لان له عمرا يتجدد ٠

نعم ، ان ألفاظ اللغة كائنات حية ، يعتور بعضــها الضعــف والهزال والمرض والموت ، وبعضها يبقى سليما صحيحا قادرا على الحياة ، ولا يصح أن نستعمل ألفــاظا ميتــة أو غير صالحــة الا اذا استطعنا أن نهب لها الحياة والصحة من جديد ، وكان فيها ما لا ينبو على السمع والذوق ٠

وبعض الكلمات يتسع لان يؤدى معانى مختلــفة كالتقليد أو القلم والطبيعــة والسؤدد والكتاب والحرم والمجـــد والطهارة ، بل أكثر كلمات اللغة العربية تؤدى غير المعانىالاصيلة التى وضعت لها٠

وما دام هذا واقعا فان من حقنا أن نحمل اللفظ المعنى الــذى نريده ، كالهاتف الذى أطلقناه عـــلى التلــيفون وكالســـيارة التى اطلقناها عــلى الاتومبيل ، ولا بأس في هـــذا اذا رضى عنه الذوق واستعمله الكتاب والمتحدثون ٠

ان كل لفظ لا تنبو به الاذن الموسيقية يتسع لان يحمل معنى جديدا اذا رغبنا ، فلماذا نحجر واسعا ؟

ان اللفظ الحى ينمو ويتخذ طريقه الى الاستعمال ، فـــاذا استطاع اليه سبيلا فان من الظلم أن ننحره أو نزويه أو نحبسه ٠

ان في معجم كل لغة حية آلاف الصفحات البيض المعدة لان

يكتب فيها أبناء كــل عصر مواد جــديدة ، فلمـــاذا نمزق نحن هـــذه الصفحـات ؟

ان في هذا عدوانا على لغتنا الحية المتطورة ، ويجب أن نرد هذا العدوان وان كان من أخلص الناس للغة .

ان اللغة العربية مرنة سهلة قابلة للتطور والنمو ، وقد أفاد منها الاسلام ووسع نطاقها وأبعد آفاقها ونقل آلاف الالفاظ مــن معانيها الاصيلة القديمـــة الى مدلولات جــديدة ، فكل مصطلحات الشريعة وعلوم الاسلام والعربية وما جد من العلوم والفنون والمعارف جديدة ، وكلماتها منقولة الى المعانى المستحدثة .

وما دام الاســلام أباح لنفســه أن يتصرف في اللغـة التصرف العاقل الرزين فان في ذلك أسوة لكل من كان قادرا على أن يتصرف بلغته هذا التصرف الحكيم الذى فيه غناها .

وان في انتظـارنا آلاف المصطلحات وذخـــائر العصر الحديث ومبتكراته ، انها تنتظر الوضع أو التعريب أو أن نختار لها ألفاظا عربية مستعملة أو موجـودة في المعجـم ونجعـلها رمزا أو اســـما على هذا الجديد .

وحسبنا أن مئات السنين مضت ولغتنا محبوسة ، ومن حق لغتنا علينا أن نطلقها من وثاقها لتمتد ظلالها من جديد حتى نفيد منهـا حقا ، وحتى تستوعب العصر الذى نعيش فيه ، ولا تتخلف عن الحضارة التى ضاقت بالارض فأخذت تبحث في الفضاء الرحـب والبعيد عن مواضع لهـا لتسـتقر فيـــها ولتجـعل منهـــا قواعد لانطلاق الى ميـــادين جـديدة .

العربية في خطر

كان الاستعمار الغربي قبل أن يتقلص ظله يحاول أن يقضي على الفصحى ويجعل العامية في البلدان العربية لغة الادب والفكر .

ونهض بعض دعاة الفصحى يحاربون الاستعمار في هذا الميدان جاعلين القرآن امامهم ، والفصحى رايتهم .

والناس بطبيعتهم عامة ، والنادر خاصة ، وأولئك يودون أن يكونوا خاصة دون الاستعداد له بالعمل الصالح ، فتنكروا للاساليب الرفيعة والبيان العالي لا لانهم أصحاب بيان وأسلوب ، بل لانهم عامة لا يستطيعون غير العـــامية .

ان من يملك البيان العالي والاسلوب الرفيع يحق له أن يختار لانه يعرف غير طريق ، فهو اذا دعا الى التيسير والسهولة فله الحجة ولديه البرهان ، أما من لا يملك الا شيئا واحدا فلا اختيار له ، لان الاختيار لا يكون الا بين اثنين وأكثر .

فدعاة هدم الفصحى لا اختيار لهم ، وهم يريدون من دعوتهم الهـــدامة البـاطلة أن يجـــدوا متنفســـا لسـمومهم ، وميـدانا لاقلامهم المفلولـــة .

وهم ــ لهذا ــ يهاجمون عباقرة الادب من أصحاب الاساليب الرفيعة ويتهمونهم بالارستقراطية .

وألبس دعاة الهدم دعوتهم ثوب الغيرة على الشعب فزعموا أنهم يريدون العامية حتى يفهم الشعب العلوم والآداب والفنون وتنكروا للفصحى لان من يفهمها قليل .

لماذالا يطلب هؤلاء الذين يشكون من الفصحى التسهيل الا في اللغة وآدابها وعلومها ؟ ولماذا ينادون بترك الاعراب آنـــا ، وبترك القواعد النحوية والصرفية آنا آخر ، ولماذا يتباهون باللحن والخطأ، ولماذا لا يطلبون التسهيل والسهولة في علوم الطب والطبيعة والكيمياء

والهندسة والاقتصاد وغيرها من العلوم ؟ ولماذا لا نجد لهم نظراء في اللغات الحية غير العربية ؟

انهم يجهلون « الحركات » في اللفظ العربى ، ويظنون أن الحركة فضلة يستغنى عنها ، مع أن تجريد الكلمة من الحركة محال، والحركة ليست فضلا ولا جزء خارجا عن الكلمة ، بل هى جزء من الحرف المنطوق في بنية الكلمة ولا يمكن فصلها منه ، فهى دعوى تدل على أن من يقومون بها فاقدو العقل والادراك والتمييز بين ما هو جائز الوقوع ومستحيله ٠

أما ترك القواعد العربية فدليله أن القوم حرب على العربية والقرآن ، ويصدرون في دعواهم عن حقد على الفصحى ، وهم ـ بعد ـ مهما بذلوا وصنعوا لن يستقيم له التعبير الفصيح ، فيحاربونه بالحجج الواهية داعين أنهم يكتبون بلغة الشعب ٠

وما في الارض أمة عزيزة يقوم فيها دعاة العامية ، بل نجد كل أثر من آثار الفكر مكتوبا بلغة عالية رفيعة ٠

ولماذا تنفرد الامة العربية دون الامم جميعا بهذه الدعوات الهدامة التى تعمل على تقويض السمو والرفعة في اللغة ؟ لا جواب الا أن دعاة الهدم مسخرون ٠

ومن هنا لا نستغرب أن يتباهوا باللحن والخطأ ٠

لو أن سائلا ذا أسمال بالية تباهى بفقره لما وجد واحدا يصغى اليه ، ولكن لو كان غنى وباهى بتواضعه لصفقت له الاكف ، لانه يملك الاختيار بين مظهر الغنى المترف ومظهر الفقير المدقع ، ومع هذا لا يصح بالغنى أن يحيا حياة الفقير البائس ٠

وهم يطلبون التسهيل والسهولة في اللغة دون سائر العلوم لانهم هدامون ، يريدون القضاء على الفصحى ليستطيعوا القضاء على خصائص الامة العربية ومواريثها ومزاياها ، لان العربية مفخرة العربى الاصيل وتاريخه ومجده وحياته ، وكل لغة عنوان المتكلمين بها ٠

واذا كان وجود ضعفاء يسوغ ترك الفصحى لكان وجودهم في

كل علم أو في كل مجال دافعا لترك كل أنواع العلوم وألوان الطعام ·

نحن لم نلغ اللحم من موائدنا لان مائة مليون طفل ومريض لا تهضمه معدهم ، ولو سرنا على طريق دعاة هدم الفصحى أو تركها لالغينا اللحم وألغينا كل العلوم والآداب والفنون ، واقتصرنا على ما سفل من اللغة والتعبير ، وقنعنا في حياتنا بكل تافه وحقير ·

ان المفاضلة بين أمة وأخرى لا تتأتى الا بالنظر الى ما يظن من الكماليات العليا ، لان الضرورات (المعطيات) ميدان تتساوى فيه الآدمية والحيوانية ·

ان الجواد الاصيل السابق لا تعرف قيمته الا من الحواجز التى تعترضه ويجتازها بسلام ، والا فان الجواد والحمار يستطيعان دخول الحلبة اذا خلت من الحواجز ، ولا عبرة ـ بعد ـ بالنتيجة اذا سبق الحصان ·

لو كان هذا المتفاخر باللحن في مجال العامية ! أتراه يرضى أن يلحن في العامية ؟ ماذا يكون موقفه لو تحدث الى العامة فأخطأ وقال مثلا : دى البيت · أو قال : بنت الجيران (بضم الباء وفتح الجيم) أو قال : أنا أعرف (بضم الراء) لكان موضع التندر والسخرية من كل عامى ، فلماذا يريد أن يبيح لنفسه في حمى الفصحى ما لا يريد أن يبيح لنفسه في العامية ؟ ولماذا يشعر بالخجل اذا لحن في العامية وخرج عن مألوفها وسننها ويشعر بالغبطة اذا لحن في الفصحى ؟

ولكن هؤلاء الهدامين أبعد ما يكونون عن الاخلاق والذوق والعروبة !! ؟

التصحيف

من مشكلات الكتابة بالعربية تشابه بعض الحروف ببعض ، فالباء والتاء والثاء ذوات شكل واحد ، يضاف اليهن اليه والنون في أول الكلمة ووسطها ، والجيم والحاء والخاء • وهكذا ، وهذه المشكلة سبب وقوع التصحيف والتحريف والتطبيع •

وكان كثير من المترجمين في العصر العباسي يواجهون هذه المشكلة فلا يجدون لها حلا ، وكان حنين بن اسحاق ـ أبرع مترجمي ذلك العصر ـ يتفادى الخطأ والتصحيف ببعض التصريف الذي لا يناقض قواعد اللغة ، فكان يكتب السعتر بالصاد هكذا « الصعتر » حتى لا يستحيل السعتر الى الشعير فيكون الدواء داء •

ولم يسلم من التصحيف أي كتاب بالعربية ، فالقرآن الكريم على جلالته وسيرورته لم يسلم من التصحيف ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى حفظه لكان شأنه شأن غيره من الكتب ، ومن معجزات القرآن أن قول الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » هو قول حق •

لقد حفظ الله القرآن من التصحيف وغيره من النقائص ، ويتجلى هذا الحفظ في استظهار الكتاب كله ولهج الالسنة به لهجا لا ينقطع ثانية من الثوانى لا نهارا ولا ليلا ، وتلقيه من الافواه لا من الصحف •

وأنا نفسي اذا قرأت القرآن بسليقتى لا أكاد أخطيء فيه ، أما اذا قرأته بالنظر وتقيدت به زل لسانى ، هذا والكتابة مضبوطة مشكولة ، فكيف وهى خالية من الضبط والشكل والنقط ؟

ومن الطرائف في باب التصحيف أن كثيرا من المقرئين الراسخين وقعوا في التصحيف ، بعضهم لا غبار على تصحيفه ، مثل حماد بن الزبرقان ـ أحد القراء الرواة ـ قرأ قوله تعالى : (وما كان

استغفار ابراهيم لابيه الى عن موعده وهدها اياه) هكذا : « عن موعدة وعدها أباه » وهو صواب لو قرىء به ، ولكن « اياه » هى المنزلة و « أباه » خطأ .

وسبب وقوع حماد هذا في التصحيف أنه حفظ القرآن من مصحف ولم يأخذه تلقيا عن مقرىء .

ومن التصحيف في الحديث طرائف وحوادث ، بعضه وقع لكبار المحدثين ، وأكثره من المغفلين ساقطى الرواية . روى أحدهم أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم فأعطى الحجام آجرة ، وهو أجره أى قيمة عمله .

وروى نحوى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ان المؤمن كيس فطن » هكذا : المؤمن كيس قطن ، ولما عورض خرج الحديث تخريجا مضحكا .

وحكى القاضى أحمد بن كامل قال : حضرت بعض مشائخ الحديث من المغفلين فقال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه عن رجل قال : فنظرت وقلت : من هذا الرجل الذى يروى الله عنه ؟ انما صحف « عز وجل » بقوله عن رجل .

وكتب أديب الى صديق له ، فلما لقيه شكر له فضله وقال الصديق : انه يستفيد منه دائما ، وسأله عن كلمة وردت في رسالته وهى « الشوكله » وكانت حقيقتها : السوء كله ، والجملة : جعلنى الله فداك من السوء كله ، فقرأها : من الشوكلة .

وكنا طلبة وأملى علينا أستاذنا الجليل العلامة الفاضل محمد حسن كتبى ــ وكان أستاذ الادب العربى بالمعهد العلمى منذ ربع قرن ــ قصيدة للمتنبى جاء فيها هذا البيت :

أبدا تسترد ما تهب الدنـ
ـيا فياليت جودها كان بخلا

وكنا مبتهجين بهذه القصيدة ، وكانت لنا ندوة في المسجد الحرام يختلف اليها صديقنا العظيم السيد على فدعق ــ وكان طالبا بمدرسة الفلاح ــ وأخذ زميل لى معهدى يقرأ القصيدة فلما وصل

الى البيت الذى استشهدت به قرأه هكذا :

أبـدا تسـترد مـا تهـب الدنـ

ـيا فياليت جروهـا كـان نجـلا

وكان السيد علي فدعق يحفظ القصيدة ويعرفها قبلنا ، فما كاد يسمع التصحيف حتى هوى بعصاه على رأس زميلي وقال له : يا هذا ، ليت جودها كان بخلا ، لا جروها كان نجلا ٠

والسيد علي فدعق مرهف الحس لا يطيق أن يرى خطأ ، فاذا رآه استنكر واشتد به الغضب ٠

وحدثنا أستاذنا الجليل السيد حسن كتبى فضحك كثيرا لهذا التصحيف ٠

ومن التصحيف الذى وقع فيه السيوطي قوله في كتابه « المزهر » : « وقول العامة نحوى لغوى على وزن جهل يجهل خطأ أو لغة رديئة » ، وجاءت الجملة هكذا في جميع النسخ المخطوطة التى اطلعت عليها بدار الكتب المصرية بالقاهرة والمكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة ومكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة وفي كل الطبعات ، ولم يفطن الى صوابها وصحتها أئمة العلماء فذكروا في تعليقاتهم أنهم لم يقفوا على ضبط هذه العبارة ٠

وجاءت الجملة في وريقات من المزهر بمكتبة ابن عباس في الطائف هكذا : « وقول العامة عوى يعوى على وزن جهل يجهل خطأ أو لغة رديئة » ٠

وأعتقد أن السيوطي نفسه لم يقف على صحة العبارة لانه نقلها هكذا ، وصواب العبارة : « وقول العامة غوى يغوى على وزن جهل يجهل خطأ أو لغة رديئة » : وتصحيف غوى : نحوى ، وتصحيف يغوى : لغوى ٠

وفي الكتب المؤلفة في التصحيف طرائف مضحكة ومفارقات عجيبة وقصص لطيفة ونوادر غريبة ٠

ولو انتزعت من صحفنا أمثلة على هذا النوع لملأت مجلدات ٠

وأرجو من الاستاذ الذى يصحح كلمتى هذه أن يعنى

بالتصحيح حتى لا يتدسس تصحيف اليها فيختل المعنى والمبنى ، وانه لكيس فطن ، وكيس عـلى وزن طيب فاذا لم يعن بالتصحيح صحفت وصفى اياه بالكياسة والفطنة ، ومن قابل بمثل مـــا قوبل بــــه فمــا اعتدى ؟

* * *

العامية
والتسهيل والاعراب

أجد هذه الايام بدعا جديدة يبتدعها بعض من أصبحوا كتابا لانهم يعرفون أن يمسكوا بالقلم وقرأوا بعض المذاهب المعاصرة وعلى الاخص الشيوعية ، وأخذوا ينادون في الاسواق الادبية والفكرية على تلك البدع يروجونها ويتخذون من العامية شفيعا لهم لتمكين سلطان ما يدعون اليه ويعنونون أعمالهم بأنواع من الشعار تضليلا لمن لا ثقافة لهم ولا أدب ولا علم من العامة وأشباه العامة .

وأفظع هذه البدع : بدعة العامية وبدعة تسهيل اللغة ، وبدعة ترك الاعراب الى غير ذلك من البدع التى تتصل باللغة ويراد منها هدم الفصحى ، وهم يعلمون بغريزتهم التى لا تخطىء أن هدم الفصحى هدم للعربية والاسلام ،لان الفصحى لغة الدين ولغة الكتاب والسنة فاذا وفقوا لما يدعون اليه أمكن لهم أن يباعدوا بين المسلمين والعرب وتراثهم الدينى والفكرى والادبى ، وعندئذ يسهل عليهم اذلال الروح الانسانية التى طهرها الاسلام وهذبها القرآن ، وعندما تذل الروح الانسانية يستحيل الانسان حيوانا يسهل قياده وتوجيهه .

والماركسية اللعينة تريد أن تفعل هذا كما فعلته في الامم التى سيطرت عليها بالارهاب الاجرامى حتى قضوا على القرآن والدين في جميع الديار الاسلامية التى استولى عليها أتباع ماركس .

وهذه البدع هى بدع الماركسية ينشرها دعاة مسخرون لها يريدون بدعواتهم هدم الانسانية بهدم القرآن ولغة الرسول عليه صلوات الله وسلامه .

واذا تم للمارقين الماركسيين القضاء على العربية أشرف اللغات الانسانية طرا تم لهم تحويل الناس الى قطعان تسيرها عصا الراعى المجنون .

واستجاب للبدعة الملعونة كل حقود على الانسانية فاقد الامتياز لانه لا يستطيع أن يصعد الى قمة الكمال فهو يبذل كل جهده ليهبط بالكمال الى الدرك الاسفل حتى تكون المساواة في الضعة والهوان ، وتمحى فوارق الامتياز العقلي والشعور الادبي ٠

وتصميم الخطة للقضاء على الفصحى تمهيدا لاحلال لغة الشارع يدل على ذكاء نادر ، ولكنه ذكاء المجرمين الخارجين على المجتمع يحسب عليهم وليس لهم ، ولم يشترك العقل والشعور السليمان في التصميم بل كانت غرائز الاجرام وحدها هي التي وضعت ذلك التصميم ٠

ولقد استطاع الدعاة أن يؤثروا حتى استجاب كثير ممن كان ينتظر منهم الخير للامة الاسلامية لنداء المبتدعين وشاركوهم في حمل عبء الدعوة المدمرة ، وقرأت في الصحف آثار تلك الدعوة الهدامة المتجلية في تأييد العامية وقهر الفصحى ٠

ولكن هزيمة الباطل من المعطيات فقد رأينا الدعوات الهدامة تنتهي كالفقاعة الى الفناء وان بهر بريقها الاتباع زمنا ٠

انتهت الباطنية وهي كالماركسية في أهدافها وأساليبها ، وستنتهي كل الدعوات الهدامة ٠

ولقد طال بها الزمن ، ومع هذا أجدني مطمئنا الى أن البدع الجديدة ستموت هي ودعاتها وأنصارها وأتباعها ٠

وطليعة هذه البدعة : تيسير العربية وتسهيلها ، وهي دعوة ندعو اليها قبلهم لاننا نحن المخلصين الفاهمين وأجدر بلغتنا من أولئك المارقين ولكن تيسيرنا غير تيسيرهم ، فنحن نريد أن نيسر الطريق أمام الطالب وغير الطالب وأمام الكتاب حتى يفضي بهم اليسر الى اتباع القواعد وعدم التجهم لها ، أما أولئك فيريدون القضاء على العربية بحجة صعوبتها وتعقيد كثير من نظرياتها وأساليبها ٠

والعربية ليست صعبة مثل صعوبة العلوم جميعها ولم تنفرد هي بالصعوبة دون سائر العلوم والآداب والفنون ، بل هناك ما هو أصعب منها ولهذا لا تجد فيه من العلماء الا قلة فالفلسفة أصعب

من اللغة ، والرياضيات والعلوم كلها أصعب من اللغة ، فلمــاذا لا يدعون الى تيسيرها ؟

واذا كان كل صعب مقضيا عليه بالفناء ، وكل سهل مكتوبا له البقاء والحياة وجوبا فان الانسان سيعود الى الغاب والحيوانية لانه سيجد فيهما السهولة المطلوبة ، وتنعدم كل مزايا الانسان ٠

ولو أن كل المشتغلين باللغة العربية والناطقين بها يشــكون صعوبتها ويعلنون عجزهم عن فهمها والاخذ بقواعدها لكان في ذلك ما يسوغ دعوة القضاء عليها صراحة لا تلميحا وخداعا تحت ســتار التيسير والتسهيل !

أما واننا نجد ملايين من الناطقين بهــا يحســـنون قواعدهــا ويفهمون فصحها ونوادرها وشواذها فان ذلك يقدم الدليل عــلى أن العربية لا تتابى على من يوفي لها ويصادقها ويخلص لها ، بل تكون له مطواعا تستجيب له كلما ناداها ٠

ولاشك أن العربية عسيرة الهضم على أصحاب المعد الضعيفة ولكن هذا لا يحمل على تركها والتيسير فيها تيسيرا يمليه الضعفاء الذين يريدون الخلاص منها ٠

ان كان في السفح من يجدون فيها العسر فان في القمة مــن يلقاها سهلة حسنة ، ولا يصح ارضاء السفلة وترك الاعلياء ٠

ان مما لا شك فيه ان في العالم عشرات الملايين من الاطفـــال والمعودين والمرضى المحميين الذين لا يطيقون اللحـم ويجدون فيه العسر الذى يقضى على اطلال الصحة التى يتشبثون بها أو يسعون الى العافية والتماسك،فاذا تبعوا دعاةالعاميةالذين يريدون زىالفصحى وطيها ودفنها وطلبوا القضاء على اللحم من الموائد لانهم يجدون فيه العسر العسير أكان طلبهم صحيحا ؟

لو استجيب لهم لحرمنا الاصحاء من غذاء دسم لذيذ لا غنى عنه لبنيان الاجسام ، وكذلك القول في اللغة ٠

ولو أخذنا بمنطق هؤلاء الدعاة لما أصبح للامتياز العقلى والعلمى قيمة في الوجود ، ولكان فرضا أن نقضى على العلوم جميعها ، ونهدم

المجامع العلمية والادبية والجامعات والعلماء وعباقرة الفنون لانهم شواذ يستطيعون أن يحتملوا الصعب ويمشوا على الوعر ٠

وما يكون حال الارض لو قضى على هؤلاء المتازين ؟

انها ستكون أرضا ميتة لا بهجة فيها ولا اشراق ٠

ويزعم بعض الدعاة أن صعوبة العربية ترميهم بآلام لا تطاق ، فمن يرسب فيها من الطلبة كثير ، ومن لا يحسنها من الكتاب لا يحصون ، وهؤلاء يألمون ، ولا يصح أن نعمل على مضاعفة الآلام في حين أن الانسانية تسعى لتخفيفها ، وطبيعى أن الراسب يمتلىء قلبه بالحزن والغيظ ويحس بآلام كان في غنى عنها لو أننا يسرنا له اللغة٠

ولو كان هذا العسر وقفا على العربية وحدها وكان الراسبون فيها وحدها لكان لهم عذر ، أما وأن الرسوب من الطلبة في الرياضيات وسائر العلوم فان اختصاص اللغة العربية وحدها بما اختصوها به من الحملة والتشهير لدليل على الهوى ، لانهم لم يدعوا الى التخلص من صعوبة العلوم الاخرى ، فتخصيص العربية وحدها بالهجوم دون سائر العلوم يوثقهم بالتهمة التى ما تطلقهم من أسارها ، ويحكم بأنهم أصحاب هوى انطلقوا كالمردة يحطمون المثل العليا ليستطيعوا الحياة التى تحياها الابالسة ٠

ولو كان خوف الالم داعيا الى ترك اللغة العربية لكان واجبا أن نحول دون حمل الامهات اقصاء لآلام الحمل والطلق ، واذا وفقنا لهذا فما يكون حال الانسانية ؟

انها ستكون عدما بعد قرن من الزمان !

وكل مطالبهم بعيدة عن الحق والمنطق ، وما يوائم مطلب منها منطق اللغة ولا منطق الحياة نفسها ، وهم يعلمون ذلك ، ولكنهم يريدون تمكين العامية رغبة في قهر الفصحى الذى يفضى الى المباعدة بين الانسان وربه ، وبين المسلم ودينه وقرآنه اذا تم لهم تحقيق ما يأملون ، ولكن ذلك لن يكون لان الحياة لا تستقيم الا اذا كان فيها الممتازون الصالحون للحياة ، قواد المجتمعات ورواد الخير وطليعة الانسانية ٠

وما الناس بحـــاجة الى النقص حتى يستزيدوا منه ولكنهم في حاجة الى التمام وطلبه ما داموا اناسا يعقلون ويشعرون ، غير أن هؤلاء الدعاة أفقدهم الهوى والحقد ما يتمتع به الحيوان ، وصـــدق الله الذى قال : « أولئك كالانعام بل هم أضل » .

ومشكلة أخرى غير هذه تتصدى لنا ، ومع استحالتها تسلمنا الى أخطاء لا مفر منها ، وهى أننا اذا فرضنا المستحيل وقلنا لنـلغى الاعراب رغبة في البعد عن الخطأ فلا يظهر عجزنـــا عندما نستبدل بالحركةالسكون ، فما نحن‌صانعون بالحركات‌التى تسبق‌حركة الاعراب مادامت الاستحالة تقضي على رغمنا بالمحافظة عليها ، أنبقيها كما هى؟ لا بد من ابقائها ، ولكن تجابهنا مشكلة جديدة وهى : كيف نعرف الحركات التى تسبق حركة الاعراب ؟ كيف نعرف حركة النون من عنق يعنق ؟ أينطقها كل منا حسب هواه ؟

اذا أبحنا النطق حسب الهوى خرجنا من عالم اللغة .

واذا تقيدنا بقواعد اللغة رجعت المشـــكلة ، المشـــكلة التى تشبه مشكلة الاعراب أو هى زميلتها .

وحركـــات الاعراب في الجمـــلة أقـــل تعـــدادا من الحركات التى تســــــبقها .

واذا ألغينا الاعراب وحده فكيــــف يتم التفريق بين الفـــاعل والمفعول في قولنا : ضرب محمد زيد ، اننا لا نعرف أزيد هو المضروب أم هو تمام الاسم ؟ والعامية أدركت هذا اللبس فتفادته بأن قدمت الفاعل على الفعل فقالت : محمد ضرب زيد .

وما دمنا أقمنا الدليل على أن الغاء الاعراب واستبدال الساكن بحركة الاعراب مما لا يتفق مع منطق اللغة فان هناك مسألة جديرة بالنظر ألا وهى قيمة الحركة في اللغة العربية .

ان هؤلاء الدعاة الى الغاء الاعراب يجهلون كل الجهل قيمـــة الحركة ، ويظنون أن الحركات فضلة يستغنى عنها ولهذا يدعون الى مـــا يدعون اليــــه .

ونحن نقول لهؤلاء ولغيرهم ان الحركة في اللغة العربية ليست

زيادة طارئة ، بل هي من صميم الكلمة ولا يمكن نطق حرف في بناء الكلمة دون الحركة ، وأي كلمة لا تخلو من الحركة ، بل ذلك مستحيل .

ليجرب القارىء وينطق بأي لفظ فسيجد أن الحركة ملازمة للحرف لا تتركه ، فكما أن الضوء يلازم الشمس كذلك الحركة تلازم الحرف .

وفي الوقوف على الكلمة نستبدل حركة بحركة ، نستبدل بالفتحة أو الضمة أو الكسرة السكون لان اخلاء الحرف من الحركة مستحيل ، ولهذا استبدلنا الساكن بما تركناه عند الوقف .

وأنا أرى السكون حركة لانه يقوم مقامها ، والسكون المنطوق به حركة .

وننتهي من هذا الى سؤال ينهض لنا : ما سبب هذه الدعوة الهدامة ؟ وقبل أن نجيب ، نذكر أننا اذا ألغينا الاعراب استجابة للدعاة فاننا نضطر الى القضاء على الشعر العربي كله قديمه وحديثه .

ولنترك الشعر العربي من أجل خاطر الدعاة جدلا لا حقيقة وننتقل الى القرآن الكريم .

أنقرأ القرآن بدون اعراب ؟

هنا الكارثة الماحقة ، لان القرآن يجب أن يتلى تلاوة صحيحة وما تكون التلاوة صحيحة بدون اعراب ، وان تسكين أواخر كل كلمة من القرآن اثم عظيم وقضاء على كتاب الله قضاء تاما ، وهدم لجماله الفني وبلاغته .

هنا السر .

فالدعوة الى الغاء الاعراب لا يراد منها الا هدم الفصحى والكتاب والسنة وكل التراث العربي الاسلامي ، والا ليس الاعراب ـ كما ذكرنا ـ المشكلة ، بل هناك مشاكل مثلها هي مشاكل الحركات التي تسبق الاعراب ، وما دام منطق اللغة العربية لا يحيا الا بالحركات فان الدعوة الى المستحيل الذي يعرفونه أو يتجاهلونه أو يجهله كثير منهم هي دعوة هدم لا بناء .

ولهذا يجب أن نضرب على أيدى هؤلاء الدعاة الذين لا يريدون الحق ولكن يريدون الباطل ، وكـل بدعهم لا يقصـد منها الا هـدم الفصحى ، ولكن كتاب الله حافظها وحارسها ، ولن يستطيع العجزة المارقون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، وان الفصـحى لباقيـة ولو كان المبطلون بعضهم لبعض ظهيرا ؟

نشرت بجريدة « المدينة المنورة » سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م)

- - -

المدارس هي المسؤولة

يجهل الناس أمر اللغة فيستخفون بها ، ولعل مرد ذلـــك الى عدم تعودهم اياها ، وصعوبة الفصحى ، ولو عقلوا لادركوا أن الحياة من غير لغة همجية ووحشـية وتـأخر وجمـود ، وكل شيء في هذا الوجود الكبير خاضع للغة ، فالآداب والعلوم والفــنون في حاجة الى اللغة والا أمست « عدما » ولا شيء سواه خارج عن ارادة اللغة ، لان العدم هو وحده الذي يبقى خـــارج نطاق اللغــة ، أمـــا المـوجود فلا بد أن تضع له اللغة ما تشير اليه •

ونحن مهملون أمر اللغة كل الاهمام ، لا الصحافة ولا المدارس ولا وسائل النشر تعنى باللغة العناية التي تحفظ كيانها وتنـــمي ذخيرتها وثروتها ، وتوجد بيننا علماء لغويين •

المدارس تزداد ، والعلوم تتقدم ، ويتخرج كل عام مئات ، ثم تبتلعهم الحياة ولا نرى لهم أثرا في المجتمع ، ويكفي للدلالة أن نعلم أن من تخرج من مدارسنا خلال الخمسين سنة الماضية آلاف لا نجد بينهم بضعة أفراد لغويين يستطيع الواحد منا أن يقول : انهم علماء في اللغة العربية •

والآن ونحن نشعر بحاجتنا الى التقدم ونســـتعد له بالاموال والانفس والثمرات حتى نبلغ ما نريد ، يجب أن نهتم بتعليم العربية ونحدث في مناهجها تجديدا يضمن تنمية ملكات الطلبة من ناحيـة اللغة ، ونعودهم صحبتها وصداقتها حتى لا ينفرهم منها ما في كثير من قواعدها من الصعوبة والعسر •

هذه الصعوبة التي دعت بعض الناس الى اتخاذ العامية ، وكان في الدعاة من دعوا وهم حسنو النية ومنهم سيئوهـــا ، ونتيجـة ذلك واحدة ألا وهو اهمال الفصحى •

المدارس هي المسئولة قبل كل أحـــد ، لانها هي التي تزرع وتتعهد وتستطيع أن تبعث الشوق في النفوس ـ نفوس الطلبـة ـ

حتى يندفعوا الى تعلم اللغة وادراكها وهم راضون مدفوعون بذلــك الشوق الدفـــين •

انَّنا في المدارس نتعـلم اللغــة ونحن مرغمـون ، لا يدفعنا الى تعلمها الا الخوف من عصا الاستاذ أو سوط الامتحان ، ومتى أمنا أهملناها وقنعنا باللغة العامية نتخذها خطابا وكتابا ، وندر منا من يستطيع أن يتخذ الفصحى في الحديث والكتابة •

من أسباب الضعف الاولى طريقة تعليم اللغة ، وتجهم معلميها ، وقصور أكثرهم في تدريسها ، وأنا أعرف الفارق الكبير في مدرسى اللغة لانني تلقيت قواعدها من عديد من المدرسين ، أكثرهم ما كان قديرا على افهامى أنا الذى كنت بين زملائى في طليعة من يحبـــون لغـــــة القرآن •

ما كنت أفهم معنى الاعراب ، بل أعرب الجمل اعرابا ببغائيا ، اذا كان أمامى فعل على وزن فعل مثـــل حضر وكتب قلت بدون أن أعقل : « فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الاعراب » ولكن ما معنى هذه الجملة ؟ لا معنى لها عنـــدنا نحن الطلبة ، والاستاذ نفسه ما كان يجيبنا الى ما نريد •

غير أننى أذكر من أساتذتى المقتدرين في تعليم العربية نحــوا وصرفا وبلاغة وغير ذلك مما يتصل بالعربية أستاذا عظيما كان في العربية من الائمة الممتازين ألا وهو « شيخ بابصيل » •

ولولا فضل الله ثم فضل هذا الامـــام العظـيم ما كنا نفهم الرواسم (الكليشهات) المستعملة في الاعراب ، وما رأيت مدرســا للنحو والصرف والبلاغة مثل شيخنا الجليل ، بل درست العربية في مصر على يد أساتيذ كبار ، ولكن شـــيخنا الجليل المـــكى « شيخ بابصيل » كان أقدر من رأيت •.

ولما تمكنت من فهم قواعد العربية واتسع أمامى أفق الدراسة كنت أرجع الى أستاذى فأجد لديه من العلم بحارا وأنهارا ، كـــان عليما حق العلم بمدارس النحو ، والخلاف بينهما في مسائل كثيرة ، وكانت له آراء جديدة مبتكرة لو دونت لافـــادت المشتغلين بتيسير

القواعد على الذين يطلبون علم العربيه ٠

كنت أدرس على يديه دراسة خاصة بعض كتب النحو والصرف مثل : شرح الالفية والاجرومية والمتون المختلفة وشروحها فكان ـ رحمه الله ـ يختصر الطريق ويبلغنى ما أريد دون أن أجهد ذهنى وأرهق نفسى ٠

وهناك بعض أساتيذ كانوا ممتازين في تدريس علوم العربية مثل علامتنا العظيم السيد أحمد العربى ، فاذا كانت فجيعتنا في « شيخ بابصيل » لا تطلق ولا تعوض ، وخسارتنا به جسيمة ، فان في شيخنا العربى الاصيل لعوضا ، ولكن ما أدرى ما الحكمة في أن يسند اليه عمل يحسنه غيره ، وحرماننا من النفع به في علم لا يحسنه سواه ٠

وهذان العلمان العظيمان في العربية يصلحان لمن يريد التوسع من طلاب العلم الكبار ، وهناك من يصلحون للتلامذة الابتدائيين ، وهم أساتذتى أيضا عندما كنت أتلقى العلم في الابتدائية ومنهم : الاستاذان الفاضلان عبد الله خوجه وحسن دلال ٠

وما زلت أعزو فضل معرفتي ـ وأنا طفل ـ لاسم كان وأخواتها وخبر ان وشقيقاتها الى شيخى ومؤدبى الاستاذ حسن دلال الذى يستطيع أن يلقن النحو ويهدى به مغلق الذهن البليد بأسلوبه الرائع الجميل ، كما أعزو الى أستاذى الجليل عبد الله خوجه فضل معرفتى لبعض أبواب النحو الصعبة ٠

ان هذين الاستاذين من خير من يصلحون لتربية الاطفال والاميين وتعليمهم قواعد النحو الاولى التى تصلح أن تكون أساسا ثابتا يبنى عليه ما يأخذه الطلبة الكبار ٠

ولو كان في المدارس مثل حسن دلال وعبد الله خوجه عدد كبير لما شكونا ضعف التلاميذ في العربية ٠

ولعل وزارة المعارف التى تبذل كل جهودها لتقوية الطلاب في لغة القرآن تبذل المزيد من جهودها المباركة في هذا السبيل حتى تستطيع تنشئة جيل من الطلاب الاقوياء في لغة بلادهم يستطيعون

في مقبل الايام أن يجعلوا العربية لغة قوية ذات سلطان وسيادة ٠

أما الاذاعة فمجهودها في التثقيف اللغوى مفـــقود ، غير أننى أؤمل أن تكون في عهدها الجديد أداة قوية للتثقيف اللغوى ٠

أما الصحافة فانه ليؤسفنى أن أقول : انها لم تفد في الحقل اللغوى فائدة مذكورة ، اذا استثنينا بعض المقالات التى تنشر بـين حين وآخر ، واستثنينا الاستاذ الانصارى ٠

ان اللغوى الجليل العلامة الاستاذ عبد القدوس الانصارى هو اول من عنى بالبحوث اللغوية في بلادنا ، ويعود اليه وحـــده فضل تقويم أقلام الذين كانوا يخطئون في اللغة فهداهم الاستاذ الانصارى الى الصواب ٠

كان الاستاذ الانصارى يكتب ـ منذ ربع قرن وحينما كان في اولى حياته الادبية والعلمية ـ في اللغة بحوثا وتصويبات ما نجدهـا الا عند أئمة المشتغلين باللغة ، ولكن هذا العلامة الكبير في اللغة الذى خدمها خدمات صادقة وقف جهوده عندما أصبحت له مجلة راقية وهى « المنهل » وهو صاحبها ورئيس تحريرها ٠

كان يكتب عندما بدأت بلادنا حياتها الصحفية كتابات لغوية ناضجة ، كان يكتبها في جريدة « صوت الحجاز » الاسبوعية ، ولما أصدر مجلة « المنهل » وقف نشاطه ٠

وهذا مؤسف حقا ، فهو الآن أنضج مما كان قبل ربع قرن ، والدراسات اللغوية نفسها قد تقدمت كثيرا ، ومع هذا حرم الاستاذ الجليل قراءة بحوثه اللغوية الممتازة ٠

وانى لاعجب من الاستاذ الانصارى وأقول له : انه عندما كان هلالا كان نوره ساطعا ، فلماذا حجب نوره عندما أصبح بدرا ؟!

كانت صحفنا تعنى بعض العناية بالبحوث اللغوية ولكنها لا تعنى بتثقيف قرائها لغويا ، وهـو نقص تؤاخـــذ به ، وانه لنقص القـــادرين على التمام ٠

واذا اجتمعـت جهـود الصحافة والاذاعـة والمعارف واتجهت ـ وهى جميع ـ الى النهوض باللغة العربية فانهـا ســتقوى وتعـتز

وتصبح لغة القرآن لغة قوية متقدمة .

وانى لارجو أن تجتمع هذه الاجهزة القوية وتخدم لغة القرآن حتى تجعلها لغة العلم والادب والفن والحياة ؟

نشرت بجريدة المدينة المنورة سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م)

* * *

لغة الدواوين

جاء عالم مصرى منذ ســـنين الى مكة المكرمة ـ حرسها الله ـ للحج ، فأذهلته لغة التخاطب في بلادنا وقال : واأسفاه ، أضــاعت اللغة العربية في بلدها الاصيل ، انكم مثلنا ! الخ ٠

وكان صديقنا العالم يظن أننـــا ننطق بالفصحى في خطابنا ، وغاب عنه أن العربية اعتزلت في شبا الاقلام بعد أن كان موطنــها اللسان في كل بلد عربى ٠

وزاد ذهوله عندما سمع الاذاعة السعودية فاذا اللغة العربية منهــا لغــة غــير ســليمة ، لان بعض من يتحـــدث منها يتجـاهل قواعد العربيـــة ٠

ولصاحبنا الحق في ذهوله ، فاذا كان عذر السوق واضحـــا فما عذر الاذاعة ؟ أليست منبرا للنخبة الممتازة يتحدثون منه ؟ فما بال النخبة تستخف بالمســـتمعين وفيـــهم مثـل ذلـــك الصديق المصرى العــــالم ؟

وأظن أن العربية « المسكينة » في هذه الايام ، فقدت الانصار والحماة ، وزاد المستخفون بقواعدها ، فهم لا يبالونها فيما يكتبون ٠

وما أكاد أقرأ لغير الاعلام في بلادنـــا ، في كـل صحفنا ، الا والخطأ الشنيع يتهانف أمام نظرى ٠

والآن ، وأنا أكتب هذه الكلمة بين يدى مجلة جديدة لوزارة من أكبر وزاراتنا ، جاء فيها : « كما يسميه موظفيه » وفيها مآخذ لغوية ونحوية وصرفية كثيرة ٠

واعلانات الوزارات والبلديات تزدحم بالغلطات ، حتى اعلانات وزارة اللغة والنحو ـ وزارة المعارف ـ لم تسلم من الغلطات ، فهى تجمع « مدير » على « مدراء » ٠

وقرأت أمس اعلانا في بضعة سـطور لبلـدية جدة ، حفلت بالخطأ ، وكأن كاتبه لا يعرف قواعد العربية .

بل قرأت كثيرا من « معاملات » الوزارات ورسائلها وتعليقاتها وقراراتها فاذا هي مليئة بالاخطاء .

واقترحت غير مرة ألا تخرج معاملة الا بعد أن تمر على « رقيب لغوى » ، واقترحت أن يكون في كل وزارة أو ادارة بضعة «موظفين» يجيدون العربية اجادة تامة ، ويتقنون الكتابة ، لتخرج الرسـائل والتعليقات سليمة في البناء والاداء ، اذ لا يكفى أن تحتفظ الجمـل والكلمات بسلامة البناء من الناحية اللغوية والنحوية ، بل لا بد أن تكون سليمة الاداء من النـاحية البيـانية ، لا ركاكـة فيها ولا ضعف ولا خمول .

وما اقترحه لتتجنب وزاراتنا واداراتنا الخطأ ليس بدعة ، فقد كان أسلافنا في الماضي يحرصون على قواعد اللغة واختيـار الكلمة وحسـن الاسـلوب .

تلقى سيدنا عمر بن الخـطاب رضى الله عنه رسالة من أبى موسى الاشعرى جاء فيها : « من أبو موسى الاشعرى » ، فغضب عمر وكتـب الى أبى موسى أن يقنـع كاتبـه ، والتقـنيع : أن تعـلو الرأس بالسـوط .

ولحن صحابى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـال لاصحابه : « ارشدوا أخاكم فقد ضل » .

فالرسـول عليـه الصـلاة والسـلام سـمى الخـطأ في اللغـة ضلالا ، والصواب فيـها رشـدا ، وابن الخـطاب عـاقب على الخطـأ النحوى بالضرب .

ولو أردنا أن نصوب « من أبو موسى » لوجدنا الدليل ، فمن العرب من يلزم الاسماء الخمسة حالة واحدة ، وفي وسع المسوغين أن يزعموا أنه مبنى على الحكاية .

ولكن ليس أمـام عمر ، ولو جرؤ أحـد أن يصنع شيئا من ذلـك أمـامه لضربه .

أترى لو أن عمر رضي الله عنه كان حيا وقرأ صحفنا أكان يفرغ من جزاء الغالطين ؟!

في « طبقات الشافية » للسبكي ٤ : ٢٣٣ : « كان الى ابن برى التصفح في ديوان الانشاء ، لا يصدر كتاب عن الدولة الى ملوك النواحى الا بعد أن يتصفحه امام من أئمة اللسان وكان « القاضى الفاضل » يتصفح الكتب التى يكتبها العماد الكاتب ومن دونه ، وكانوا يستعظمون صدور كتاب عن السلطان غير معروض على « أئمة اللسان »

وفي وفيات الاعيان ٢ : ١٩٩ في ترجمة أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى : « كانت وظيفته بمصر في ديوان الانشاء لا يخرج منه كتاب حتى يعرض عليه ويتأمله ، فان كان فيه خطأ من جهة النحو أو اللغة أصلحه كاتبه ، والا استرضاه فسيروه الى الجهة التى كتب اليها ، وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناوله في كل شهر » •

فديوان الانشاء ضرورة لازمة في كل وزارة وفي كل ادارة كبيرة ، ولا بد من وجود رقيب كابن بابشاذ أو ابن برى •

وما أدرى أتنفع هذه الدعوة الكريمة أم تمضى دون سميع ؟ على أى حال قد بلغت ! ؟

خطـــا

في قواعــد اللغــة

سألني كثير من القراء حول الخلاف الشاجر بين الاســـتاذ محمد حسن عواد والاستاذ عبـــد العزيز الربيع في الخطأ النحوى الذى وقعت فيه الاديبة ثريا قابل وسوغها الاستاذ العواد ، وتلقيت بضع رسالات تسأل السؤال نفسه ، وهاهوذا الجواب :

قالت ثريا قابل :

يحميه صنــين الجليـــل بشــيبه
ويذود عنــه المخلصون ويسهدوا

ووقف الاستاذ العواد مدافعا عن هذا البيت وقال في دفاعه في مجلة الرائــد الغراء الصـــادرة في ٢٢ـ٣ـ٣٨٣ : « استعملت فيــه الجملة مخففة من النون المشار اليها ، وهو استعمال سائغ وان كان غـــير مفضــــل » .

وقال : « لا أقول حذفت منه النون كمـــا قـد يزعم زاعم أو آخرون ولكنى أقول الفعل الذى جاء طبيعيا في خلقه وتكوينه ، اذ لم يكن هو في أصله ملصقا بالنون ، بل هو حر مجرد منه منذ أن خلقه الله على ألسنة المتكلمين ، ولكن النحاة أو غير النحاة هم الذين زادوا هذه النون ، وقد أخطأ من عدها منهم أصيلة في الفعل ، انها حدث عارض ألصق بالفعل في حالة خاصة ، وليســـت شيئا أصيلا نحى عنه ، وهذا فرق دقيق لا يدركه العائمون على سطوح اللغة بحثـــا وحفظا وتقعرا وادعاء عريضا لا محل له من الاعراب » .

ويقول : « ان علامات الاعراب لا تمثل اللغة ولا تحدد مفهومها العلمى الذى تحققه اللفظة والجملة ، فالعلامة حلية ـ مجرد حلية ـ للكلمة المفردة ، وهى بهذا الاعتبار لا يمكن أن تعد عضوا في جســم اللغة ، لان العضو اذا بتر يشوه الجسم وينقص منه ، ولكن الحلية يستحيل أن تكون لها هذه القيمة الذاتية ، فأنت لو جردت الغــانية الحسناء من كل حلاها الخارجية حتى الذهبية والماسية واللؤلؤية منها لظلت كما هى غانية حسناء ، وبشرا سويا تام الاعضاء متكامل

الاجزاء لا نقص فيه ، لان الحلية لا ينقص الجسم المحلى بها بنقصها ولا يزيد بزيادتها » •

وقال الاستاذ العواد في عدد من الرائد غير العدد السابق :

« لماذا لا تلاحظ هذه الملاحظة بالنسبة للشاعر العربى الاصيل الذى فعل في عصر الجاهلية عصر عنفوان اللغة وسلطانها ما فعلته شاعرة اليوم في عصر تهافت ذلك السلطان الضخم وغفلة حماته عندما قال ذلك الشاعر :

أبيت أسرى وتبيتى تدلكى
شعرك بالعنبر والمسك الذكى

انه لم يقل : « وتبيتين تدلكين كما هو الواجب عند جماعة الحروف » •

وثار الاستاذ عبد العزيز الربيع في جريدة « المدينة المنورة » ثورة لم تخرجه عن حد الادب وحسن المقال في نقده وقال من جملة مقولاته : « نحن واثقون كل الثقة من أن الاستاذ (يقصد الاستاذ العواد) لا يجهل أبدا أن الاستدلال غير قائم كما يقولون ، لاسباب ليس أهمها أنه بيت مفرد لا يوجد ما يؤيده فهو شاذ يحفظ ولا يقاس عليه » الخ ••

ولقد أفزعنى الاستاذ العواد بمقولاته دفاعا عن ثريا قابل ، تلك المقولات التى لا يرضى بها هو نفسه ، والتى استنكرها ، والتى ابتعدت عن الحق والواقع ، فالاعراب ـ ليس كما ذهب الاستاذ العواد ـ حلية بل هى من صميم بناء الكلمة ومن صميم لغة القرآن مثل حروف الهجاء •

والدليل على ذلك أن الاعراب حركة ، و لايمكن أن ننطق بأى حرف في الكلمة العربية الا بحركته مما يدل على أنها جزء منه لا حلية « لا ينقص الجسم المحلى بها بنقصها » كما يقول •

وليست علامات الاعراب ـ كما يقول الاستاذ العواد ـ لا تمثل اللغة ولا تحدد مفهومها العلمى ، بل هى التى تحدد المفهوم من الجملة التى تنبهم دلالتها باختلال الاعراب •

ولعل الاستاذ العواد يطمئن الى رأى الاستاذ العقاد ، فيما نحن بسبيله ، لانه رأى العقاد وحسب •

يقول الاستاذ العقاد : « وعندنا – وعند أنصار الفصحى أجمعين – أن مسألة القواعد قد فرغ منها في عصرنا ، فلا يجوز لنا أن نلغيها ولا أن نستحدث بديلا يناقضها ، وكل ما يجوز لنا أن نتوسع في تطبيقها وأن نقيس عليها ما يماثلها ، وأن نحرص على بقاء نموها وصرفها ، لان لغتنا – خاصة – لا تبقى بغير الاعراب ، ولا تصح المشابهة بينها وبين اللغات التى لا اعراب فيها ولا اشتقاق ، لان قوام اللغات القائمة على النحت ولصق المفردات غير قوام اللغة التى تختلف بالحركة في كل موقع من مواقع الحروف ، ولا سيما الحروف التى يقع عليها الاعراب ٠

فليست أواخر الكلمات وحدها هى التى تتغير معانيها بالحركة ، بل يتغير معنى الكلمة بالحركة في أول الكلمة ووسطها حتى تتبدل من المعلوم الى المجهول ، ومن الفاعلية الى المفعولية ، ومن المتكلم الى الخطاب ، ومن التخفيف الى التشديد بلفظه ومعناه ، ونحسب أننا لم نستخف بالحركة ودلالاتها القوية في اللغة العربية الا بعد شيوع الكتابة وشيوع الظن بأن الحركة نافلة لانها لم تثبت مع الحروف ، ولكن حروف العلة كانت كذلك لا تثبت في أول العهد بالكتابة ، وهى ما هى من القيمة الجوهرية في معانى الاصول والمشتقات » اهـ٠ ص ٩ من كتاب « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » ٠

وأما النون التى حذفت من « يسهدون » في قول الشاعرة والتى يقول الاستاذ العواد عنها : « الفعل الذى جاء طبيعيا في خلقه وتكوينه ، اذ لم يكن هو في أصله ملصقا بالنون ، بل هو حر مجرد منه منذ أن خلقه الله على ألسنة المتكلمين ، ولكن النحاة أو غير النحاة هم الذين زادوا هذه النون ، وقد أخطأ من عدها منهم أصيلة في الفعل ، انها حدث عارض ألصق بالفعل في حالة خاصة ، وليست شيئا أصيلا نحى عنه الخ » فما أظن ان ما ذهب اليه الاستاذ العواد حق ٠

فهذه النون ليست زائدة ولا حدث عارض ، بل هى من صميم الكلمة ، فاذا كان « يسهد » للمفرد فان وجود الجماعة يقتضى في اللغة العربية أن يقال في هذا الفعل « يسهدون » ولا يمكن أن يقال

انه مجرد من النون منذ أن خلـقه الله ، لان يســـهد ويســـهدان ويسهدون وجدت في آن واحـــد .

والنحاة لم يزيدوا هذه النـــون ، بل هي موجـودة قبل أن يخلقوا ، فالشعر الجاهلي ملئ بهذه النون ، والقرآن الكريم أيضا ، والنحاة جاءوا بأخرة ، وكل ما صنعوه « تقعيد » القواعد .

وهذا ينفي تهمة الزيادة عن النحاة ، وينفي أنه حدث عارض ، ويثبت أنه « شيء أصيل » .

أما « يسهدوا » في بيت الشاعرة فخطأ ، ولا يصح قياسه على « تبيتي وتدلكي » .

وقبل أن تنظم الشاعرة وقبل أن تطبع ديوانها ويكتب الاستاذ العواد في تقريظه ما كتب قلت في محاضرتي « الفصحى والعامية » التي ألقيتها في مصر منذ سنين تعقيبا على محاضرة الاســتاذ الكبـير محمود تيمور ما أنقله بنصه :

قلت في ص ١٨ : « ولعل الرواسب الاولى للغة العربية ـ قبل أن تنضج وتكمل وتستوى ـ تطفو على الالسنة وتنزلق منها ، وذلك يبدو في اللغات الشاذة وبعض التصحيـــف والـتحريف وفي اللحن والاشتقاق الغالط وغيرها » .

وقلت ـ ما أنقله من صفحة ٢١ ـ ٢٢ ـ :

« ان في العربية ما ليس بعربى ، وفي الشعر العربى وكـــلام العرب كثيرا من الآثار البيانية الخاطئة بالنسبة للقواعد الصحيحة التي لا تأويل فيها ولا تسويغ بالعلة المغثية والتقدير المفتعل .

« ونجد هذا الخطأ النحـوى أو اللغـوى أو الصرفي في الاعصر التي استقام فيها اللسان العربى وبلغ أوجه في الســلامة والاعراب والصحة والقوة والنماء .

« وغير بعيد ـ عندى ـ أن يكون هـــذا الخـطأ أثرا من آثار رواسب اللغة العربية قبل كمالها وبلوغها مرتبة الصقل والتهذيب تظهر على الالسنة ولا يستطيع الناطق لها ردا .

« وعلى سبيل المثال أذكر بعض هذه الرواسب التي اعتدها من الخطأ الذى وقع من العرب ممن يحتج بلغتهم .

« هو خطأ عند من يبتغى السهولة واليسر والقاعدة الصحيحة

التي لا تلف ولا تدور ، هو ـ عندى ـ خطأ ، وان كان بعض اللغات يجيزه ، وأنا لا أجيز لانني لا اريد للقاعدة الصحيحة أن تعتل أو تتهدم أو يعتورها بعض الفساد ، بل لا أسيغ الشاذ أن يجد طريقا ليضعف من القاعدة ، كما لا أحب العلة أو التقدير الذى يراد منه تسويغ الخطأ أو الشاذ .

وهذه أمثلة مما اعتده خطأ » وسردت أمثلة منها :

تزود منا بين أذناه ضربة
دعته الى هابى التراب عقيم

ولقيس بن زهير صاحب داحس وهى فرسه :

ألم يأتيك والانباء تنمى
بما لاقت لبون بنى زياد

وقال شاعر :

اضرب عنك الهموم طارقها
ضربك بالسيف قونس الفرس

(والشاهد في « اضرب » وهو فعل أمر مبنى على السكون ، ولكن الشاعر جعل الباء مفتوحا) .

وأنشد أبو زيد في نوادره :

من أى يوم من الموت أفر
أيوم لم يقدر أم يوم قدر

(والشاهد في « لم يقدر » جعل الشاعر (لم) أداة نصب لا جزم) .

وقالت عائشة بنت الاعجم :

في كل ما هم أمضى رأيه قدما
ولم يشاور في الامر الذى فعلا

(والشاهد في « لم يشاور » جعلت « لم » أداة نصب) .

وذكرت ضمن الشواهد البيت الذى استشهد به الاستاذ العواد (في ص ٢٧ من الفصحى والعامية) وهو :

أبيت أسرى وتبيتى تدلكى
وجهك بالعنبر والمسك الذكى

ورواية الاستاذ العواد « شعرك » بدل « وجهك » .

وقلت في « الفصحى والعامية » ص ٢٧ ـ ٢٨ تعليقا على تلك الامثلة :

« بل وردت في القرآن الكريم قراءات شاذة لا أسيغها ولا أقرأ بها ولا أجيز القراءة بها ، ومن ذلك : « ألم نشرح لك صدرك » قرأها أبو جعفر : « ألم نشرح لك صدرك » ـ بنصب نشرح ـ .

« وخرج هذه القراءة ابن عطية وجماعة على أن الاصل ألم نشرحن ، بنون التوكيد الخفيفة فأبدل من النون ألفا ، ثم حذفها تخفيفا .. وفي البحر المحيط ، تفسير أبى حيان ان لهذه القراءة تخريجا أحسن مما ذكر ، وهو أن الفتح على لغة من ينصب بلم ويجزم بلن عكس المعروف .

« كل هذه الامثلة والشواهد تدل على أن مخالفة القاعدة المثلى كانت معروفة في العهود التى يحتج بلغة أهلها .

والشذوذ في العربية كثير بل كان في العربية مع الشذوذ خطأ وغلط في آثار من وصلتنا آثارهم ، وخاف العلماء على اللغة فوقفوا أمام هذه الغلطات يقظين ومنعوا أخذ اللغة الا من القبائل العربية الموثوق بها ، ووضعوا لتلقى اللغة قاعدة صعبة الخ » .

فأنا قد أنكرت أشد الانكار على أمثال « يسهدوا » في بيت الشاعرة ثريا قابل كما أنكرت على « تبيتى تدلكى » وأنكره مثلى كثير .

وفي « المقدمة » التى كتبها الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد لكتابى « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » تأييد لما ذهبت اليه ، وهأنذا أنقل بعض تعليقاته على آرائى هذه :

قال الاستاذ العقاد في ص ٧ :

« يقول الاستاذ عطار وقد أصاب : « من الخطأ أن يفهم أحدنا أن الجاهليين كانوا في نجوة من الخطأ وفي عصمة من اللحن ، بل كان فيهم من يلحن ويخطىء ، وقد جاء في الشعر الجاهلى أبيات لا تجيزها قواعد النحو والصرف ، وبعضها لا تجيزه القواعد الا بعد تأويل مسف وعلل مصطنعة واعتذار مفتعل .

نقول : ان الباحث الفاضل قد أصاب في هذه الملاحظة وانما الخطأ أن نظن القاعدة سابقة لصواب المصيبين وخطأ المخطئين

من أصحاب الشواهد التى يسوقها النحاة ، فاذا عرفت القاعدة بعد حصر الشواهد وتغليب الكثرة منها على القلة ، والراجح منها على المرجوح ، ويدخل في ذلك تقدير مكان القبيلة من اصالة اللغة والبعد عن منافذ الدخيل ، ويدخل في ذلك ثبوت الشواهد من كلام محفوظ كالشعر المنظوم والمثل السائر ، ويدخل فيه النظر في المتشابه من لهجات القبائل بين الحاضرة والبادية ، ثم يأتى المرجع الاكبر من القرآن الكريم فيصلا نافذ الحكم بين مختلف الآراء والروايات ، فما ورد فيه أغنانا عن البحث فيما عداه ، وما لم يرد فيه كان مرجع الحكم عليه الى الترجيح والتغليب » ٠

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في ص ٨ :

« والاستاذ العطار يشتد في التحرج فيقول عما جاء من العرب مخالفا للصحيح : « وأنا لا أجيزه لانني لا أريد للقاعدة الصحيحة أن تعتل أو تتهدم أو يعتورها بعض الخلل ، بل لا أسيغ الشاذ أن يجد طريقا ليضعف من القاعدة ، كما لا أحب العلة أو التقدير الذى يراد منه تسويغ الخطأ أو الشاذ ٠

« ثم يضرب المثل بما روى عن أبى النجم العجلى حيث يقول :

ان أباها وأبا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

وبما ورد لغيره حيث يقول :

تزود منا بين أذناه ضربة
دعته الى هابى التراب عقيم

الى سائر الشواهد التى أنكرها الاستاذ ، وهو على حق في انكار الاقتداء بها اذا خطر لبعض المتأخرين أن يقتدى بها ، لانها سمعت من العرب الاقدمين ولكنها لا تسقط في عداد الشواهد التى نسجلها للعالم بتاريخ القاعدة والحكم لها بالتغلب على الشذوذ المرفوض ٠

ويبدو لنا أن ثروة العربية تقاس بوفرة الشواهد فيها على المقبول من قواعدها والمرفوض من شواذها ، وبخاصة ماجاء منها لغير ضرورة شعرية كقول القائل :

تزود منهـا بـين أذنـاه ضربـة
دعتـه الى هـابى التراب عقـيم

فان الوزن يستقيم بالياء في أذنيه كما يستقيم بالالف » ٠

نحن قلنا هذا وعلق عليه كاتب العربية الكبير وحجتها الاستاذ العقاد قبل أن يدور بخلدنا أن معركة ستنشب من أجل بعض مـا أنكرنـاه كبيت القائل :

أبيـت أسـرى وتبيـتى تدلكى
وجهـك بالعنـبر والمسك الذكى

ولعل فيما قلت وقال الاستاذ العقاد خير رد على ما ذهب اليه الاستاذ العواد ، بل الاسـتاذ العواد نفسـه رد عـلى نفسه اذ قال في مجلة « الرائد » العدد ١٦٧ الصادر في ١١ـ١ـ١٣٨٣ هـ :

« ومن الناس من يلتمس المعذرة لنـاظم الشعر ـ أى ناظم كان ـ ويبيح له ارتكاب الاخطاء وأمثالها باسم الضرورة ولكنى لست من هذا النـمط من النـاس ، ولا أومن بالضرورة من أساسها ، فالناظم القدير لا يخضع للضرورة » ٠

فالاستاذ العواد شديد الانكار على الضرورات الشعرية ، بـل أنكر ما تجيزه لغات موثوق بها ، أنكر الاستاذ تسهيل الهمزة في بعض أبيات للشاعر البواردى في ديوانه « ذرات في الافق » مثـل قوله في ص ١٠٧ منه :

وخراف أثقلـها الظـما مـن أن تسـير

فاذا كان الاستاذ العواد يؤاخذ الشاعر على تسـهيل الهمزة وهو لغة صحيحة فان عليه أن ينكر على الشـاعرة « يسهدوا » في « يسهدون » وعلى الشاعر القديم « تبيـتى وتدلكى » لا أن يلتمس عذرا للشاعرة المعاصرة من خطأ شاعر قديم ٠

وقد سخط الاسـتاذ العواد على الخطأ النحـوى واللـغوى والصرفي ، بل ثار على من يخطىء في الاملاء ، وكرر منهجه كثيرا وهو المحافظة على اللغة وقواعدها ، وأنكر الضرورة وأعلن سخطه عليها ، فكيف يقف من « يسهدوا » هذا الموقف الذى ينقض غيرته على اللغة٠

ألم يقل الاستاذ العواد في « الرائد » بالعدد ١٦٩ الصادر في

٢٥-١-٣٨٣ عندما كتب عن كتـــاب « شعراء نجـــد المعاصرون » هـــذا القول :

« اقامة الوزن ضرورة فنية لازمة لا يقل واجب الاهتمام بها عن واجب الاهتمام بصحة قواعد اللغة » .

ويقول الاستاذ العواد نفسه في هذا العدد من الرائد : ويوجه الخطاب الى الاستاذ عبد الله بن ادريس صاحب كتاب « شـــعراء نجد المعاصرون » :

« نقول له : اذا تساهلت أنت وأمثالك من صفوة الادبـاء في هذا القلب في أمر اللغة فماذا يفعل الآخرون ؟ ماذا يفعل أهل الجهات المتطرفـة في شـرق الجزيرة وغربهـا ، بـل مـاذا فعل الافاقون من « واردات » الاقطار الى هذا المعقل الحصين بلغته » .

وحبذا توجيه الاستاذ العواد كلمته هذه الى نفسه .

وخلاصة القول : ان الشاعرة ثريا قابل أخطأت في « يسهدوا » وان الاستاذ العواد لم يكن مصيبا عندما قاس على خطأ الشـــاعر القديم ، ورأيي واضح فيما سقته وذكرته ؟

الخطأ اللغوى

قرأت بجريدة غراء كلمة يسوغ فيها القائمون بتحريرها الخطأ اللغوى ، كما قرأت بغيرها تنديدا بمن يؤاخذون عليه ، وكلهم يرى الخطأ اللغوى أمرا « عاديا » لا غبار عليه ، ويحتج بأننا في عصر الصواريخ ، وان الذين يتتبعون هذا النوع من الخطأ يعيشون في غير هذا العصر الذى عمل أبناؤه الصواريخ ، وغزوا الفضاء •

ويتساهل الكتاب في اللغة العربية تساهلا كبيرا مرده الى الجهل والعجز ، لا الى العلم والقدرة ، والذين يتساهلون عجزة ، اما الذين يزعمون انه لا ضرورة للتقيد بقواعد اللغة العربية ، ويسمون الحرص عليها « حنبلية » يجب التخلى عنها لاننا في عصر غزو الفضاء فحاقدون جهلاء عجزة ، اذا لو كانوا قادرين ما تخلوا عن الكمال الى النقص ، وعن التمام الى العيب ،

ثم لماذا يعير هؤلاء الكتاب غيرهم بالتخلف عن غزو الفضاء ؟ كم دولة على ظهر هذه الارض غزت الفضاء ؟ اثنتان هما امريكا وروسيا، وهناك دول ثلاث لم تبلغ مبلغ روسيا وامريكا •

فليسع هذه البلاد ما وسع البلدان الذى تسبقها حضاريا بعشرات السنين •

ثم غزو الفضاء نفسه ، أيبيح لنا أن نلغى قواعد اللغة ؟

وهل الامم التى غزت الفضاء تساهلت في قواعد لغاتها ؟

ان كتب العلوم بل حتى الكتب العلمية الخاصة بالذرة والصواريخ والفضاء كتبت كتابة سليمة من الناحية اللغوية، بل أدق من الكتابة الادبية •

وهل الدعاة الى التساهل في قواعد اللغة العربية هم ممن شاركوا في غزو الفضاء أو اختراع الصواريخ حتى نغتفر لهم اخطاءهم اللغوية ؟

ليقوموا بغزو الفضاء وليخطئوا ما يشاءون ، اما وهم ضعفاء ومن « العاديين » فكيف نقبل منهم هذه الدعوة التى يراد منها هدم

قواعد اللغة العربية التى لا يحسنونها ، فلما لم يحسنوها سوغوا ضعفهم بان هذا العصر عصر الصواريخ ، وتحاملوا على القواعد لانهم في عصر غـــزو الفضـــاء ، ولا شيء لهـــم في كل ذلك الا كـــلام موتور ضعيف ٠

ثم هؤلاء يؤاخذون اثنـين من الـكتاب لانهمـــا يتناقشان في « الهللة » لغويا ويسخرون بهما مر السخرية ، ويحملون الطبـــول يقرعونها قرعا بالتنديد والتهكم والاستهزاء بهما ٠

لمـــاذا ؟ لاننا في عصر غزو الفضاء ٠

وهؤلاء الساخرون يجهلون ان الدولة التى غزت الفضاء تنفق عشرات الملايين من الجنيهات فيما لو انفقنا نحن فيه عشرة جنيهات لقالوا لنا : حيلكم (بالعامية) ! نحن في عصر الصواريخ ، ومـاذا يفيدنا تاريخ مجهول ، أو حجر منقوش ننفق في كشف سره وحـل رموز كتاباته عشرة جنيهات وجهودا كـــان يجب أن تنفق في غـير هـــذا السـبيل !

يجب أن تكون دعوتنا الى أن ننفق في هذا وفي غيره ، فليست الحياة كلها معدة وخبزا ؟

ويتصايح الكتاب في هذه الايام:أيها الادباء والشعراء ، اخرجوا من ابراجكم العاجية الى دنيا الناس !

ويسخرون بمن يناجي القمر أو يتغزل بالورد كأن المجتمع لا يتسع الا للاكواخ والعشش والمساكن الشعبية والصواريخ والخبز !

وما قيمة مجتمع يضيق بالورد والقمر والبرج العاجى ؟ واى جفاف يصيب الانسانية اذا حكمنا بالاعدام على هذه الاشياء ؟٠

ثم لنأخذ كل الصحف في بلادنا ولنر نصيب الادب فيها ؟ اننا لا نجد الا واحدا في المئة

وليذهب هؤلاء الكتاب الى الصحف المادية في الدول الشيوعية أو الغربيـــة والى المكتبـات وليبحثوا ما في صحائفهـا وليخبرونا ما نصيب الفنون فيها ؟

انهم سيجدون نصيب الفنون اوفر الانصبة ، ولهذا سادوا !

وان من الضعف النفسى الا يشعر هـؤلاء الكتـــاب بالضعف النفسى ، والانسان وحـــده بين سائر الحيوان هو الذى لا يحيا الا بالفنون الجميلة ، حتى الانســـان الهمجى المتوحش لا يســـتطيع بغريزته صبرا عن الفنون •

والجنود في ميدان القتال وهم غارقون في السلاح ، ومصممون على الفتك والقتل لا يقطعون صلاتهم بالفنون حتى وهم في ميـــدان التوحش والردى ، ومع هذا نجد بيننا من يسخر بالشعراء الذين لا يجعلون هتافهم : الخبز ، الخبز ! المعدة ، المعدة !

واذا سرنا وراء هــذا النوع من الكتاب فان المجتمع الانسانى سيستحيل مجتمعا حيوانيا يخلو من البشاشة الانسانية وعبـيرها الفـــــــواح •

وكل هؤلاء الدعاة في بلادنا ـ بدون استثناء ـ عجزة ، والا لما دعوا الى الخروج على القواعـد العربية وتحطيمها ، وكلهـم مقلدون سواهم من الكتاب المنحرفين الذين يودون بكتابنا المقدس وبديننـا ولغتنـــا شرا •

وهم ودعاة العامية ســـواء ، بل يرجحون على هؤلاء حقـــدا وكراهية ، ونرجو الكتـــاب المواطنـــين ان يستقلوا بشخصياتهم وآرائهـــم ، والا يتضيفوا الموائد التى لا تضم من الالوان الا ما فيه فساد الروح •

واعود الى الذين وجهوا اعنف اللــوم الى كاتبـــين تناقشا في « الهللة » اهــو عربى ام دخيـل ، وصرخوا في وجهيهما مندين لان فيما صنعا ضياعا للوقت وشغلا لمساحة من الصحف في غير منفعة ؟

واحب ان يفهم هؤلاء انهم خاطئون غالطون بعيدون عن طريق الحق والصواب والهـــدى ، ومتهـمون بخيـــانة مجتمـعهم وجهل ما يجب أن يعلموه •

في الافراد ، لا يتحتـــم على كل فرد ان يجمـــع كل المزايـا والصفات ، فيكون نجارا وحدادا وعالمـــا في الكيميـــاء والطبيعـة

والجغرافيا وفي كل العلوم ، واديبا وقاصا وشاعرا وموسيقيا وعالما في الدين والاقتصـــاد والفلسفة وعلم النفس وخبـــيرا في الطباعـة والزراعة وطبيبا ونبيلا وكريما وغنيا وعظيما ومغنيا ولغويا الخ ٠

لا يتحتم على الفرد ان يجمع كل هؤلاء في شـــخصه ، ولا يتهم بالنقص اذا لم يكن الا واحدا منهـم اما المجتمـــع الذى يضم بضعة ملايـــين فيجب ان يكون فيه كل أولئـــك والا كان مجتمعا ناقصا كـــل النقص ٠

فاذا خلا مجتمعنا من لغويـــين يبحثون في اللغة وفي أصـــول الكلمات فانه يعاب بهذا الخلو ، لانه يعتبر مجتمعا ناقصا ٠

لا يعاب السادة الذين حملوا على الكاتبين لانهما بحثا « الهللة » لغويا اذا كانوا لا يحسنون مثل هـــذه البحوث ، لانه ليس فرضا لازما ان يكون كـــل صاحب عـلم أو مهنة عليمـــا بالمهن الاخرى وبالعلوم جميعها ، ولكن المجتمع الذى يضم بضعة ملايـــين يعاب اذا خـــلا من الباحثين اللغويين ٠

وننصحى لامثال هؤلاء ان يخففوا من غلوائهم على اللغة ، وان يتعلموا كثيرا قبل ان يحملوا عصيهم لتـأديب الآخرين وتعليمهم ما يجب لانهم اولى بأن يتجهوا الى نفوسهم بما يتجهون به الى سواهم ٠

ليســت فرعونيــة
ولكنها عربية

« آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية » كتاب من تاليـف الاستاذ محرم كمال الامين الاول للمتحف المصرى يقع في ٨٢ صفحة من القطع الصغير وألحق بها ٣٢ صفحة لصور فرعونية •

والكتاب مع صغر حجمه غنى بمـا فيه من دراســات موجزة لطيفة ، ومن ألطف فصوله : الفصل الثالث الذى عقده على الالفاظ المصرية القديمة الباقية في لغة مصر العامية •

وفي لغتنا العامية الحجازية كلمات من تلك الكلمات ، ومنها : « مم » للاكـــل و « امبو » للمـاء ، وذكر المؤلف أنهـا مأخوذة من المصرية القديمة (القبطية والهيروغليفية) •

و « شايه » التى كانت تستعمل في الحجاز ونجد مما يلبس في الحجاز تحت الجبة ، وفي نجد تحت العباءة هى مصرية قديمـة ، وفيها بمعنى قميص •

وكذلك « بعبع » الشيء الوهمى الذى يخوف به الاطفال •

وقد ذكر الاستاذ المؤلف كلمات كثيرة ظنها مأخوذة من المصرية القديمة مثل : « رخى » من قول العامية المصرية : « يانطرة رخيها رخيها خللى البط يعوم فيها » وزعم ان رخى هذه من « رخ » بمعنى نزل القبطية ، والامر ليس كذلك ، ففى العربية الفصـحى : أرخى ورخى بمعنى أنزل ، فكلمة « رخى » عربية أخذتها العامية من أمها الفصحى ولم تأخذها من المصرية القديمة •

وذكر المؤلف ان « سخم » قبطية بمعنى نجس أو لوث أو غطى بالوحل ، والواقع أنها عربية صحيحة ، فالسخام في العربية: الفحم، ووسخ القدر ، و « سخم » بمعنى سود ولوث •

وقال الاستاذ المؤلف : « حالوم : هى كلمة قبطية ومعناها جبنة » وذكر ان العامة تنادى « حالوم يا جبنة » وقال : احداهمـا

قبطية قديمة والاخرى ترجمة الكلمة تماما باللغة العربية ٠

و « حالوم » عربية من « حالوب » أو « حلوب » ومخرج الميم والباء واحد ، ويجوز انها لما انتقلت الى البيئة العامية انقلبت الباء ميما كما انقلبت الميم في « مطرة » نونا فصارت « نطرة » ٠

وفي الحجاز تقول العامة : حالوب ، وهو من حلب ، والحلوب: كثيرة الحليب ، وعندما ينادى العامى : حالوب يا جبن ، يذكر الاصل وما انتهى اليه ٠

وقال المؤلف ص ٤١ : « وانت اش لك في كده » فلفظة « اش » أو « آش » هى القبطية « آش » وأصلها الهيروغليفى « آخ » وهى حرف استفهام بمعنى ماذا » اهـ٠

وهذا خطأ ، فالعامى المصرى عندما يقول : « اش لك » انما نحت كلمة مختصرة من كلمتين ، نحت « اش » أو « ايش » من : أى شيء ، وهذا أفصح من « ماذا » فهو عندما يستفهم باستنكار بقوله : وأنت أى شيء لك في هذا ، أفصح من ماذا في التركيب العربى فصيحا أو عاميا ٠

ويقول المؤلف في ص ٤٢ : « أما العبارة المألوفة « آه يا كاسى منك » ففيها كلمة « كاس » قديمة ومعناها في اللغة القبطية تعب أو وجع أو ألم فيكون معنى العبارة : « آه يا عذابى منك » أو « يا ألمى منك » اهـ ٠

ولماذا لا تكون « كاسى » في العبارة العامية هى قاسى الفصحى انقلبت القاف كافا على ألسنة بعض الاعاجم ؟

ونحن نسمع في أغانى مصر كلمة « قاسى » كثيرا بعد قلب القاف همزة على بعض اللهجات المصرية ، ويقولون : يا آسى (قاسى) على ويستقيم المعنى خيرا مما لو أعدنا الاصل الى القبطية كما صنع المؤلف والمعنى : آه منك أيها القاسى ٠

انه يشكو قسوة المحب وما يتفجر عنها من عذاب وألم ٠

ويقول المؤلف في ص ٤٢ : « نحن نقول مثلا : « وبعدين يا سيدى قعد يقوللى كانى ومانى ودكان الزلبانى » فلفظتا كانى

ومانى ليستا عربيتين وانما أصلهما قبطى ومعناهما سمن وعسل ، أما كلمة دكان الزلبانى فهى اضافة تفسر معـــنى كانى ومانى اذ يوجد في مثل هذا الدكان السمن والعسل » ٠

ونحن لا نوافق المؤلف على ما ذهب اليه، ففى عاميتنا الحجازية تستعمل « كانى مانى ودكان الزلبانى » فنحن والمصريون العرب لم نأخذ كانى ومانى من القبطية ، بل أخذنـاها من « كـان ومـان » ويراد من هذهالجملة الكناية عن الثرثرة الجوفاء ، والدليل أن العامة يختصرون الجملة ويقولون : « بلاش كانى ومانى » فكانى هى من كان وكان ، ومان بمعـنى كـــذب في الفصحى ٠ ودكـان معربة ، و « الزلبانى » بائع الزلابية في العامية ٠

وفي ص ٤٣ يقول المؤلف : « يدور يميهص في الدنيا » وقال : أصلها قديم فهى تتكون من كلمتين : « مه » ملأ أو اتقد ، ومن «يص» السرعة أو العجلة أو النط ، فيكون معنى العبارة انه يدور ممتلئـا بالرغبة في النط أو القفز » ٠

وكلنا يعلم أن العامة في مصر والحجـــاز يقولون : « هيص » بمعنى انتهب اللـــذات ، وهى من أصـل عربى ، من : هاس يهيس هيسا ، وهو أخذ الشيء بكثرة ، ولما انتقلت الى بيئة العامة قلبـت السين صادا واستعمل منه اسم الفاعل « هايص » أما الفعل فقـــد صار مزيدا بعد أن كان مجردا ٠

وقال المؤلف في ص ٤٤ : « الدنيا صهد وصهد » من أصل قديم ، ومعناها نار أو لهيب » ٠

ونحن نقول : ان « صهد » عربية من صميم الفصحى ، ولـم ينقلها العامة من المصرية القديمة بل أخذوها من العربية ٠

ويقول المؤلف في ص ٤٥ : « اذا نادينا شخصا فاننا نسمعه يرد علينا بلفظة « ها » وحدهـــا أو بلغظتى « ها نعم » ٠٠ فلفظة « ها » هى اللفظة القبطية « أها » وهى حرف جـــواب بمعنى نعم ، وهذا هو السبب في استعمالها الآن بدل لفظة نعم أو مضافة اليهـا « ها نعم » اهـ ٠

ونحن نرى ان « ها » هى أداة التنبيه ، وتشعر من يرد على النداء بأنه حاضر يسمع ، ولعلها مقطوعة من « هأنذا حاضر » ٠

وذكر المؤلف في ص ٤٥ ان « طمس » في قولهم : « داهية تطمسك » اللفظة القبطية المصرية ومعناها دفن ٠

ونحن نرى أنها غير ذلك ، فهى « طمس » العربية الفصحى ومعناها : محا وأهلك واستأصل أثره ٠

وفي ص ٤٦ يقول المؤلف : « نسمع كثيرا في الافراح والحفلات المغنى وهو يبدأ غناءه بعبارة : « يا ليلى ياعينى » ويتفنن في ترديدها وترجيعها على مختلف الوجوه بعد أن يصوغها في مختلف الالحان ويلبث في شدوه وترجيعه وقتا قد يتجاوز ثلث الحفلة أو الوقت المعد للغناء ، فهل فكر أحد في المقصود بهذه العبارة التى تتكرر مئات المرات ؟ يقول الكثيرون منا : وفيم التفكير والامر بسيط لا يستحق كل هذا العناء ، فيا ليلى لفظة واضحة لا تحتاج الى تأويل ولا الى اعمال فكر فان المغنى ينادى بداهة على الليل ٠ ولكننا نقول : ولم اختار المغنى الليل بالذات ليناديه ؟ ولماذا أردف الليل بالعين ؟ وهل اذا كان ينادى الليل فلماذا هو ينادى عينه بالذات ؟ وما هى العلاقة بين الليل وعين حضرة المغنى المحترم ؟٠ كل هذه أشياء اذا نحن تناولناها بالتفكير لاتضح لنا ان المغنى لا يقصد ليلا يناديه وانما اللفظ ينصرف الى معنى آخر هو الذى سنفسره الآن ٠

فلفظة « ليلى » وردت في اللغة القبطية بهذا اللفظ والمنطق نفسه بمعنى انشراح أو فرح أو ابتهاج الصدر ، وقد وردت في انشودة للعذراء هذا مطلعها : « ليلى أودى برتينوس » ومعناها : افرحى أيتها العذراء ، فيكون معنى « ليلى » في هذا المقام هو افرحى أو انشرحى ، وهذا يتسق تماما مع اللفظة التى تليها وهى «ياعينى» اذ يكون معنى العبارة كلها : «افرحى أو ابتهجى (ليلى) ياعينى» اهـ٠

ونحن لا نوافق المؤلف فيما ذهب اليه ، فهو لا يخاطب عينه ويأمرها بأن تفرح وتبتهج بل ينادى الليل ، لان المغنى يقول : يا ليل ، يا عينى ٠

ونحن نرى أنــه ينادى الليل وينادى عينه ، فقد جرت العادة أن المغنين عشاق معاميد ، يطول ليلهم الذى يتمنون أن يقصر ، وليل المحب المهجور طويل ، فهو يتوسل اليه بهذا النداء الذى ما يمــل ترداده وتكراره •

واذا كان المغنى مبتهجا ســعيدا لان حبيبتــه وصلته أو تسمع غناءه فهو يذكر الليل بالخير ، لانه مبتهج سعيد ، فاما وان حبيبته زارته وظــلام الليل يستره فهو ذو يد عليه ، واما ان البهجة من الوصال جعلته يذكر الليل لانه سمير العشاق •

أما « يا عينى » فنداء للعين الساهرة ان تكــف عن البكاء أو نداء العين الفرحة أن تسعد •

وفيما سوى ما أخذناه على المؤلف نجد كتابه قمينا بالاعجاب ؟

* * *

دبل وفنش

كتب الاستاذ أحمد علي كلمة صغيرة في جريدة «البلاد السعودية» بالعدد ١٦٤٣ زعم فيها ان « فنش » و « دبل » ليستا من العربية وقال :
« فات الاستاذ ان الكلمتين ليس لهما أية علاقة بالعربية بل دخيلتان من الانكليزية فالاولى وهي « فنش » أصلها Finish بمعنى انتهى والاخرى « دبل » وأصلها Double بمعنى مضاعف أو ضعف ، وكلتاهما انحدرت الينا من الظهران أو من المهدأ أو من طريق البحارة في جدة » .

ومن الغريب أن يزعم أن الكلمتين لا علاقة لهما بالعربيه مع أنهما أصيلتان في الفصحى ، وأصلهما العربي موجود قبل أن يعرف الانكليز مدلولهما ، وقبل الظهران والمهد ، وقبل البحارة في جدة بمئات السنين ، بل قبل أن يكون في الدنيا « انجليز » بهذا الاسم .

غريب أن يزعم الاستاذ أحمد علي ذلك مع أن « فنش » و « دبل » بهذه الصيغة لا وجود لهما في الانكليزية وفي كل لغات العالم الا العربية . ومع ذلك ينفيهما الاستاذ أحمد علي من العربية لان في الانكليزية مادة فيها بعض الحروف أو أكثرها .

وأخشى أن يأتي يوم تبلغ الجرأة بالاستاذ أن يدعي أن أكثر الكلمات العربية من أصل انكليزي وأن أصلها انكليزي اذا سار على منطقه وطريقه في الاثبات والنفي ، وأخشى أن يقول الاستاذ ان كلمة « جمل » العربية انكليزية الاصل والسبب ان كلمة Camel في المعجم الانكليزي ، وأخشى أن يقول لا علاقة للكلمة بالعربية لانها موجودة في الانكليزية .

وأحب أن يعلم الاستاذ أحمد علي أنه لم يفتني وأنا أكتب بحثي في الكلمات العامية ان الانكليزية لا تخلو من « فنش » و « دبل » وما دام الاستاذ يعلمه فأنا أعلمه . وقد قلت له ذلك قبل أسابيع من نشره كلمته عندما سألني .

لم يفتني ذلك ولم يفتني أن أعرف أن وجودهما في الانكليزية لا يسلب الكلمة عروبتها ، ولكن فات الاستاذ أن يعرف ذلك .

وأرجو من الاستاذ أحمد علي ـ اذا كان على صلة بالانكليزية ـ ان يذكر لنا أقدم معجم انكليزي ذكر هاتين الكلمتين . واذا استطاع أن يهتدي فانه سيعرف أن الانكليز لم يعرفوا الكلمة قبل العرب ، وسيعرف أن العرب استعملت هاتين الكلمتين قبل أن يطلق على الانكليز انكليز .

ولأثبت للكاتب عروبة الكلمتين بالدليل القاطع الدامغ وأنفي قوله : « ان الكلمتين ليس لهما أية علاقة بالعربية » نفيا أذكر له أربعة عشر معجما من المعاجم الحديثةوالقديمة ، المطبوعة والمخطوطة، وقول ثلاثة من شعراء العرب وبعض علماء اللغة وما ورد في الاثر ، وكلهم أثبت عروبة الكلمتين بما لا يدع مجالا للشك .

جاء في المنجد ص ٢٠٣ والبستاني ١ : ٧٤٣ وأقرب الموارد ١ : ٣١٨ و ٩١٨ وذيل أقرب الموارد ١٦٦ ومحيط المحيط ١ : ٦٢٤ و ٦٣٥ والمعجم المدرسي ١٩٦ والمعيار ٢ : ٣٤٩ واللسان ١٣ : ٢٤٩ والتاج ٧ : ٣١٧ والاساس ١ : ٢٦٢ والقاموس ٣ : ٣٧٣ والتكملة ٨٥٦ر٩ وتهذيب اللغة ١ : ... (مخطوطتي مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنورة) والنهاية ١٢:٢ : « دبل اللقمة : عظمها وكبرها . والتدبيل : ثلاث كلمات متماثلة في الخط مختلفة في الشكل . والدبلة اللقمة الكبيرة الخ » .

وأقدم هذه المعاجم تهذيب اللغة وألفه الازهري قبل ألف سنة، ومع ذلك فقد ذكر « دبل » واشتق من هذه المادة مشتقات كثيرة قبل خمسمائة وألف سنة .

وما أظن أحدا في العالم كله يستطيع أن يزعم بعد هذا الحشد الحاشد من المعاجم أن « دبل » ليست عربية وأنها دخيلة من الانكليزية ، ويكفي لان يدرك القارىء ان عروبة « دبل » ليست مما يختلف فيه : أن معجما صغيرا صنفه مؤلفه للطلبة والمدارس هو « المعجم المدرسي » ذكر كلمة « دبل » مما يدل على ان المسألة من

البساطة بحيث لا تحتاج الى أخذ ورد حتى تذكر في معجم طلبة ٠

ولنترك كـل ذلك وننزل ساحات الشـعراء لنرى صاحبنا الاستاذ احمد على أن شـعراء العرب من جاهليين واسـلاميين عرفوا « التدبيل ودبل » قبل ان يعرف العـالم الانكليز أو يعرف الانكليز العالم بمئات السنين ٠

قال الشاعر العربى مزرد بن ضرار ، ـ وكان حيا قبل بعثة الرسول عليه السلام ، وقيل ممن ادرك الاسلام :ـ

ودبلت أمثـال الاثـافي كأنهـا

رءوس نقـاد يوم نهب تجمـع

وقال حميد بن الارقط ـ وكان حيا قبل ثلاثمائة وألف سنة، وكان معاصرا للحجاج ، والحجاج ولد سنة ٤٥ وتوفي سنة ٩٥ـ:

تدبل كفـاه ويحـدر حلقـه

الى البطن ما جازت اليـه الانامل

وأنشد في « لسان العرب » :

دبـل أبـا الجـوزاء أو تطيحـا

وقال ابن الاعرابى ـ أحد أئمة اللغة العربية ، وكان قبل أكثر من مائتين وألف سنة ـ : « التدبيل : تعظيم اللقمة » ٠

وقـال الازهرى الذى توفي قبـل أكثر من ألف سـنة « دبل اللقمة : عظمها » ٠

وقال الصغـانى الذى توفي منـذ أكثر مـن سـبعمائة سنة : « التدبيل » : ثلاث كلمات متماثلة في الخط مختلفة في الشكل ، ودبل اللقمة : عظمها ، والدبلة : اللقمة الكبيرة » ٠

وفي النهاية لابن الاثير : « في حديث عمر رضى الله عنه أنه مر في الجـاهلية على زنباع بن روح وكـان يعشر من مر به ومعه ذهبة فجعلها في دبيل وألقمها شارفا له ٠ الدبيل من دبل اللقمة اذا جمعها وعظمها ، يريد أنه جعل الذهب في عجين وألقمة الناقة » ٠

و « فنش » عربية قبل أن يؤلف معجم انكليزى واحد ، وقبل أن يكـون في الدنيا أدب انكليزى أو لغـة انكليزية ، والدليـل أن

الازهري أحد أئمة اللغة العربية ذكرها في معجمة المشهور قبل ألف سنة وقال : « فنش الرجل ، اذا أسترخى » .

وجاء في محيط المحيط ٢ : ١٦٣٥ والبستان ١ : ١٨٥٢ والمنجد ٦٢٨ واقرب الموارد ٢ : ٩٤٦ ومعيار اللغة ١ : ٦١٤ وفاكهة البستان مادة فنش ، ولسان العرب ٨ : ٢٢٤ والقاموس ٢ :٢٨٣ وتاج العروس ٤ : ٣٣٨ والعباب مادة فنش والتكملة والذيل والصلة ٥ : ٤٨٥ وتهذيب اللغة مادة نفش وفنش. ومعجم شمس العلوم للحميري ، ومعجم ضياء الحلوم ، ومعجم الراموز : فنش الرجل تفنيشا : اذا استرخى ، وأنشد اللحياني أحد تلامذة الكسائي الذي كان قبل ألف سنة :

ان كنت صائدي ففنش

وقال أبو تراب : سمعت القيسيين يقولون : فنش الرجل اذا استرخى .

ويدل كل ما قدمنا من الادلة التي لا تنقض أن « دبل وفنش » من الفصحى ، وعرفتهما العربية قبل الانكليزية ، وقبل ان تظهر على الارض اللغة الانكليزية ؛ ويكفي ان الوثائق العربية من المعاجم وديوان العرب وكلامهم تدل دلالة واضحة ان العرب عرفتهما منذ كانت العربية ، واستعملت الكلمتان فيها منذ العصر الجاهلي .

ومما لا جدال فيه أنهما عربيتان وليستا دخيلتين من الانكليزية ، ولا يقبل العقل أن تكونا دخيلتين من الانكليزية بعد ان أثبتنا أنهما في اللغة العربية قبل أن توجد اللغة الانكليزية نفسها بمئات السنين .

ومن المؤسف أن يتسرع الاستاذ أحمد علي ويزعم أن دبل وفنش لا علاقة لهما بالعربية وأنهما دخيلتان من الانكليزية .

أما ما ذكره في أسماء بعض أدوات السيارات فليس مجاله البحث العلمي ، بل موضعه مجالات الهزل والمجون ، ولذا نمر به مر الكرام ؟

نشرت بجريدة « البلاد السعودية » في ١٠-٢-١٣٧٤ هـ (٨-١٠-١٩٥٤ م)

يهرفون في اللغة

قرأت في بعض أعداد جريدة « البلاد السعودية » كلمات لبعض الكتاب تعليقا على بعض ما نشرناه ، الا أن كلمة من هـذه الكلمات ظهرت في ثوب العلم والنقد ، وخشيت أن يأخذ بها الشداة فكتبت هـذا الرد لاضع الحق في نصابه ، وعنوانها « في اللغة » ٠ وكاتبها محمد صالح الجمال ٠

يقول في العدد ١٦٣٦ من « البلاد السعودية » تعليقا على مقال لنا عن الكلمات العامية : « استلفت (كذا) نظرى ما جاء عن كلمة القماش قوله : « واستعمال القماش لما ينسج خطأ ، فهو في الفصحى ما كان على وجه الارض من فتات الاشياء » وما أورده هو نص عبارة القاموس ولعل حضرة الاخ أحمد وهو الـذى يحض الموسرين عـلى اقتناء دواوين الشعر ، نسي أو لعله لم يطلع على ديوان المتنبى ففيه قصيدته التى مطلعها : « مبيتي في دمشق على فراش » جاء فيها قوله:

ونهب نفوس أهـــل النهب أولى

بأهل المجـد من نهب القمـــاش

ويقول الكاتب : « وقـــد فسر العكبرى والواحـدى القماش بالمتاع يدخل فيه الكساء أى الملبوس ، فاستعمال القماش لما ينسج صحيح وليس خطأ كما توهم حضرة الاخ المحقق ، ويؤيد تفســـير العكبرى لديوان المتنبى ما جاء في الجزء الثالث من كتاب الجمـهرة ثانى معاجم اللغة العربية تاليـف امـام اللغـة والادب أبى بكر بن دريد أستاذ المتنبى والقالى : القمش قمشك الشيء جمعك اياه ومنه اشتقاق قماش البيت أى متاعه ومن معانى المتاع الثياب وكل ما هو مستعمل وينتفع ويتمتع به » ٠

وفي هذه الجملة أخطاء كثيرة معيبة لا يتورط فيها طالب صغير ، والا فكيف يبيح لنفسه أن يقول : « ولعـله لم يطـلع عـــلى ديوان المتنبى » وأعتقد أن هذا الكاتب كان نائمـــا ولم يصح الا يوم قرأ مقالي السادس عن الكلمات العامية والا لما جرؤ على أن تتقذف من فيه

هذه الكلمات الجـــانية .

اننى حفظت ديوان المتنبى كله ودرسته دراسة لم يقم بها الا قليل من الناس في العربية ، بل درسته بعض الاخوان تدريسا ، ومن درسوا ديوان المتنبى عـلى يدى أحيـــاء يرزقون ، ويكفى أن يعلم القارىء أننى كتبت عن المتنبى فصولا علمية قويـة وأنـــا بالسـنة الثانية من المعـهد العلمى السعودى بمـكة سنة ١٣٥٣ وطبعتها في « كتابى » المطبوع في أم القرى سنة ١٣٥٤ هـ .

ثم ان كتابى « المقالات » الذى صدر سنة ١٣٦٦ يضم دراسات علمية عن المتنبى ، واستغرقت هذه الدراسات أربعا وسبعين صفحة كبيرة ، وكتبى المطبوعة وهى فوق العشرين ومقالاتى ـ وهى كثيرة ـ وقد نشرت بصحفنا وصحف مصر تزخر بالاشارة الى المتنبى وشواهد من شعره ، وكذلك أحاديثى التى أذعت بها من راديو مكة ـ وهى تقارب المائة ـ مليئة بذكر المتنبى وبشواهد من شعره .

أبعد هذا يقول عنا : « لعله لم يطلع على ديوان المتنبى » ؟!

يقول صاحبنا الجمال : « فسر العكبرى والواحدى القمـــاش بالمتاع يدخل فيه الكساء أى الملبوس » وهذه الجملة تدل عند كل قارىء على أنها من تفسير العكبرى والواحدى ، فالعكبرى والواحدى يبرآن منها ولم ينطقا بهـــا ، ونسبة هذا التفسير اليهـما خفض لشأنهما وحط من كرامتهما العلمية لانهما اذا فسرا المتاع بما قوله اياهما الجمال ونسبه اليهما يكونان قد كذبا على العرب والعربيـة ، وهما أرفع من أن يكذبا .

وليس صحيحا أن ينسب الى العكبرى ما نسبه اليه ، ولا وجود له فيما كتبه ، بل هو من اضافات الجمـــال ، وقد أوهم القارىء بالجملة التى أضافها خياله أنها من تفسير العكبرى !

وكذلك صنع عندمـــا استشهد بالجمـهرة ، فقد زعم أن ابن دريد قال : « القمش قمشك الشىء جمعك اياه ومنه اشتقاق قماش البيت أى متاعه ومن معانى المتاع الثياب وكـل مـــا هو مسـتعمل وينتفع ويتمتع بـــه » .

انه يوهم القارىء بأن ابن دريد هو الذى يقول : « ومن معانى المتاع الثياب » الخ . مع أن ابن دريد أرفع من أن يزعم هذا الباطل ،

وكل ما قاله ابن دريد في الجمهرة (الجزء الثالث ص ٦٦) هذا النص : « القمش قمشك الشيء جمعك اياه ومنه اشتقاق قماش البيت أى رديء متاعه » •

وأين هذا من زعم الكاتب ؟

ومع أن الكاتب قول ابن دريد ما لم يقل فانه لم يكن أمينا في النقل فابن دريد يقول : « قماش البيت أى رديء متاعه » وصاحبنا الجمال يحذف كلمة « رديء » ليتم له خداع القارىء وايهامه ، ويزعم أن ابن دريد يقول : قماش البيت أى متاعه ، وأين هذا من ذاك الكذب ؟

آفة العلم والنقد الكذب ، ويجب على من يستشهد أو ينقل النصوص أن يكون أمينا فاضلا •

واذا افترضنا صحة ما ذهب اليه الكاتب من أن القماش متاع البيت ، ومن معانى المتاع : الثياب ، وكل ما هو مستعمل وينتفع به ويتمتع ، فما نحن صانعون اذا جاءنا من يقول : أريد قماشا ، وهو يقصد الراديو أو صوان الملابس أو عقدا من اللؤلؤ أو كتابا أو مصحفا أو ذهبا أو جملا أو حمارا ؟

ان هذه الاشياء مما يستعمل وينتفع به ويتمتع •

لا شك أن صاحبنا يتمخض لغة جديدة والا لما زعم هذه الزعمات •

وليفهم هذا الكاتب أننا عندما قلنا : ان اطلاق القماش على المنسوج ليس صحيحا في العربية ما كنا بغافلين عن بيت المتنبى ولا عن كل ما فسر به القماش في الاستعمال الفصيح ، وانى أكرر الآن تخطئتى لمن يزعم أن القماش في الفصحى يطلق على المنسوج ، فكل المعاجم القديمة المطبوعة والمخطوطة لا تشير الى ذلك ، وان العربية الصحيحة ما أطلقت قط القماش على المنسوج •

ثم يزعم الجمال ان « الجمهرة ثانى معاجم اللغة العربية » وهو غير صحيح ، فاذا أراد به الترتيب الزمنى في التأليف فقد سبقه غير الخليل ، واذا كان يريد من ناحية السعة والضخامة فليس بثانيها بل هناك معاجم أضخم منه وأوسع مثل لسان العرب والتاج والمحكم والتكملة وغيرها ، واذا كان يريد من ناحية أصل العربية

فهناك ما هو خير منه في هذا السبيل مثل : التهذيب والصحاح .

ثم يقول الجمال : « أبو بكر بن دريد » وهو خطأ ، فأبو بكر كنيته ، ولا يعرف بها اذا أطلقت وحدها ، ولم يكن ابن دريد ممن اسمه كنيته ، بل اسمه محمد ، وكان فرضا عليه أن يقول : أبو بكر محمد بن دريد .

ثم يقول : « وهناك بعض كلمات مثل كلمة « سم » لاهل نجد بمعنى نعم ، وزعم بأن (كذا) أصلها سمع ، والحقيقة أنها فعل أمر من باب سام من السوم وهو العرض والطلب » .

ولو صح ان « سم » فعل أمر من سام وجب أن يكون « سم » بضم السين ، لان مضارعه مضموم السين بعد الاعلال الصرفي وأهل نجد لا يطلقونها مضمومة بل مفتوحة مما لا يدع مجالا لقائل يزعم انها من سام لا مقطوعة من « سمعا » ولو كانوا ينطقونها بضم السين لقلنا : هناك وجه بعد التأويل ، والتعليل المعلول ، وقولنا : انها مقطوعة من « سمعا » أصح وأوجه وأدعى للقبول وأكثر تمشيا مع السياق ، وله نظائر في الفصحى .

ثم يقول : « وكلمة ازعتر فهى من عندياته ولا وجه لما أورده من تقطيعها واشتقاقها » وهذا من زعماته أيضا ، فالكلمة ليست من عندياتى ، لانى لم آت بهـا ولم أخترعهـا ، بل هى مستعملة ، والذى جئت به من عندى اعادة الكلمة العامية الى أصلها الفصيح ، وعندما قلت : ان أصلها منحوتة من كلمتين هما : أزمع تر ، لم أكن مجانبا الصواب ، فالعامية تعرف النحت كالفصحى ، و « ازعتر » مما نحته العـامية .

ثم يقول : « ولا وجه لما أورده من تقطيعها واشتقاقها » واذا افترضنـا أنـه لا بأس مـن أن ينـاقش أو يعترض ، فمـا دليله على أنه لا وجه لما أوردناه ؟ ؟

يهرفون في اللغة

(٢)

كان محمد صالح الجمال قد كتب في أحد أعداد هذه الصحيفة كلمة يناقشني فيها حول بعض الكلمات العـامية وأصولها فرددت عليه وأخذت على الجمال أمورا يجب أن يتجرد منها طالب العـلم والبـاحث والكاتب ٠

أخذت عليه عدم أمانته في النقـل ، وأخـذت عليه تحريفه النصوص والشواهد وتوجيهه اياها غير وجهتها الصحيحة ، وحذفه ما يروق له منها وزيادة ما تدعو الحاجة الى زيادته ونسبة الشواهد بعد تحريفها الى العلماء الاعلام ، وايهـام القراء بكلام ينسـبه الى الائمة وهم منه براء ٠

وبعد ما أخذت عليه ذلك فندت آراءه في اللغة وأريته الصواب، فما كان منه الا أن كتب ردا مثل سابقه ، ونقل النقاش من ميـدانه وبعثر الموضوع حتى يتم له ايهام القارىء غير المتمـكن من جديد ، وقال كلاما كثيرا لا يتصل بنقاط البحث ، ولكنه قال كلاما ليوهم النـاس أنه قال شيئا ٠

وأول أخطائه قوله : « لو أن الاصمعى الذى عرف بتعصبه للغة العربية أتيح له أن يكون حيـا يرزق حتى الآن لاقر كلمة القماش على أنها النسيج » ٠

لماذا ؟ الدليل قول الجمال : « لان مئـات الملايين من العرب أصبحوا ينطقون بهـا » ٠ والدليل الثـاني زعمـه : « لو رجع الى مدلول أصلها لوجد أن من أول معانيها المتاع ، والمتاع : البز ٠ والبز القماش وهو صريح وقد أورده المقرى في المصباح مادة متع » ٠

هذان دليلان كما يحسبهما الجمال وهو لا يدرى أنهما مردودان فالاول ، وهو ان مئات الملايين ينطقون بها ، وما أدرى كيف يقبل عقله أن استعمال الملايين حجة تسوغ الاستعمال ٠

ان الملايين يقولون : بطارية ، وراديو ، وسـينما ، وسمنت ،

ولمبة ، وبسكليت ، وأتومبيل ، فهل نعد هذه الالفاظ عربية لمجرد أن ملايين العرب ينطقون بها ؟

ان تلك الكلمات التى يستعملها العرب المحدثون لا يمكن أن تكون عربية ، بل لا تكون عربيـــة ولو استعملها الجاهليون ، لان الجاهلية استعملت كلمات كثيرة مثلها قال علماء اللغة في وصفها « معربة » لانها أخذت من لغات أجنبية ٠

أما اذا لم يســـتعملها العرب الذين يحـتج بلغتهم فيجب أن نبعدها عن الاصالة والتعريب ، واذا أردنا أن نجعلها من المعربات فلا بد من اتفاق علماء اللغة المعاصرين على ذلك ٠

أما القماش ، فلم يؤثر عن عربى فصيح أنه أطلقها على المنسوج ٠

وانى أتحدى الجمال أن يأتينى بواحد ممن يحتج بلغته أطلق القماش على المنسوج ، وانه لن يجد ٠

وان آلاف الكلمات الافرنجية الدخيلة يجب أن تعتبر عربيــة على منطق الجمال لان ملايين العرب ينطقون بها ٠

والدليل الثانى مثل سابقه ، فالبحث لــم يكن حـول كلمة « المتاع » بل حول اطلاق « القماش » على المنسوج ، ولكن الجمال خرج بالمسألة الى غير مكانها ، ومع هذا أريه غلطه ٠

المتاع : اسم عام يدخل فيه كثير من المسميات ، ولكن عنـدما نريد التعبير عن معنى أو مسمى وجب علينا وجوبا أن نأتى بلفظـه الموضوع له ، ولا يصح أن نستعمل كلمة « متاع » وهو اسم عام لكل معنى ولكل مسمى مماحدده التعريف اللغوى ، والا لجعلنـــا الناس في متيهة لا ينتهون منها الى مقصد معروف ٠

وما دام المتاع ـ كما ذكر الجمال ـ كل ما ينتفع به ويتمتع فما نصنع اذا جاء انسان وقال : أريد متاعا ، وهو يقصد قلما أو كتابا أو زهرة أو أى شيء من هذه المسميات التى لا عدا دلها ؟!

كيف نفهم قصد السائل مع هذا الابهام ؟!

ان كلمة « شيء » أعم من المتاع لانه يطلق على كل موجود ، والله تعالى قال في محكم كتابه : (ليس كمثله شيء) ولم يقل «متاع»

فهل يصح أن نطلق كلمة « شيء » على كل ما يدرك حسا أو معـــنى عندما نريد مسمى خاصا ؟ كلا ، ثم كلا •

وان المقرى الذى يحتج به الجمال ويرفعه مكانا عليا حذف من معجمه « المصباح » مادة « قمش » ولم يذكر القماش •

والاختلاف لم يكن بينى وبين الجـمال عــلى كلمة « متاع » ومدلولها بل كان الاختلاف على « القماش » أنـــا أقول : لم تطـلق العربية القماش على المنسوج ، وهو يزعم أنهـــا تطلق ، وكان قد استدل في مقاله الاول ببيت للمتنبى وعلى أقوال مختلقة نسبها الى بعض علماء اللغة وهم لم يقولوها ، بل لم تخطر لهم على بال ، وقد بينت ذلك وفندته بالادلة القاطعة الدامغة في ردى الاول ، وعـــاد اليوم بمزاعم جديدة رأى القارىء ردنا عليها •

ويجترىء الجمال ويقول : « أخطأ الاخ أحمد اذ يقول ان كتاب الجمهرة ليس بثانى معاجم اللغة وهو ما يدل على ضيق مجـــاله في هذا المضـــمار ولا يعرف معجم قبـل الجمهرة ضم شتات العربية تقريبا مثل كتاب العـــين للفراهيـدى » • ورحـم الله أبا العـلاء الـــذى يقـــول :

وقال السهى للشمس : أنت ضئيلة

وقال الدجى للصبح : لونك حائل

اذا قلنا : ان الجمهرة ليس بثانى معاجم اللغة دل على ضيق مجالنا • واذا قـــال الجمـال : ان الجمـهرة ثانى معـــاجم اللغة دل على سعة مجاله •

ما شاء الله ! ما شاء الله ! •

ان الجمهرة ليس ثانى معاجم اللغة ، وقد قلنا في ردنا السابق: « اذا أراد الجمال بزعمه الترتيب الزمنى في التأليف فقـد سبقه غير الخليل ، واذا كان يريد من ناحية السعة والضخامة فليس بثانيها ، بل هناك معاجم أضخم منه وأوسع مثل : لســـان العرب والتـــاج والمحكم والتكملة وغيرها ، واذا كان يريد من ناحية أصل العربيـة فهناك ما هو خير منه في هذا السبيل مثل التهذيب والصحاح » •

وزعم الجمال أنه لا يعرف معجم قبل الجمهرة ضم شتات العربية غير كتاب العين للخليل زعم عجيب غريب لان هناك معجمات غير الجمهرة والعين ، بل هناك معاجم سبق مؤلفوها ابن دريد في التأليف ، فابن دريد ألف الجمهرة سنة ٢٩٧ هـ كما جاء في البلغة في أصول اللغة ص ١١٧ وتوفي ابن دريد رحمه الله سنة ٣٢١ هـ ٠

أما المعاجم التى ألفت قبل ابن دريد وقبل الجمهرة فمنها :

١ ـ معجم « الالفاظ » للمفضل الضبى المتوفي سنة ١٦٨ هـ ٠

٢ ـ معجم « كتاب الجيم » ويسمى أيضا : « كتاب الحروف » ويعرف كذلك بكتاب « اللغات » وألفه أبو عمرو الشيبانى المتوفي سنة ٢٠٦ هـ ٠

٣ ـ معجم « اللغات » لمعمر بن المثنى المتوفي سنة ٢٠٨ هـ ٠

٤ ـ معجم « الغريب المصنف » وهو لابى عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٢٢٤ هـ وفيه ١٧٧٧٠ حرفا ٠

٥ ـ معجم « البارع » للمفضل ابن سلمة المتوفي سنة ٢٥٠ كمايذكر الزركلي (الاعلام ٣ : ١٠٦٣) أو سنة ٢٩٠ كما يذكر كشف الظنون ١ : ٢١٦ ط الاستانة ٠

فهؤلاء الاعلام سبقوا ابن دريد في التأليف ، وهم أوثق منه وكلهم مات قبل أن يخط ابن دريد حرفا من الجمهرة ٠

ويقول الجمال في جرأة بالغة : « غلط أيضا اذ يقول : ان التهذيب خير من الجمهرة مع أن مؤلف التهذيب الازهرى وقد عرف عن هذا أنه ينقم على ابن دريد حسدا له ولانه ينفس عليه مكانته وكثيرا ما كان يحاول الحط من مرتبته العلمية » ٠ ويقول الجمال : « وقد كان الازهرى يحضر حلقة ابن دريد ليأخذ عنه أوابد اللغة فهو تلميذه » ٠

انه أراد أن يرد على كلامي ولكنه لم يرد ، فاذا صح أن الازهرى ـ كما ذكر الجمال ـ ناقما على ابن دريد وحاسدا له ونافسا عليه مكانته ومحاولا الحط من مرتبته العلمية ، وكان تلميذا له ، فهل كل هذا يكسب الجمهرة التفضيل على التهذيب ؟

ان الازهرى كان أعظم من ابن دريد علما وخلقا ودينا ونبلا

ومكانة وجلالة قدر وعظمة عند كل الناس حتى الآن ، فهل يصح أن الأعلى ـ وهو الازهرى ـ ينفس على الادنى ـ وهو ابن دريد ـ مكانته ، ولنعقد موازنة صغيرة بين الازهرى وابن دريد نرجع فيها الى بعض المصادر الموثوق بها حتى يخلص القارىء نفسه منها الى الحكم الصحيح .

جاء في طبقات الشافعية الكبرى ٢ : ١٠٦ والوفيات طبعة محيى الدين ٣ : ٤٥٨ والبغية ص ٨ : « كان الازهرى اماما في اللغة كثير الورع ، متفقا على فضله وثقته ودرايته ، وغلبت عليه اللغة بصيرا بالفقه عالى الاسناد كثير العبادة والمراقبة متحريا في دينه فاشتهر بها ، وكان عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه ، وكان جامعا لشتات اللغة مطلعا على أسرارها ودقائقها » .

هذا عن الازهرى ، فخذ ما جاء عن ابن دريد . جاء في وفيات الاعيان ط محيى الدين ٣ : ٤٥٠ والبغية ص ٣١ وتاريخ بغداد ٢ : ١٩٦ ـ ١٩٧ : « ابن دريد امام عصره في اللغة والادب والشعر وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، ويقول كما يجىء على قلبه . وسئل عنه ابراهيم بن عرفة فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته ، وسئل عنه الدارقطنى أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه ، وكان يبدو على كبر سنه سكران لا يكاد يفتر عن ذلك ، وكان العلماء يدخلون عليه فيستحون مما يرون من العيدان المعلقة والشراب المصفى » .

ويستدل من هذا أن الازهرى كان دقيقا في اللغة متحريا شديدا ، يشبه موقفه في اللغة موقف الامام البخارى في الحديث ، وقد أخذ الازهرى نفسه بقيود في أخذ اللغة لم يتقيد بها غيره من الائمة ، كما أنه مكث مع بنى تميم زمنا طويلا يأخذ اللغة من أصحابها الاصلاء .

والاجماع منعقد على توثيق الازهرى وتزكيته والشهادة له في لغته وعلمه وفضله وخلقه ، ولم يشذ عن الاجماع الا الجمال ، كما أن الاجماع يكاد يكون منعقدا على توهين ابن دريد واتهامه ؟

يهرفون في اللغة

- ٣ -

ومن المؤسف أن يجترىء محمد صالح الجمال على الازهرى ويتهمه شر اتهام ، مع أنه في الصالحين الصادقين البررة الاخيار ، ومع أن كتابه أول أصل صحيح موثوق به في العربية لا يدانيه كتاب آخر الا نادرا ، وما أقول هذا تعصبا للازهرى وعداء لابن دريد ، فقد درست مؤلفات ابن دريد وحققت الدردية وشرحها لابن‌هشام اللخمى تحقيقا مثاليا ، وأعطيت ابن دريد حقه من التكريم وقدرته حق قدره في المقدمة التى كتبتها لشرح المقصورة ، بل انتصفت لابن دريد عندما كتبت عن الامام الازهرى في هذه الصحيفة وقد نشرتها في العدد الذى صدر في ٣ـ١ـ١٣٧٠ هـ .

وما ثنائى الحسن على « التهذيب » للازهرى مبتكر منى ، بل سبقنى علماء أعلام وليس مجال الصحيفة متسعا للشواهد الكثيرة ! ولهذا نكتفى بما ذكره ابن منظور في معجمه الضخم العظيم : « لسان العرب » .

قال في خطبة كتابه : « لم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لابى منصور محمد بن أحمد الازهرى ولا أكمل من المحكم لابى الحسن على بن اسماعيل بن سيده الاندلسى رحمهما الله ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وما عداهما بالنسبة اليهما ثنيات الطريق » .

وقال ابن منظور : « لا أدعى فيه ـ أى معجمه ـ دعوى فأقول شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الازهرى وابن سيده لقائل مقالا ولم يخليا فيه لاحد مجالا ، فانهما عينا في كتابيهما عمن رويا ، وبرهنا على ما حويا ، ونشرا في خطيهما ما طويا ، ولعمرى قد جمعا فأوعيا ، وأتيا بالمقاصد ووفيا » .

ولم يذكر ابن منظور في مقدمة معجمه الجمهرة أو ابن دريد ولم يشر اليه أو الى معجمه ، بل ذكر التهذيب والمحكم والصحاح والنهاية أحسن ذكر وأفضله وأرفعه •

فأين ما يدعيه الجمال ؟

ثم ان الجمال بعد ان اتهم الازهرى وانتقص كتابه « التهذيب » جاء بدعوى عريضة زعم فيها أن الازهرى تلميذ لابن دريد ، مع أن هذا غير صحيح ولم يقع الا في خيال الجمال وزعمه •

جاء في الوفيات ٣ : ٤٥٨ ترجمة الازهرى انه : « أدرك ابن دريد ولم يرو عنه شيئا » •

وفي طبقات الشافعية الكبرى ٢ : ١٠٦ ان الازهرى « أدرك ابن دريد وامتنع أن يأخذ عنه اللغة » •

وفي البغية ص ٨ ان صاحب التهذيب « أدرك ابن دريد ولم يرو عنه » فأين التلمذة يا هذا ؟

وخصومة الازهرى لابن دريد ليست خصومة دنيوية بل دينية ، فقد جاء الازهرى ذات مرة الى ابن دريد فرأى سكره ورقة دينه فهجره ، ولما درس الازهرى بعض ما جمعه ابن دريد في اللغة ونقده وحققه ورأى أنه يفتعل العربية انتقصه • وقال الازهرى في مقدمة كتابه التهذيب ما أنقل نصه :

« ممن ألف في عصرنا الكتب ووسم بافتعال العربية وتوليد الالفاظ التى ليس لها أصول وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى صاحب كتاب الجمهرة » وأيد كلام الازهرى كثير من العلماء الذين استشهدت ببعضهم في ردى هذا •

أما زعم الجمال وقوله : « التهذيب للازهرى والمجمل لابن فارس وكذلك التاج للمرتضى بعدهما واللسان فهذه كلها فروع مقتبسة من الاصلين : وهما العين ، والجمهرة » فكلام له خبىء ، معناه أن الجمال ليس له عقل ، ان الجمهرة ليس أصلا للتهذيب ، وليس التهذيب فرعا مقتبسا من الجمهرة •

وقد مر بالقارىء أقوال ثلاثة من أئمة المؤلفين أثبتوا أن الازهرى لم يأخذ في اللغة شيئا من ابن دريد وامتنع عن ذلك .

وما دام الدليل قائما على اثبات عدم أخذ الازهرى في اللغة شيئا من ابن دريد فان زعمه ان التهذيب فرع مقتبس من الجمهرة يكون كلاما مغايرا للحقيقة والواقع ، وان البحث العلمى ليس مجرد كلام يلقى ، بل لا بد من الدليل القاطع ، وكيف يصح في ذهن الجمال أن الجمهرة أصل التهذيب وفرع مقتبس منه بعد أن ذكر العلماء ان الازهرى لم يأخذ شيئا من ابن دريد ؟

من المؤسف أن يتهم الجمال امام اللغة والدين والفقه الامام الازهرى شر الاتهام ، ثم لا يكفيه فيدعى عليه ما لم يقع .

ويقول الجمال : اما كلمة سم فقد كتبت أنها من السوم من باب نام ينام وفعل الامر منها سم مثل نم بفتح السين وأود لو أن الاخ أحمد يطلع على ما كتبه ثعلب وهو أحد أئمة اللغة وفيما كتبه عن كلمة السوم الكفاية وذلك في شرحه ديوان أعشى قيس المطبوع في ألمانيا وهو موجود بالقسم الادبى أيضا بدار الكتب المصرية برقم ٤٨٤ وعندما يتاح له أن يتصفحه سيعلم أنه ليس من عندياتى كما قد يتصور أو يظن » .

من قال للجمال أننا نتصور أو نظن أنه من عندياته ؟ انه خياله الذى أخبره أن الازهرى تلميذ ابن دريد !

ثم ان هذه الجملة الصغيرة تحتشد بأكثر من ثلاثين خطأ وعيبا ، ولا نحب أن نضيع الوقت في بيانها وتصويبها ، ولهذا نتركها الا بعضها ونشير اليه .

انه يقول : ان سام من باب نام ينام ، مع أن اللسان والتاج والجمهرة والتهذيب والصحاح والقاموس والتكملة والراموز والنهاية والاساس والمعيار والمحيط والبستان وفاكهة البستان وقطر المحيط والمنجد وأقرب الموارد لم تنص على سام التى زعم الجمال أنها من باب نام ينام ، ويكفى ان حديث الرسول ـ وهو أفصح العرب ـ جاء فيه : « لا يسوم أحدكم على سوم أخيه » ولم يذكر أحد هؤلاء

الائمة الفحول سام من باب نام ينام ·

بل أجمعت هذه المعاجم على ذكر سام يسوم من باب قال يقول ، بل أن المقرى صاحب المصباح الذى رفعه الجمال أرقى الذرى لم يذكر في مصباحه الا سام من باب قال يقول : أما سام من باب نام ينام فغير واردة قطعا ولا وجود لها مطلقا ·

واخشى ان يكون الجمال قد جاء بهذه الكلمة من ذلك الباب من رأسه واختراعه فله في مثل هذا « سوابق » ·

ومن أخطاء تلك الجملة : الاحالة الغامضه ، فهو يحيلنا على ديوان الاعشى المطبوع في المانيا ويدلنا على أنه بالقسم الادبى بدار الكتب تحت رقم ٤٨٤ ·

وكان فرضا على الجمال أن ينقل الشاهد ويذكر الصفحة ، ولكن لم يصنع ذلك ، ومثل هذه الاحالة سبيل العجزة ، والا لاشار الى رقم الصفحة واستشهد بالنص ·

ثم ما الضرورة الى ذكر رقم كتاب مطبوع باحدى دور الكتب ، أليس هذا الديوان متداولا لا تخلو منه المكتبات الخاصة ؟ انه أراد أن يظهر لنا علمه الواسع وبرهن عليه بذكر رقم الكتاب بدار الكتب المصرية ! ·

ان الكتاب لو كان مخطوطا للزم ذكر المكان الذى به ورقمه ، اما وهو مطبوع متداول فذكر موضعه ورقمه فضول أيما فضول ، وهو يشبه من يقول : ان في مصر ملحا أو ترابا ·

هذا معروف بالبداهة ، وما الجدوى من أن أعرفانا أو القارىء أن الكتاب موجود اذا لم ينقل الشاهد ويحدد رقم الصحيفة؟

ثم أن المعاجم التى سبقت ثعلبا أو جاءت بعده لم تغفل مادة سوم ، بل ذكرته أكثر من ثعلب ، فاذا كان الجمال واثقا من ان ثعلبا ذكر ما فيه الكفاية عن السوم فلينقله نقلا أمينا ويعرضه على القراء لأريه أن ثعلبا لم يذكر عن هذه المادة ما فيه الغناء ·

ثم ما ضرورة ذكر « أيضا » في جملته القصيرة ، وما ضرورة ذكر (موجود) في قوله : (وهو موجود بالقسم الاول) أما كان

كافيا أن يقول : « وهو بالقسم الادبى » ؟ ولكنه التشبث بفضول القول ولغو الكلام ٠

ثم يقولنى الجمال ما لم أقل ، ويزعم اننى ظننت : أن الكلمة من عندياته ، مـــع اننى لـم أظن ذلك ولكن من يقـــول ابن دريد والعكبرى والواحدى ما لم يقولوا قادر ان ينسب الى ما لـم يخطر ببـــالى ٠

ويقول الجمال : « وأما تخطئته لى بأننى ذكرت أبا بـكر بن دريد فقط فأننى اكتفيت بذكر كنيته دون اسمه لكونهعرف واشتهر بها كابى زيد امام اللغة ، وكلاهما أشهر من نار على علم بكنيته دون أسمه أو لقبه فلست مخطئا » ،

وأنا أقول : انه أخطأ في الاولى مرة وأخطأ في الاخرى مرتـــين بل أكثر ٠ فأبو زيد أشتهر بكنيته ، واذا قيل في مجال اللغة : أبو زيد فلن يتجه ذهن القارىء ذى الثقـــافة اللغوية الا الى سعيد بن أوس الانصارى ، أما اذا قيل في مجال اللغة : « أبو بكر » فلن يعرف المقصود « ابن دريد » لانه غير معروف بها ، وهناك كثير ممن كنيتهم أو اسمهم « أبو بكر » وهم من المشاهير ، فأذا زعـم الجمال أن ابن دريد مشـــهور بكنيتـــه « أبى بكر » شهرة أبى زيد سعيد بن أوس بكنيته فكيــف نهتدى الى المقصود من هذه الكنية (ابى بكر) اذا أطلق وأريد به أحد المشاهير غير ابن دريد ؟

كيــف نفرق بـــين « الشخصيات » التى تكنى بأبى بكر أو تتسمى به اذا قلنا « أبو بكر » ؟ أيتجه الذهن دون عناء الى ابندريد من تلك الكنية كما يتجه اذا قلنا : « أبو زيد » ؟

كلا وألف كلا ،

ان هنـاك من المشاهير من كنيته أو اسـمه « أبو بكر » وكلهم معروف في ميدان العربية الفسيح مثل أبى بـكر محمد بن أحمـــد المعروف بابى طاهر ، وأبو بـــكر محمد بن طلحة ، المعـروف بابن طلحة ، وأبو بكر بن اسحاق المعروف بالشيخباكير ، وأبو بكر بن يحيى المعروف بالخفـــاف ٠ وأبو بكر محمد بن أحمد بن منصور

المعروف بابن الخياط ، وأبو بكر بن آدم وأبو بكر بن دمين اليمنى وأبو بكر الشعبى وأبو بكر بن أبى الازهر وأبو بكر بن الصائغ وغيرهم ٠

كيف نعرف بين الكثرة الكاثرة المقصود من « أبي بكر » ؟

ان ابن دريد لا يعرف اذا أطلق « أبو بكر » دون تحديد ٠

ولو كان ابن دريد معروفا بكنيته « أبي بكر » كما عرف سعيد ابن أوس بكنيته « أبي زيد » ، لما جهل السيوطى كنية ابن دريد في كتابة بغية الوعاة في « باب الكنى والالقاب والنسب والاضافات » ولو كان ما ذكر الجمال صحيحا من أن ابن دريد معروف بكنيته « أبي بكر » لذكره السيوطى بكنيته هذه كما ذكر سعيد بن أوس بكنيته المشهورة (أبي زيد) وذلك في صفحة ٤٣٠ عمود ٢ ٠

ان السيوطى لم يذكر ابن دريد بكنيته أبي بكر لانه غير معروف بها معرفة سعيد بن أوس بأبى زيد ولهذا ذكره بكنيته الاخرى المشهورة وهي « ابن دريد » ٠

واذا ذكر ابن دريد بكنيته هذه فان الذهن لا ينطلق الا الى صاحب الجمهرة مع ان هناك من يكنى بابن دريد غيره ، مثل أبي بكر يحيى بن محمد بن دريد الاسدى اللغوى الاديب القاضى الفقيه الاندلسى ٠

ان « أبا بكر » كنية ابن دريد حقا ، ولكنه ليس معروفا بها معرفة سعيد بن أوس بكنيته أبي زيد ، واذا أطلق « أبو بكر » وحده في المجال اللغوى فانه لاينطلق الى ابن دريد وسيبقى غفلا منكورا حتى يعرف ٠

أما قوله : « كلمة أزعتر فهذه لا تستحق الكتابة عنها لتفاهتها وعدم أهميتها وسيان كان أصلها زعتر أو صعتر وهي عامية » فيدل على أن صاحبه لا يعرف شيئا من البحث العلمي ، فنحن اذ وضعنا بعض قواعد العامية منذ بضع سنين وعارضناها بالفصحى وذكرنا النقاط التى يجتمعان عندها والخصائص التى تلتقيان لديها كانت كلمة « أزعتر » مفتاحا من مفاتيح هذا البحث العظيم ، فليرجع الجمال الى هذا البحث الذى نشر قسم منه في بعض اعداد هذه الصحيفة التى صدرت في ١٨ و ٢٢/١/٦٩ هـ ٠

نشرت هذه الكلمات الثلاث السابقات في جريدة «البلاد» سنة ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)

مناقشة لغوية

شاعرنا الكبـير الاستاذ احمد ابراهيم الغزاوى من المعنيـين بالعربية ، وانه للغوى ، وثروته من الفصحى عظيمة وشعره الممتلىء بالكلمات اللغوية آية تبريزه .

وفي مطالعاته ويومياتـه روائع ينشر فيـها آراء ثقافية ، وفي بعضهـا مجـال للنقاش والبحث ، وقـد دونت في دفترى عناوين لتذكرنى بما لا أوافقه فيه من آرائه عندما أعزم على مناقشته .

وقرأت اليوم في جريدة « الندوة » كلمات رائعة تحت عنوان يوميات ، وقفني بعضها ،ودفعني الى مناقشة شـاعرنا حبا للعلم ، ولعل الله يوفقنا لما نصمد له .

قال شاعرنا : « وهو يترجم أو يعرب على الاصح بيانا القـاه بالافرنسية الخ » .

وما ادرى ما الذى سوغ للاستاذ ايثار التعريب عـلى الترجمة ودفعه الى أن يزعم أن التعريب أصح من الترجمة في هذا الوضع ؟

الفرق كبـير بـين التعريب والترجمة ، فالتعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية على منهاجها ، مثل : راديو ، فاذا استعملنا « راديو » في تعبيرنا فذلك تعريب ، لاننا نقلنـا الكلمة الاعجمية الى لغتنا بحروفهاأو بعضها أو بأكثرها ، أما اذا قلنا « المذياع » فليس تعريبا ، بل تسمى هذه « العملية » ترجمة .

وهناك فارق أعظم من هـذا ، وهو ان التعريب خاص بالكلمة المفردة ، أما الترجمة فتتناول الكلمة والجملة والكتاب كله .

واللغويون عندما أطلقوا كلمـة التعريب لم يريدوا الا نقـل الكلمة الاعجمية بحروفها الى اللسان العربى ، وكـل كتب المعربات تذكر ذلك ، وما جاء في اللغة « التعريب » بمعنى الترجمة عن الائمة من اللغويـين .

ولهذا اسأل شاعرنا اللغوى : ما دليله على أن التعريب أصح من الترجمة ، بمعنى نقل الكلام الاعجمى الى اللسان العربى ؟

ويقول الاستاذ : « سواء أكانوا في متنزهات الطائف والعقيق أو في بطون الاودية ورؤوس الجبال » .

ولعل لدى الاستاذ وجها في العطف بأو بدل أم ؟ والذى أعرفه أن سواء العبارة هكذا :« سواء أكانوا في متنزهات الطائف والعقيق أم في بطون الاودية الخ » .

واللغة العالية لغة القرآن تقول : (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) و (سواء عليهم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) و (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) و (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) .

ويقول الاستاذ الغزاوى : « انشد ابن هشام في سيرته رجزا لرؤبة بن العجاج أورده في اشتقاق قريش . قال :

قد كان يغنيهم عن الشغوش
والخشل من تساقط القروش
شحم ومحض ليس بالمغشوش

والشغوش قمح يسمى بذلك . والخشل رؤوس الخلاخيل والاسورة ونحوه . والقروش : التجارة والاكتساب » .

وعلق على ذلك بقوله : « اذن يكون القرش مأخوذا من هذا المعنى العام ويساعد على هذا الفهم اقترانها بالشغوش ذات الرنين المعدنى » .

وفي رواية الرجز تحريف أو تصحيف ، وصحته :

والخشل من تساقط العروش

هكذا حفظته ، وهو رواية اللسان وبعض مخطوطات الديوان وقول الاستاذ : « اقترانها بالشغوش ذات الرنين المعدنى » سبق قلم والصواب : الخشل بدل الشغوش ، لان الشغوش ردىء الحنطة وليس له رنين معدنى ، بل الذى له هو الخشل ، والشغوش فارسى معرب . وهو بالفتح .

أما أن « القرش » مأخوذ من هذا المعنى فليس بصحيح ، لان أصل القرش تركى ، وما عرفناه الا عنهم ، وينطق لديهم « غرش » والريال ليس عربيا ، ووصلنا عن الاسبان ، وفي العربية مادة قرش وريال ، ولكن الاستعمال ليس من العربية ·

ويقول الاستاذ : قال حســـان :

ثم التقيـــنا فولوا عن سراتهـم
من منجدين ومنهم فرقـــة غاروا

ويعقب عليه بقوله : « ألا يكون من المحتمـل أن ما نقوله العـامة حتى يومنا هذا لمن تنكر عليهم أمرا أو تكذب لهم دعوى : « غوروا » مأخوذ من « غاروا » بمعنى هبطوا « الغور » ؟ أو أنها درجت عـلى الالسنة في نفس اليوم الذى أنشد فيه حسان قصيدته هذه فارتبطت في الاذهان بمعنىالتهجين والتأفين والغرار والاغترار ، واللوم والمقت والتعبير والتشهير ؟ أحسب أن ذلك هو الاصل في استعمال هـذه « الغوروا » أو ليأتينى من يعلم ما هو أصح وأصوب مما يجعلهـــا واضحـــة بينـــة » ·

وأنا لم أقف على دروج الكلمة في نفس اليوم الذى أنشد فيـه حسان ، ولم ترتبط في الاذهان بالمعـــانى التى أشار اليها الاستاذ الغزاوى ، وليس منظورا فيه الى هبوطالغور ، بليقصد منه الاختفاء والبعد عن وجه الآمر ، واذا أصررنا على أن نجد للكلمة صلة بمادة غار فان من السهل أن نجعل اشتقاقها من غار بمعنى ذهب في الارض لا من غار بمعنى هبط الغور ، لانك تقول لمن تغضب عليهم : اذهبوا، وتريد أن يختفوا عن عينيك ، واستعمل المصريون : غوروا ، بمعنى : اذهبوا ، وبمعنى اغربوا ·

وفي كلمات الاستاذ الغزاوىالمنشورة في عدد ١٥٤ من «الندوة» الـذى ورد بـــه مـــا ناقشـــته فيـــه مجـــال كبير لاشتجار الآراء ، ولكـــنى اكتـــفيت بمـــا قدمـــت ، ومـــا أردت الا الفائدة ، والله الموفق ؟

نشرت بجريدة « البلاد » سنة ١٣٧٧ هـ

الكلتور

قرأت في رد الاستاذ عبد الوهاب أبي حجر على الدكتور محمد سعيد العوضي المنشور بجريدة « البلاد » قوله : « أما قول دكتورنا ان ترجمة Culture بمعنى ثقافة لم يقل به أحد فيبدو أنه لم يقرأ لاحد ، فالدكتور حسن سعفان في كتابه « أسس علم الاجتماع » يترجم كلمة Cultural Patterns الى « انماط » أو نماذج ثقافية ، كما أن الدكتور مصطفى الخشاب يترجم Cultural Lag الى « تخلف ثقافي » .

وعجبت من تسرع الدكتور العوضي وقوله : ان أحدا لم يقل الكلتور بمعنى الثقافة ، لان كل من ترجم الكلتور الى العربية رأى أن الكلمة العربية التى تقابلها هى الثقافة ، ويكفى ان الدكتورين : سعفان والخشاب ترجما الكلتور بالثقافة ، وهما مصيبان .

ولو رجع الدكتور الى أصل الكلمة « الكلتور » في اللاتينية ومقابلها في العربية لوجد المعنى في اللغتين قريبا في الاصل وما اشتق منه .

وأحب أن أضيف الى شاهدى الاستاذ أبى حجر شواهد جديدة أخرى تؤيده وتبين للدكتور أن أقطاب الفكر في العالم العربى ترجموا الكلتور بالثقافة ، وهو الحق والصواب .

جاء في بعض المعجمات « عربى ـ انكليزى وانكليزى ـ عربى » ترجمة الكلتور بالثقافة ، وهى معجمات للطلبة وغير الطلبة موثوق بها .

وذكر الاستاذ الكبير العلامة الدكتور مصطفى جواد في مجلة الرسالة س ٨ م ١ ص ٥٣٢ تحت عنوان : « الانتاج العقلى للامم » « تميز اللغة الالمانية بين كلمة KULTUR المأخوذة من اللاتينية CULTURA من COLORE ومعناها الاعتناء بالارض

واصلاحها وزرعها فاستعملتها في العناية بالبشر وخصصتها بالمسائل الروحية فقط والناحية النفسية مثل الشعور والعواطف والديانة والموسيقى والاجتماع والسياسة والتربية على اختلافها » .

ولينظر صفحة ٣٥١ من PHILOSOPHISEHES و
WORTERBUCH HEINRIEH SCHMJDT

وجاء في مقال للاستاذ محمد خلف الله تحت عنوان : « الثقافة والنظر الاخلاقى » ونشر بالثقافة ع ٤ س ١ : « ان الكتاب المعاصرين يستعملون كلمة ثقافة يريدون بها ما يريده اخوانهم الغربيون من كلمة « CULTURE »

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في مقال له منشور بالرسالة ع ٣٢٧ س ٧ م ٢ بعنوان « أين الكلتور » : دخل الالمان الحرب الماضية وهم يحملون أمامهم كلمة « الكلتور » التى شاعت على ألسنة الناس من ذلك الحين كما شاعت ترجماتها في اللغات الاخرى ومنها كلمة الثقافة في اللغة العربية » .

ويقول أيضا : « وكانت دعواهم أنهم يحاربون بالكلتور الجرمانى أو الثقافة الجرمانية كما يحاربون بقوة السلاح وقوة العقيدة » .

وفي مجلة الزهراء بالعدد الصادر في رجب سنة ١٣٤٣ صفحة ٤٤٠ : « شاع كلمة الثقافة ترجمة لكلمة كلتور » .

وما أظن بعد هذا ينكر الدكتور العوضى أن الكلتور جاء بمعنى الثقافة ، ولو كانت مراجعى العربية والافرنجية تحت يدى بالطائف لاستشهدت له أكثر مما استشهدت ، ولكن فيما ذكرت الغناء كل الغناء .

وان طريقة الدكتور التى يتبعها في الاثبات والنفى ـ في بعض الحالات ـ ليست طريقة الباحث ، وهى لا تتفق مع ما هو معروف من خلائقه ؟

نشرت بجريدة « المدينة المنورة » سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)

دعاة العامية

دعاة العامية في العالم العربى وفي بلادنا أيضا يجهلون الواقع ـ واقع الحياة وواقع اللغة العربية وحقيقة الادب والعلم ـ عندما ينادون بوجوب استعمال العامية وضرورة اتخاذها لغة التخاطب والكتابة حتى لا تكون هناك عزلة بين لغة التخاطب ولغة الكتابة ، وحتى نجعل الثقافة من نصيب العامة جميعا ٠

وان من الغريب أن ينهض في بلادنا من يدعو الى العامية ويحمل لواءها ويدخل به الميدان ليخاصم الفصحى ويزرى بحماتها ويهزأ بمن يغار عليها ٠

ان بلادنا عرفت في هذه الايام دعاة الى العامية ، وفيهم من لا يتهم بدينه وعقيدته ، ومع هذا يدعو الى العامية وكأننا في غير البلد الذى نزل فيه القرآن ٠

وأنا أقول لهم ولكل دعاة العامية في العالم العربى : اكتبوا لنا باللغة العامية في الآداب والعلوم ، اكتبوا لنا بحثا واحدا بالعامية ، وألفوا لنا كتابا في الطب بهذه اللغة ٠

ولوأن الدعوة الى العامية تحققت لاصاب العالم العربى شر كثير ، ولانقطعت الصلات بين البلدان العربية بعضها ببعض ، وأصبح كل قطر غريبا على القطر الآخر مثل غربة الانجليزى في وادى الدواسر ، وغربة شيخ قبائل رجال ألمع في فنلندا ٠

ماذا يصنع من يدعو الى العامية في بلادنا اذاوقع اليه كتاب باللغة العامية العراقية ؟ أتراه يفهمه ؟

انني عندما كنت في بغداد كنت أتحدث بعامية أقرب الى الفصحى فكان العراقيون يفهمونني وكان العراقيون يتحدثون الى بها فأفهمهم ٠ ولولا أننا كنا نبعد عن لغتنا الكلمات العامية الاقليمية لتعذر التفاهم بيننا ، بل تعذر التفاهم بينى وبين الخدم في الفندق

لانهم عامــة لا يعرفون غـير عاميــة العراق ولا يدركون عاميــة الادبــاء والمفكرين ٠

قلت للخادم : هات كرسيا ، فلم يفهم ما الكرسى ؟!

وأخيرا أشرت له الى كرسى ، فابتسم وقال : اسكملى (بفتح الكاف وسكون الميم وكسر اللام) ٠

وقلت للسائق : اذهب الى محل يبيع « الشباشب » فنظر الى مستفهما ، فلما اتخذت معه لغة الاشارة قال : « كندرة » قلت : نعم، فذهب بى ، فأخذت أسأل البائع عن طلبى فاعتذر وزعم أنه غـير موجود عنده ، فلما تفقدت مبيعاته وجدته فقلت : هــذا شبشب ، قال : لا يا سيدى هذا تقلق (بفتح التــاء والقـاف وفتــح اللام مــع التشــديد) ٠

وهذه طائفة من الكلمات العامية العراقية أهديها الى من تسول له نفسه الدعوة الى العامية لعلها تفيده ، وأذكر كل كلمة عـامية عراقية وما يقابلها في عامية الحجاز :

العامية العراقية	الحجازية
ابريق	براد
نفنوف	كرته (فستان)
اسكملى	كرسى
شجر	كوسة
تعروزى	خيار
بطيخ	شمام
هوايا	كثير
رقى	حبحب
بطــل	قارورة
بردة	ستارة
جراب	شراب
دشداشة	ثوب
قنطور	دولاب ملابس

تقلق — شبشب
كفية — منديل
طبلة — طرابيزة شاى
دوشك أومطرح — طراحة
خاشوقة — ملعقة
نفاضة — طفاية
فوطة — نقـاب
خاولة — منشفة
تمن — رز

وهكذا الى مئات الكلمات التى لا نفهمها من عامية العراق ، وهم أيضالا يفهمون مئات من عاميتنا الحجازية أو النجدية ٠

ولو أن قصة أدبية ألفها عراقى بعامية العراق وجاء فيها مثل هذه الكلمات لعسر على غير العراقى فهمه ، ولوجب أن تترجم القصة الى لغة الحجاز ولغات كل الاقطار العربية حتى تفهمها ٠

وفي هذا فصل العرب بعضهم عن بعض ، واذا مضى قرن وأكثر على استبدال العاميـــة بالفصحى للزمنى عند السفر الى العراق أن أصحب معى مترجما يفهم اللغة العراقية اذا كنت جاهلا بها ، وكذلك الامر بالنسبة للعراقى اذا قدم الى بلادنا ٠

واذاتحقق ما يدعو اليه دعاة العامية في عالمنا العربى لاصبح الحجازى للعراقى مثل الحجازى للايرانى أو العربى للتركى ٠

ولولا الفصحى لتهدم كيان العرب كله ، وما بقى للعرب وجود الا من الفصحى ولا شيء سوى الفصحى ، واذا شك أحد في هـــذا فاننى أقول له : ان الفصحى تتجلى في القرآن ، ولولاه لما اجتمعنا من جديد ، ولما قام لنا ظل وبقى كيان ؟

نشرت في جريدة « عكاظ » سنة ١٣٨٠ هـ

العامية لغة الشعب

ينادى كتاب وصحفيون في العالم العربى باتخاذ الغة العامية لغة الادب والعلم والثقافة ، ويحتجون بأن الشعب لا يفهم اللغة الفصحى التى هى لغة الاقطاعيين والرأسماليين والطغاة •

وما ثم جهل بالحقيقة والواقع أكثر من هذه المزاعموالدعوات، فالذين يتخذون الفصحى لغة الكتاب والخطابة ليسوا كما زعموا اقطاعيين ورأسماليين وطغاة ، وندر بين هؤلاء من يحسن الفصحى ، وكل كتاب العربية في العالم ليس بينهم أحد أولئك ، فما القصد من هذه الدعوة اذا كان من يتخذ الفصحى غير اقطاعى أو رأسمالى أو طاغية ؟ •

لا يقصد الدعاة منهذه الدعوة الهدامة الا محاربة « الامتياز » والقضاء عليه •

ولنضرب المثل بكتاب مصر البارزين ـ لان حاملى لواء هذه الدعوة من مصر ـ فالعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم والزيات ليسوا اقطاعيين أو رأسماليين أو طغاة ، فلماذا يحتجون بأن الفصحى لغة غير الشعب وبأنها لغة خصومه •

أطه حسين وزملاؤه اقطاعيون أو رأسماليون أو طغاة ؟ •

ما أظن أحدا ـ حتى الدعاة أنفسهم ـ يزعمون ذلك •

ثم من الاقطاعيون والرأسماليون والطغاة في نظر هؤلاء الدعاة؟

أنهم أمثال عبود والبدراوى وفرغلى وفاروق ، وليس هؤلاء ممن اتخذوا الفصحى لغة كتاباتهم وخطبهم ، وليسوا أدباء أو كتابا ؟!

ومن هنا نفهم أن القصد من هذه الدعوة الذى لا قصد سواه هو هدم الاسلام وتراثه وكتابه الكريم وسنة الرسول العظيم •

ثم من قال :أن من يكتبون بالفصحى ليسوا من الشعب •

بل ليس هناك اهانة للشعب أشد من هذه الاهانة التى يقذفه بها هؤلاء الذين يزعمون أنهم من الشعب وهم أعداؤه الحقيقيون ٠

ولنضرب المثل بالشعب المصرى لان الدعاة الى هـدم الفصحى من أبنائه حتى يتضح سوء نيتهم ٠

ان الشعب المصرى يتردد مسلموه على المساجد يسمعون خطب الجمعة ، وما تلقى الا بالفصحى ، وهم لا يعجزون عن فهمها ٠

وأغانى الشيخ سلامه حجازى وسيد درويش وغيرها كان فيها شعر فصيح كأنه جاهلى ، وكان الشعب يترنم بها ويفهمها ٠

ويسـمعون الاذاعـة المصرية ، وفيهـا أحاديث ومحاضرات بالفصحى ، وما ادعى الشعب أنه لا يفهمها ٠

ان الشعب يفهم ، ولكن الدعاة يريدون من دعوتهم الهدامة أن يصبح الشعب قطيعا فيتقوض صرح « الامتيـاز » فيسهل قيـاده وتسـخيره ٠

وليس بـين هؤلاء الدعاة صاحب خلق ودين ، بل كلهم حاقد عـلى الانسانية فهو يريد أن يستبدل بهـا حيوانية تليق به فيعيش أسيرا للضرورات وحدها دون أن تصبو نفسه الى الـكمال والامتياز والرفعة التى هى سمعة الانسانية وخليقتها ومزيتها على الحيوان ٠

يسألون في اللغة

تلقيت رسالة كريمة من الاديب الفاضل ابراهيم بن يوسف من الرياض جاء فيها :

« أهنىء على الخطوة التى تعتزمون خطوها بجريدتنا « عكاظ » نحو التقدم لخدمة الوطن والمواطن اضافة على الذود عن حياض الدين الاسلامى الحنيف فالى الامام ، الى الامام « ولينصرن الله من ينصره » .

وشكرا للاستاذ الكريم .

ثم يقول : « ومع رسالتى كلمات متداولة في الحجاز ونجد مع معانيها ، فهل لها أصل عربى ؟ » .

والكلمات هى :

١ ـ احترى فلانا : انتظره
٢ ـ عزمت فلانا : دعوته على طعام
٣ ـ شلت الشىء : أخذته
٤ ـ دعست السيارة فلانا : دهسته
٥ ـ طهرت الولد : ختنته
٦ ـ فلان طفران : مفلس
٧ ـ فلان طرش الى : سافر الى ...
٨ ـ توهقت في فلان : اغتررت به
٩ ـ فلان هماق : كثير الكلام .
١٠ ـ وديت الشىء لصاحبه : رحت به اليه
١١ ـ وتنت ولدى ضد الجدرى : لقحته .

وأجيب من الذاكرة لان البحث في المراجع لا يتاح لمن يعمل في الصحافة التى لا تعرف الاناة ، وأقول :

« احترى فلانا : انتظره » محرفة من تحراه ، واذا كان المنتظر

يرقب قدوم من ينتظره ، فان الذى يتحرى انسانا انما يتوخى قدومه ، ومادة حرا عربية فكلما « احترى » العامية هى « تحرى » الفصيحة .

و « عزمت فلانا : دعوته » ويقال في العامية أيضا : عزمت على فلان ، أى دعوته ، وفي وسعنا أن نقول : انهاعربية ، والعزم ـ هنا ـ القسم ، كأنك تقسم عليه أن يلبى دعوتك .

و « شلت الشيء : أخذته » فصيحة ، فشال لازمة ومتعدية ، وفي الفصحى : شالت الناقة بذنبها : رفعته ، وشالت الجوزاء : ارتفعت ، فانت اذا شلت الشيء انما تأخذه ، واذا أخذته فقد رفعته .

و « دعست السيارة فلانا » عربية صحيحة ، و « دهس » خطأ .

و « التطهير » : الختان ، فصيح

و « طفران » و « طرش » عاميتان ، ولكن مادتها عربية .

و « توهق » عربية فصيحة ، ولكن استعمالها العامي غير معروف في العربية وان كان فيها التوهق بمعنى اضطرار من تخاطبه الى الحيرة في قولك .

و « الهماق » في الفصحى ورد بمعنى الكثير ، فلا بأس ان يستعمل لكثير الكلام مجازا .

و « وتن » بمعنى لقح ليس عربيا ، واستعمال العامية الحجازية « تين » .

و « ودى » الشيء لصاحبه ، محرفة من « أدى » بمعنى أوصل .

وتلقيت رسالة من الاديب الفاضل الاستاذ عثمان الصالح مدير معهد الانجال بالرياض يقدر فيها لعكاظ عنايتها بالبحوث اللغوية ، ويقترح فتح « باب » لبحث الكلمات المستعملة في اللغة العامية .

وعكاظ تقبل الاقتراح ، وترجو من القراء المشتغلين باللغة أن يكتبوا اليها بما يملأ فراغ هذا الباب الذى تفتحه .

وقدم الاستاذ عثمان الصالح كلمات تستعمل في لغة نجد العامية طلب تحقيق أصولها وهى :

« الدروازه » بمعنى المدخل العام ·

و « قوه » بمعنى هيا نذهب ·

و « يتناه » بمعنى ينتظره ، ويقولون : تناه ، يتناه ، اتنه بمعنى انتظره ، ينتظره ، انتظره ·

و « خوش » بمعنى طيب ·

وأنا أكتب الجواب من الذاكرة ، فكلمة « دروازه » فارسية الاصل ، ومعناها « الباب » ·

و « قوه » والقاف هنا تنطق باللهجة الحجازية والنجدية العامية التى تشبه نطق القاهريين بالجيم و « قو » مأخوذة من الانجليزية بمعنى اذهب · واذا أردنا أن نجعلها من أصل عربى صميم ففى وسعنا ، اذ نستطيع أن نقول : ان معنى « قو » هى « قم » بحذف الميم ·

و « يتناه » بمعنى ينتظره ، أصلها ـ كما أعلم ـ من تنأ يتنأ بمعنى أقام ، انتقلت الى البيئة العامية فصارت تنا بدون همز ، والمنتظر هو من يترقب غيره في مكان ، وكأنه مقيم حتى يأتى من ينتظره ·

و « خوش » بمعنى طيب فارسية لفظا ومعنى ·

وهذه الكلمات ـ كما ذكر الاستاذ الصالح ـ تستعمل بنجد وقد وفدت اليها من بلدان الخليج العربى الذى ينتشر فيها أهل فارس ·

ولا تستعمل هذه الكلمات في عامية الحجاز ·

ونشر شاعرنا الكبير الاستاذ أحمد ابراهيم الغزاوى في يوميات له بجريدة « الندوة » بحثا طريفا في اللغة عن أصل « وداه وجابه » العاميتين وقال سعادته : « أما الاولى » « وداه » فان أصلها « أداه » والاخرى « جابه » فأصلها « جاء به » ·

وقال : « هذان نموذجان لما اعترى كثيرا من الفصحى من علل

وأمراض طارئة لا تلبث أن تزول بقليل من الامعان والتقدير الخ » .

وقال : « وما ينبؤك مثل خبـــير وأعنى به صاحب القـــدم الراسخة في « المعاجم » واللغة والادب الاســـتاذ أحمد عبد الغفور عطار ، فهــل يروى ذلك كذلــك ، أو لديــه تأويل أصح ، وبهذه المناسبة أرجو أن يفيد الجمهور ببحوثه القيمة في هذا المجال برا بلغة العرب ، ووضعـــا للامور في نصابها ، وتبصيرا للاجيــال الناشئة أو الصاعدة الخ » .

وما رآه في « وداه » و « جابه » هو الحق ، ولكن العامة حرفت الفصيح فكان ما كان ، وهو اذ يرجو أن أفيد الجمهور ببحوثى فانما يدفعه فضله ، فأنا ان رددت كثـــيرا من الكلمات العامية الى أصلها الفصيح فان الاستاذ الغزاوى كان أسبق منى في هذا ، ولعله أول من صنع ذلك ببلادنا وبدأ به ، وله شكرى الجم على حسن ظنه في .

وما دمت ذكرت الاستاذ الغزاوى فاننى أود أن أشـــكره على حسن ظنه بى وثقته في علمي المنزور ، فقد نشر في عدد ماض مــن جريدة « الندوة » في « مطالعاتــه وتعليــقاته » دررا وغررا قــال في احداها : « قال صاحب تاج العروس : البسكل بالضم ، هو الفسكل من الخيل ، وهو آخر الحلبة مجيئا » .

وعلق عليه الاستاذ الغزاوى بقوله : « هــل كانت تســـمية « البسكليت » معتمدة على هذا الاصل من لغة العرب ، وبتحقيق من ذوى الرسوخ فيها ؟! أو هى كلمة أعجمية ، واتفق أن لها ما يقابلها في الخيل ؟! ذلك ما أود أن يتفضل أديبنا الكبـــير الاســـتاذ أحمد عبد الغفور عطار فيزيح الستار عنه في بيانه المعجب ان شاء الله » .

والذى أراه أن « البسكليت » كلمة أعجمية ، ووجود الفسكل في العربية لا يدل على أن الاشتقاق منه أو أنـــه منظور اليه ، اذ لو كان الامر كذلك ما كان العلماء يستعيرون له « الدراجة » العربية ، والعامة لا يعرفون الفسكل ، بل لا يعرفها الا خاصة الخاصة أمثال الاستاذ الغزاوى ، فهم أبعد من أن ينظروا عند وضع الاسماء الى مثل هذا ، ولكن « البسكليت » تعتبر من المعربات العامية ، وهى مــن

الانجليزية أو الفرنسية ·

وفي كلمة الاستاذ الجليل كلمة مرد الخطأ فيها الى المطبعة ، وهى « يتفضل » لان الاستاذ الغزاوى يعرف أن « تفضل » معناها تظاهر بالفضل وهو ليس من أهله مثل تمارض ، والصواب أفضل مثل : أكرم وأنعم ·

وجاء في مقال الاستاذ الغزاوى : « سمعت في الاذاعة السورية مرارا اطلاق « البعل » على ما نسميه المسقوى أو العثرى في بلادنا ولم أقف على صحته الا بعد المراجعة » ·

ونقل الاستاذ الغزاوى معنى البعل من « العباب » للصغانى فقال : « البعل من النخل : الذى يشرب بعروقه فيستغنى عن السقى أو ما سقته السماء » · والبعل ليس المسقوى وانما هو العثرى ، لان المسقوى هو ما يسقيه الانسان ، أما العثرى فهو الذى يسقى من المطر ، وثلاث الكلمات من الفصحى ·

نشرت في عكاظ سنة ١٣٨٢ هـ

- - -

عصر العامية

أكاد أسمى هذا العصر الذى نعيش بالنسبة الى اللغة « عصر العامية » لان كل عربى مهما كانت عبقريته وسمو ملكاته وصحة سليقته ومبلغ عمله وثقافته واستيعابه للفصحى ومعرفته قواعدها لا يستطيع أن يجعل الفصحى لغته في خطابه وكتابه ، ولان الدعاة اليها كثروا كثرة مخيفة ، ولان من هب ودب صار كاتبا يخطرف برأسه ويكتب ما يشاء مزريا بالصحة والكمال ، داعيا الى النقص والاعتلال ويسخر بمن يدعو الى المحافظة على سلامة العربية •

وهؤلاء الدعاة يجهلون كل الجهل أن أرفع الآداب الانسانية ومنها الادب العربى لم تصبح أدبا الا بعد أن عنيت باللغة وتخلت عن العامية ، والآداب الرفيعة ليست في حاجة الى العامية ولا تسمى آدابا رفيعة الا اذا استقام لها البناء اللغوى •

وهؤلاء الدعاة يحسبون أنهم جاءوا بجديد ، وجهلوا أن العامية لسان كل الناس منذ كانت اللغة في دور طفولتها وبداءتها ، وهم اذ يدعون هذه الدعوة انما يريدون قهر الكمال وتشويه الجمال وامراض السلائق الصحيحة والملكات السليمة وانزال الاقلام العالية من سماواتها حتى يقضوا على الامتياز الذى يقوم على الصحة والقوة والحق والخير والجمال •

والقضاء على الامتياز قضاء على خير ما في الانسانية من مثل رفيعة وقيم عالية •

أترانا في حاجة الى عصر جديد للعامية ؟ ان العامية باقية ، وان زيادة ألف كاتب عامي لا تضيف الى الثروات الانسانية مزيدا من الثروة ولا ترفع من كرامة الانسان ، واذا أضيف الى الوحل وحل فما زاد في الفضل شيئا •

واذا كان ألف كاتب باللغة العامية ينحطون بالاساليب ولغة الكتابة انحطاطا ويغرقون في محيط العامية فانهم لا يقدمون الى

التراث الانسانى جديدا رائعا ، ولا يزيده قيمة اضافة وحل جديد اليه •

وما تفاضل الناس بعضهم على بعض بالضرورات ، بل مرد التفاضل الى الامتياز والتفوق •

وما مزية الآداب والفنون ، بل ما مزية الحياة نفسها اذا هبط الناس جميعا الى حيث تمحى فوارق الامتياز ؟!

وكل داعية من هؤلاء الدعاة يحسب أن من حقه أن يقول : أنا أرى ، فيكون الرأى رأيه في اللغة ، ولو كانت فيه مسكة عقل أو ذرة من زكانة كزكانة أى عامي جهول أو حيائه لادرك بالغريزة أن وزن كل رأى في أى علم من العلوم موكول الى أهل الخبر فيه •

ولو جاء هذا الداعية أو الدعى برأى في الرياضيات أكان يفحص رأيه من قبل الزراع والاقتصاديين ، لا بد أن يفحص الرأى الرياضى ذوو الخبرة والامتياز في الرياضة ، وكذلك القول في اللغة •

لا يحق لاى متحدث بها أن يقول: هذا رأيى ، ويحكم هو نفسه لرأيه بالسداد والصحة ، لان الحكم من خصائص الراسخين فيها على ألا يكون متهما أو صاحب هوى •

ولكننا في العالم العربى نجد أمثال هؤلاء الدعاة الادعياء الذين لا نجدهم في كل اللغات الحية العالية ، وما مقصدهم بحسن لانهم يريدون بالقضاء على اللغة العربية الفصيحة القضاء على القرآن والحديث وكل تراثنا الفكرى والادبى ، ولكن لن يستطيعوا هدم الفصحى لان جنودها أقوى من هؤلاء الادعياء ، والقرآن أعظم من أن ينال لغته أحد بسوء ، وما يطفىء الشمس أفواه مهما نفخت ، وناطح الصخر معروف أمره •

لغة الوزارات

أسلوب الانسان نفسه وروحه ، وعقله ومزاجه ، وآية عـلى شخصيته ، فان كان الاسلوب جميلا دل عـلى جمـال صاحبـه ، والانسان أشد المخلوقات حرصا على التجمل في أعين الناس ، ورغبة في اخفاء ما لا يتفق مع مظهر الجمال الذى يحبه حتى لا تتقحـمه العيـون بمـا يكره •

وأعتقد أن من يحرص على التجمل انسانى كبير ، اذ نجد في حرصه على التجمل حرصا على اخفاء ما يحرك أسى النفوس ، واقصاء الدوافع اليه بستر ما يبعث على الالم والاذى ، أما الذى لا يبالى فهو طعين في انسانيته ، فالمتسول الـذى يظهر للنـاس بأسمال بالية وكلمات ذليلة فاقد الشـعور بالكرامة الانسـانية وبالانسانية و « أنانى » يؤذى غيره دون أن تساور الرحمة قلبه فيكف عن الناس أذاه ، ويرحمهم من الوخز الذى يرسله عليـهم ، والمصلـح الذى يحارب أسمال المتسول حتى يستبدل بها غيرها ويعمل على سـتر العيب واخفاء النقص يريد الخير ويؤثر السلامة ويجاهد من أجـل اماطة الاذى انسـان كريم يجب أن يقـدر حق القدر ، ويكرم أجل الاكرام ، لا أن يهاجم ويرمى بالشر الزؤام •

وأنا اذ أنقد لونا من ألوان أساليبنا يدفعنى حب بلادى وارادة الخير والسمعة الحسنة لها الى هذا النقد رجاء أن نصلح ما فسـد من أمرنا واعوج من سلوكنا •

ولشد ما يحز في نفسى أن أجد بلدى ـ البلد الذى اشـتهر بالاعجاز والايجاز والبلاغة في الكتاب والخطاب ـ يتخلى عن خصائصه ومزاياه ، ويترك مكانه من القمة وينزع عنه أثوابه الجميـلة لينزل مكانا سيئا في أخلاق بالية لا يصدق الناس أن هذا مكانه وتلـك الاخـلاق أثوابه •

وأعتقد أن البلد الذى خرج منه أبلغ البلغاء وأعظم الفصحاء ما يزال خصبا قادرا على انبات ما لا تستطيع أرض أن تنبت مثله ،

البلد خصب ولكنه ينتظر منا أن نعود اليه ، ونحن المقصرين المفرطين المضيعين .

كل ما تصدره الوزارات والادارات من الرسائل والمكاتبات لا يخلو من اللحن ، وان تعجب فأعجب من ادارة نيط بها حفظ الفصحى فلم تقم بواجبها ، وازدحمت كتاباتها باللحن المعيب .

ان الوزارات والادارات لا تعنى باللغة العربية فتستعمل جملا ركيكة وعبارات مفككة وكلمات عامية ، وكل ما يصدر منها غير سليم من اللحن .

حتى الاقضية والاحكام لم تسلم من اللحن والركاكة .

وما أدرى أين كان ينتهى بنا الاستخفاف بلغة القرآن لو لم نكن من البلد الذى هو امام الفصحى ومهدها وحرمها ؟!

اننى أرجو من الوزارات أن تعنى بلغتها ، فاللغة أعظم مقومات الحضارة ، وهى آية على الامة ، وتأخر لغة أمة دليل على تأخر الامة نفسها ، وما استخفت أمة بلغتها الا كان نصيبها من التأخر في جميع الميادين أكبر الانصبة .

ان لغتنا العربية لغة صالحة للتعبير عن حاجة الامة ، ولن تضيق بها ، ولا يصح أن تلقى الاذى على يد أبنائها .

وأرى من الضرورة اللازمة وجود أديب عالم بالعربية في كل وزارة يصلح خطأ العبارة ويقوم معوج التعبير ، ويعرب عامى الكلام .
وحاجة دوائر الحكومة الى هذا الاديب العالم شديدة حتى يكون ما يصدر منه متفقا مع كرامة هذه البلاد ، وتكون لغة فصيحة بليغة بعيدة عن اللحن والخطأ ، فمن أشنع العيوب أن يكون تعبير الخاصة العظماء كالسوقة الدهماء .

نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) ونشر مثل هذه الكلمة غير مرة قبل وبعد ، ولكن ضاع النفخ في الرماد .

اقــتراح

تأليف معجمين

بلادنا المقدســة العزيزة بلاد الفصحى ، وهى مهــد العرب الاصلاء أصحاب العربية ، فهى وطن قريش وهــذيل وأسد وقيس وتميم وكنانة وطىء الألى أخذت منهم لغة القرآن ، ووثقهم أئمة اللغة وأباحوا الاخذ منهم دون تحرز ، وهى وطن القبائل العربية الاخرى التى أخذنا منهم العربية في شيء من التمهل ٠

بلادنا أصل الفصحى ، ومع هذا لم نجد من يؤلف لنا مــن أهلها معجما ، في حين أن كل البلدان العربية عنيت بتأليف المعجمات المطولة والمختصرة ، وهذا نقص يحاسب به أهل الكمال ٠

ونحن في حاجة الى معجم مدرسى يرجع اليه الطلبة والمدرسون والمتعجلون والوزارات والادارات ودور الصحف ، ونحن لا نملــك الا معجمات غير سعودية ، وكــل ســندنا « المنجــد » للأب لويس معلوف اليسوعى ٠

وأنا لا أطعن المنجد فهو عندى من خير المعجمات الموثوق بها ، وما وجه اليه من تهم أراه غير صحيح ، فبعض الناس يتهم مؤلفــه بأنه دس للاسلام ، ويضرب المثل فيقول : أنظر المنجد ماذا يقول ؟ انه يزعم في مادة طلق : « الطلقاء : الذين أدخلوا في الاسلام كرها » ويستدل بهذا وأمثاله على هوى صاحب المنجد ٠

ولو صبر هؤلاء الناقدون وبحثوا قليــلا لوجدوا أن مؤلف المنجد لم يأت بشيء من عنده في معجمه العظيم ، بل نقل ما ذكرته المطولات من معجمات العربية ، وما أخذوه عليه في الطلقاء لم يخترعه الاب لويس بل نقله بأمانة من أقوال أئمة العربية وأعظم معجماتها وهى كلمة ثعلب كما حكيت عنه ، وذكرها اللسان فقال : «والطلقاء: الذين أدخلوا في الاسلام كرها » ٠

وعندى « المنجد » ثقة جليل ، وهو في طليعةالمعجمات العربية ،

ونحن أحوج ما نكون الى معجم ليس في حجم المنجد ، بل أصغر منه ، وأن نعنى فيه بالكلمات العامية التى نستعملها ونظنها عامية وهى من الفصيح ، مثل : المسقوى والعثرى ، ونضعها فيه ، مع العناية ببعض المصطلحات حتى يكون معجما مدرسيا عصريا .

وأنا أقترح على وزارة المعارف أن تقوم بهذا العمل الجليل ، فاذا كان لنا في الماضى عذر عن التخلف فلا عذر لنا بعد أن أصبحت للعلوم والمعارف وزارة عامة ساعية للخير .

تستطيع وزارة المعارف أن تنتهى من تأليف المعجم المدرسى في شهر ، وذلك بأن تنتدب عشرين مشتغلا بالعلم والادب واللغة من السعوديين ، وتكل الى كل واحد حرفا أو حرفين ، حرفا اذا كانت مادتـه كثيرة مثـل الحاء والراء والعين ، وحرفين أو أكثر اذا كان الحرف قليل المواد مثل التاء والواو والياء .

واذا صنعت وزارة المعارف ذلك فانها ستقدم معجما موثوقا به ، وأرجو أن يوفقها الله لتحقيق هذه الامنيـة خدمـة للعروبـة والاسلام ولغة القرآن .

وكما اقترحت تأليف معجم مدرسى ، أقترح أيضا تأليـف معجم عربى كبير جامع تشترك في تأليفه والانفاق عليه كل وزاراتنا وبعض الشركات الكبيرة مثل أرامكو وغيرها .

وأقدر لهذا العمل العظيم سنة وأضمن أنه سيكون معجـما ممتازا لانه سيضم من مواد اللغة حـوالى مئـتى ألف مادة ، تضم عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية التى وضعتها المجامع اللغوية أو اختارتها من العربية ليكون معجما حيا .

ولا يدهش القـارىء من قلـة الزمن ، فأنـا أعرف أن سنة يستغرقها تأليف معجم كبير جامع ليست الا وقتا جد قصير ، غير أن وكول هذا العمل الضخم الى جماعة من المشتغلين بالعـلم والادب والثقافة يختصر الزمن ، اذ في وسع الوزارة أن تختار أفراد هـذه الجماعة وتوزع عليهم العمل ، وأعتقد أن سـنة لكل عالم أو اثنين تكفى لاحسان العمل والتبريز فيه بحيث يكون تاما .

واذا قبلت وزارة المعارف اقتراحي قدمت اليها منهج التأليف وآرائي في العمل وخبرتي في تأليف المعجمات ٠

وان هـــذا المعجم سيكون المعجم المتفرد بين المعجمات العربية جميعها سواء أكـانت مطـبوعة أم مخطوطـــة ، فاذا كان الصحاح للجوهري يضم أربعين ألف مـــادة والقاموس ستين ألف والتكملة للصغاني ستين والتهذيب للازهري ستين واللسان ثمانين والتـــاج عشرين ومائة ألف فان هذا المعجم سيضم حوالى مئتى ألف مادة ٠

ولن ياتي يوم يهمل فيه هذا المعجم الجامع ، لاننا سنسير فيه مع الزمن وتطوره ، فكلما وضعنا كلمات أو مصطلحات أو اكتشفنا ألفاظا طبعناها في « ملاحق » دوريـــة في كل ســـنة أو في كل خمس سنين ، وبذلك نضمن لمعجمنا الجديد البقاء ، ثم نعيد طبعه مثـــل دوائر المعارف ومعجمات لاروس ودورين ٠

ولعل الوزارة تستجيب لمـــا رأيت ، فهي ــ كمـــا أعلم ــ حريصة على الخير ، قمينة بأن تنهض بمثل هذه الامور التى تجعلها موضع التكريم والتبجيل والقدر من القريب والبعيد على الســـواء وتنفع كل مشتغل بالعلم والعربية مهما سما قدره وعلا ذكره ٠

نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) ويظهر أن وزارة المعارف غـير مقتنعة بفـكرة الكاتب ٠

بحاثات لغوية

مسـألة صرفية

ان كان أحد سبقنى اليها فهى له ، ولو عرفت غيرى صاحبهـا لنسبتها اليه .

والمسألة هى : أن كل ما دل عـلى دخول من الفم أو الانف أو الاذن فهو من باب علم يعلم مثل : شم يشم ونشق ينشق وبلع يبلع وزرد يزرد وسمع يسمع وفهم يفهـم الا أكل يأكل والا الاجـوف والمعتـد .

نشرت بجريدة « الندوة » التى كان يملكها الاستاذ صالح محمد جمال سنة ١٣٨٠ هـ .

قاعـدة

قد يقرأ لى قارىء رأيا أنسبه الى نفسي أو لا أعزوه الى أحـد بسبب النسيان أو عدم الاطلاع أو جهل صاحبه ، فاذا رأى القارىء شيئا من ذلك فليحمله ذلك المحمل ، وليعلم أننى لا أتعمد ، ومن ذلك هذه القاعدة :

كل فعـل من باب « فـرح » يتعدى بنفسه أصله اللزوم ، والتعدى طارىء ، فاذا الزمته جـاز وكذلك اذا عديته ، فاذا قلت : أمنت محمدا أو أمنت منه ، وخفته وخفت منه ، وسئمته وسئمت منه، ومللته ومللت منه ، وخشيته وخشيت منه كنت على صواب ، ولكن في بعض هذه الافعال تستحسن التعدية مثل : « خشى » تأسيا بلغة القرآن الكريم اذ قال : « خشى العنت » و « خشى ربه » و « انمـا يخشى الله من عباده العلماء » و « تخشى الناس والله أحق أن تخشاه » و « والذين يخشـون ربهم » و « تجـارة تخشون كسـادها » و « أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه » و « واخشوا يوما » الخ .

الشـورت

في العدد ٨٨٠ من مجلة « الثقافة » الغراء مقال للدكتور بشر

فارس تحت عنوان « الزاد المهمل » قال فيه : « أخـذت معي لباس استحمام أحمر وقميصا أصفر وتبانــا أزرق » وقــال في الهامش : « أعرض لفظة التبان للتعبير عن كلمة Short » •

ويفهم من كلام الدكتور بشر فارس أنه أول من استعمل هذا اللفظ دلالة على الشورت •

والحق غير ذلك ، فقد سبقه الاستاذ مصطفى صادق الرافعي ـ رحمـه الله ـ فاســتعمل التبان للشـــورت في مقال له بمجلة « الرسالة » العظيمة ثـم نقل الى كتـــابه « وحي القلم » ١ : ٢٠٠ والجملة التى استعملها فيه قوله « رجلا يلبس في حقويه تبانا » •

والدكتور بشر فارس من قراء الرسالة ، وذكر أسمه بها غير مرة ، فهو قد اطلع على ما كتبه الرافعي ووقفعلى أنه ترجم الشورت بالتبان ، وجاء بعد وفاة الرافعي بزمن وذكر انه (أى الدكتور بشر) أول من استعمل ذلك •

وعمل بشر فارس سطو وخيانة للامانة العلمية وانتهـاب لحق امام من أئمة اللغة •

وأذكر ان كاتبا مصريا رد في ذلك الوقت باحدى الصحف على بشر فارس •

وأنا اوافق الرافعي على اطلاق « التبان » على الشورت ، ففى اللغة : التبان ، بضم التاء وتشديد الباء ، سراويل صغيرة مقـــدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين •

وفي حديث عمار : أنه صلى في تبان ، فقال : انى ممثون ،اى يشتكى مثانته •

وفي حديث عمر : صلى رجل في تبان وقميص •

الحكمة والمثــل

ما الحكمة وما المثل ؟ وما الفرق بينهما ؟•

هذا سؤال بعث به الى « قارىء » وأصل « الحكمة » الحقيقى هو ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه ، ونطقها بفتح الحاء والـكاف والميم ، تقول : حكمت الفرس ، أى وضعت عليها الحكمة •

هذا هو المعنى الحقيقى لـمادة « حــكم » ثم تطـــورت الكلمة

وأصبحت لها معان مجازية ، ولكن بين الحقيقة والمجاز نقطة لقاء بين الاصـــل والفروع ، فالحكمة ـ بفتح الكاف ـ تمنـــع الفرس من الجموح ، والحكمة بمعانيها المجازية تمنع الانسان من أن تجمح به نفسه فيسقط ٠

والحكمة ـ كما تذكر المعجمات القديمة والحديثة ـ : العقل ٠ العلم ٠ العدل ٠ الحـــلم ٠ صواب الامر وســـداده ٠ النصيحة ٠ الرشـــد ٠

وفي « معجمي » المخطوط الذى لم يتم : الحكمة : التفكير الذى يدل على السداد ، هذا تعريف الحكمة من النـاحية اللغوية ، واما معناها من الناحية العملية فالقدرة على حل المشكلات ٠

والمثل : القول السائر بين الناس الخ ٠

والمعجمات القديمة والحديثة العربية لـم تذكر تعريفا جامعا مانعا ، فاذا كان المثل هو القول السائر بين الناس دخلت فيه الحكمة وكثير من الكنايات ، لان كل هذا قول سائر بين الناس ٠

وأنا أفهم المثل على أنه قول سائر بين الناس حقا ، ولكن أزيد على ذلك أنه منهاج تجرى على مثاله ، ولا بد فيه من القـدرة ، ولا يكون القول السائر مثلا اذا فقد ما يعطى النموذج الذى تجرى على مثاله والاسوة التى يقتدى بها ٠

فاذا قلت : « خير الكلام ما قل ودل » كان حكمة وليس مثلا ٠

واذا قلت : « كالباحث عن حتفه بظلفه » فقد ضربت مثـلا ، والقدوة فيه الصيد الذى صاده رجل وأراد أن يذبحه فلم يجد شيئا فاذا الصيد نفسه يبحث في الارض بظلفه فيكشف عن شفرة يأخذها الرجل ويذبح بها صيده ، ويضرب لمن يقوم بعمل فيه هلاكه ٠

وكل مثل حكمة ، وليست كل حكمة مثلا ٠

رطـانة

لو سمعت رجلا يقول : خمســة بيت وعشرة كتاب وثلاثـة جمل ، وكان هذا الرجل عاميا من أهل البلد أكنت تصدق أنه عربى؟ انك تشك في عروبته لان اللسان أعظم دليل عليها ، بل أظن انك لا تشك بل تنفى عنه العروبة ٠

والعامية تقول : خمسة بيوت وعشرة كتب وثلاثة جمال ، ولكن المتعلمين البارزين المبرزين يقولون : خمسة بيت الخ .

أليس من يكتب في الصحف ويتحدث في الاذاعة من المتعلمين البارزين ؟ بلى ، ومع هذا يغلطون فيما لا تخطىء فيه العامة ، فأنا أسمع من اذاعتنا : عشرة مليون وسبعة مليون ، وأسمع في المطابع من محررين وبعض رؤساء تحرير يقولون : ثلاثة لون ، وأربعة عمود ، وأجد في الصحف العنوان الرئيسى البارز هكذا : عشرة مليون .

وكل هذا خطأ ، والصواب أن يكون المعدود بعد الثلاثة الى العشرة جمعا فنقول كما توجب القاعدة : خمسة بيوت وعشرة كتب وثلاثة جمال وعشرة ملايين وأربعة أعمدة وثلاثة ألوان .

وهناك مئات الغلطات النحوية واللغوية والصرفية أراها في الصحف وأسمعها من الاذاعة بل ما رأيك في وزارة النحو واللغة العربية ؟ انها تقول : خمسة عشر مدرسة ! والصواب : خمس عشرة مدرسة .

ألا سبيل الى الاصلاح ؟ هناك ألف سبيل وسبيل اذا كانت رغبة الاصلاح موجودة وصادقة .

استأهل

كتب العلامة الجليل الشيخ حسن القاياتى عضو المجمع اللغوى بمصر مقالا بجريدة البلاغ أنكر فيه على الدكتور زكى مبارك استعماله « يستأهل » بمعنى يستحق ، فرد الدكتور زكى مبارك في البلاغ ثم بعد بضع سنين في الرسالة (سنة ١٣٦٢) ردا غير علمى ختمه بقوله : « لغة العرب لغة آبائنا وأجدادنا فليعرف أن خطأنا فيها أفصح من الصواب » .

ولم يستطع الدكتور أن يقدم دليلا واحدا على صحة الاستعمال .

وأنكر كثير من اللغويين والمعجميين انكار الشيخ القاياتى ، وتبعتهم في الانكار وحملت الكتاب على ترك « استأهل » بمعنى « استحق » حتى اذا وجدت دليلا من اللغة رجعت عن التخطئة ، ونشرت ما وصلت اليه ، وأبحت الاستعمال ، فقد جاء في «التكملة»

للصغاني ٩ : ٨٤٩ نقلا عن الازهري ، وفي « تهذيب اللغة » للأزهري ـ والكتابان مخطوطتان بخزانة كتبي ـ قال الازهري : « خطأ بعضهم قول من يقول : فلان يستأهل أن يكرم أو يهان ، بمعنى يستحق • قال : ولا يكون الاستيهال الا من الاهالة ، وأما أنا فلا أنكره ولا أخطىء من قاله لأني سمعت أعرابيا فصيحا من بني أسد يقول لرجل شكر عنده يدا أوليها : تستأهل يا أبا حازم ما أوليت، وحضر ذلك جماعة من الأعراب فما انكروا قوله » •

والازهري ثقة حجة ، وروايته عن الاعراب صحيحة لا شك فيها ، والقياس لا يمنع استأهل والسماع وارد •

البدنجان الاحمر

سمعت بائع البدنجان الاحمر ينادي ويغني بصوت رخيم : يا أحمر ، يا تفاح ! يا وردي الخ ، وأغراني غناؤه وتطريبه أن أشتري منه •

ونحن الحجازيين نسميه : البدنجان الاحمر ، أو نختصره فنقول : الاحمر ، وأحيانا « قوطة » مثل المصريين الذين يسمونه ـ أيضا ـطماطم ، وفي الشام : بندورة •

ومن التخريجات الفكاهية التي يتندر بها الناس أن يزعم بعضهم أن البدنجان أصله « بيض الجان » •

وعامتنا عندما وصفوا « البدنجان الاحمر » بأنه تفاح يتفقون مع الفرنسيين ، ولعله من توارد الخواطر •

ففي الفرنسية Pomme d'or وترجمته : تفاح الذهب أو Pommed'amour ومعناه تفاح الحب •

فعامتنا والفرنسيون متفقون في أن « البدنجان الاحمر » تفاح •

نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٧٩ هـ

أمام

نرى في صحفنا جميعها وفيما ينشره الكتاب مثل هذه العبارة : « ألقى الشاعر قصيدة رائعة أمام فلان » وهو خطأ اذا أريد به :

« بين يدى جلالته » واذا أريد معنى « أمام » حقيـــقة فهناك الطامة الكبرى : فقدان في الذوق ، ومخالفة للواقع •

ومعنى « أمام » في قولك : هو أمامى ، أنه يسبقك ويعطيـك ظهره ، وأنت تعطيه وجهك ، فهل الشاعر يلقى القصيدة أمـــام ممدوحه بأن يكون هذا الممدوح أمامه بحيث يعطيه ظهره ؟

ان صواب العبـــارة هكذا : وألقى الشـــاعر قصيدة رائعة بـــين يدى فـــلان •

نشرت بجريدة « الندوة » سنة ١٣٧٩ هـ

الساندوتش

في صباح يوم السبت ١٤ شوال ٨٢ هـ من اذاعة مكة المكرمة « تربقة » على المجمع اللغوى وأعضائه الكرام ، تريقة هى أجدر بأن تلصق بمرسليها •

قالت اذاعة مكة ـ مع الاسف ـ : أتعرف ماذا يسمى أعضاء المجمع اللغوى « الساندوتش » ؟ وأجاب السائل الهازىء المتهكم : يسمونه « الشاطر والمشطور بينهما كامخ » •

ثم أخذ اناؤه العلمى ينضح بما فيه من هزء وسخرية •

وهذا الهازىء الســـاخر أســـاء الى اذاعـة مكة ، مكة المكرمة ـ حرسها الله ـ التى هى مهد اللغة الفصحى ، لغة القرآن ، ومصدر الاخلاق ، أساء الى مكة لانه هزأ بمن يحمون لغتها •

مكة ، بلدة العربية الفصحى يجهل مذيع في اذاعتها الحقيقة ، ويسخر بمن قاموا لحماية الفصحى •

من أخبر هذا المذيع الساخر أن « ساندوتش » معروفة في كل بلاد العالم بهذا الاسم ؟ •

ان الالمان يسمون الساندوتش باسم ألمانى ، وكذلك الروس والصينيون واليابانيون والهنود والاندونيسيون، كل يسميه بلغته•

ومن أخبر هـــذا المذيع الهـــازى أن المجمع اللغوى ســـمى « الساندوتش » الشاطر والمشطور بينهما كامخ ؟

ان أفرادا من ذوى المذاهب الهدامة والانحلال الخلقى الذين يريدون هدم الفصحى والاكابر بتشويه سمعتهم و « التريقة » عليهم زعموا أن المجمع اللغوى سمى الساندوتش شاطرا ومشطورا بينهما كامخ !

وهذا كذب !

فكيف يسمح مذيع باذاعة بلد القرآن أن « يتريق » على حماة لغة القرآن ؟ ؟

نشرت بمجلة « الرائد » سنة ١٣٨٢ هـ .

تحريك حرف العلة

في تونس يقولون : يسعى ويرمى ، بضم الياء الاخيرة ، وهذا غير جائز في النثر ، ولكنها لغة العامة في تونس ، ولها أصل في العربية ، ولا يجوز الا في الشعر لضرورة .

قال المازنى رحمه الله تعالى ـ وهو من أكبر علماء الصرف والعربية وغير المازنى المعروف في أدبنا الحديث ـ :

« يجوز في الشعر أن تقول : زيد يرميك برفع الياء ويغزوك برفع الواو ، وهذا قاضى بالتنوين فتجرى الحرف المعتل مجرى الحرف الصحيح من جميع الوجوه في الاسماء والافعال جميعا لانه الاصل » . (اللسان ١٨ : ١٤ مادة أتى) .

فعامة التونسيين أجازوا في عاميتهم ما أباحته الفصحى في الشعر ضرورة .

اذاعتنا تقلد

اذاعتنا تبعث في نفسى الالم والاسى ، فأحاديثها تافهة ، ولا قيمة لها ، عرض سخيف ، وأقصد به الاسلوب ، أسلوب ما يكتب لها ويذاع به ، انه أسلوب ركيك أو متخلف !

ثم الاسماء التى أسمعها ـ الا القليل ـ من غير بلادنا ، مع أن اذاعة كل بلد تذيع انتاجه الادبى والعلمى الا اذاعتنا ، فهى قائمة على الاجنبى أحاديثه وأغانيه وموسيقاه الا اليسير .

ان القائمين على الاذاعة السعودية ـ مع الاسف ـ هواهم مع غير ركبنا ، ويتجـاهلون اخوانهم ، ويمعـنون في تجـاهلهم حتى أرغموهم على مقاطعة الاذاعة لانهم لا يطيقون « اذا يحـاس الحيس يدعى جنـدب » •

يا ناس ، اجعلوا اذاعتنا سعودية لحما ودما ، وصوروا بيئتنا صورتها الصحيحة السليمة الواضحة •

يا ناس ، خافوا الله ، فمن أخذ الاجر حاسبه الله على العمل!

وفي ليلة الاثنين ١٥ـ١٦/١٠/١٣٨٢ هـ سمعت من اذاعتنـا لهجة أنكرتها لانهـا لهجـة أعجمية ، سـمعت من يقـول : « شـو اختصاصات » وغيرها ، كما آذى سمعي لهجة ما أحب أن تسمع من اذاعـة مكة المكرمة •

يا قوم ، ان لهجتنا الفصحى أفصح اللهجـات العربية طرا ، ولهجتنا العامية أبين اللهجات العامية ، فلماذا نقلد ؟ لماذا نستبدل الادنى بالذى هو خـير ؟

واللغة العربية مسكينة في الاذاعة ، ولو كان الاصمعى حيـا لقذفها بالحجارة غيرة على لغة القرآن •

أما « التمثيليات » التى تؤدى بالعـامية الحجازية فلهجات الممثلـين مصطنعة ومفتعلـة ، وكـان حقـا عليهم أداؤها عـلى السـجية والفـطرة •

نشرت بمجلة « الرائد » سنة ١٣٨٢ هـ •

وضع النقط على الحروف

يقولون : انه مثل فرنسى ، ويراد منـه توضيح المبهم ، لان الاعجام يبعـد اللبس عن الكلمات ، وأنـا أعجب أن يكون « وضع النقط على الحروف » مثلا فرنسيا ، لان الخط الفرنسى غير منقوط ، فكيف وجد المثل عندهم ؟ أتراه منقولا عن العرب عندما كانت لغتهم وعلومهم وحضارتهم وثقافتهم وفلسفتهم تبسط ظلالها على العالم ؟

لعل ذلك ، فالخط العربى هو المنقوط دون سائر الخطوط ،

فالعربية أحق بهذا المثل من الفرنسية •

وحسبنا أن أبا العلاء يقول :

كلامــك ملتبس لا يبين   كالخط أغفــله النــاقط

نشرت بجريدة « البلاد » سنة ١٣٨١ هـ

تصحيــف

كنت أقرأ في القاموس مادة س و ف فرأيته يقول : « السواف كسحاب : القثاء » • وأنا لا أعرفها الا بمعــنى الفنـــاء ، ودهشت لصاحب القاموس ، وعــدت الى التكملة والذيل والصلة (المصورة التى بخزانة كتبى وهى منقولة من نسخة مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة الله الحسينى بالمدينة المنورة) فوجدت في الصفحة ٧٢٤ نقلا من الصغانى عن الدينورى ما في القـــاموس •

ثم رجعت الى أقرب الموارد ومحيط المحيط والبستانى وفاكهة البستانى فوجدتها نقلت ما في القاموس •

وأما لسان العرب والنهاية لابن الاثير فقد ذكرا أن الســواف ـ بالفتح ـ الفنـــاء •

والصواب هذا ، وما في القاموس تصحيف ؟

نشرت بمجلة « الرائد » سنة ١٣٨٢ هـ •

حمامة مدينية

نسبة الى المدينة (المنورة) على ساكنها أفضل الصلاة وأتــم التســليم ، والقــاعدة أن تكون النســبة الى المدينــة « مدنى » وفي الصحاح ٦ : ٢٢٠١ : « واذا نســـبت الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قلت : مدنى ، والى مدينة المنصور : مدينى » •

وفي « العين » للخليل بن أحمد : « والنسبة الى المدينة مدنى ، ويقال : حمامة مدينية ، للفرق بين الانسان والحيوان » •

ولكنى لا أمنع أن يقال : حمـــامة مدنية ، للفرق بين المدينة المنورة ومدينة المنصور ، بل لعله الافصح •

نشرت بمجلة « الرائد » سنة ١٣٨٢ هـ

غلطـات وزارة

اني حينما أقرأ المعاملات والاعلانات المنشورة في صحفنا أشعر باشمئزاز وألم لكثرة الغلطات التى تزدحم بها السطور ٠

كل اعلان حكومى لا يخلو من غلط نحوى أو صرفي أو لغوى ، وكان جديرا بالوزارات أن يكون فيها « قسم » خاص من المتمكنين في اللغة تعرض عليه المعاملات والاعلانات قبـــل أن تبارح الوزارة للضبط والاحكام والتصحيح ٠

وفي عدد البلاد ٨٦٠ بالصفحة الثانية في العمودين الســـابع والثامن اعلان من وزارة المعارف جاء فيه : «الاتصال بمدراء التعليم»٠

واذا قـــام العذر لوزارة أخرى فان أى عذر لا يقبل من وزارة العلم والنحو والصرف واللغة ـ وزارة المعارف ـ في خطأ لغوى شنيع أو غلطات من هذا القبيل ٠

أنا أعرف أن « مدراء » غلط ، وأشرت غير مرة اليه منبـــها وراجيا التزام الصواب ، ولكن ضاع تنبيهى وجهـدى ، فالوزارات ـ بعضها ـ تلتزم الخطأ وتتجنب الصواب ٠

وصواب « مدراء » مديرين ، وما أريد أن أذكر السبب حتى لا أكون مثل بائع التمر في هجر أو الماء في حارة السقائين ٠

وليس لوزارة المعارف عذر في هذا الغلط الشنيع ، بل قرأت ذات مرة تقريرا لها تجنب كاتبوه قواعد اللغة كل التجنب فقالوا فيه : « خمسة مدارس » و « خمسة عشر مدرسة » الخ ٠

وفي تذكرة الامتحان التى يعطاها كل طالب ولا يتجاوز عـدد كلماتها في الوجهين مائة عشرات الغلطات ٠

ولم أر في عيــوب النــاس عيبــا
كنقص القــادرين عــلى التــمام ؟

نشرت بمجلة « الرائد » سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) وحتى هذا اليوم تستعمل الصحف والكتاب والوزارات « مدراء » ولا جدوى من التنبيه والتصحيح ٠

تصويب الصحيح بالخاطىء

في بعض الصحف مصححون كرام طيبون ، يعرفون شهرتى في اللغة فيؤلمهم أن تكون في كلمة لى غلطة تشوه السمعة فيفضلون على

بتصحيحها وتصويبها ، جزاهم الله خيرا ٠

ومن هذه التصحيحات : أنني قلت في مقال لي : بوساطة التعبير ، فأصلحوها : بواسطة التعبير ، ظنا من المصحح أن وساطة خطأ صوابه : واسطة ٠ مع أن الصحيح ما استعملت ، وما صححه خطأ ٠

وقلت : عوده الاخلاص ، فأصلحه بقوله : عوده على الاخلاص ، ونسي أن عود يتعدى بنفسه ٠

وقلت : وناديته ، فصححه بقوله : وناديت عليه ، والصحيح ما قلته أنا ، فنادى يتعدى بدون استعانة حرف الجر ٠

وأنا أشكر هؤلاء المصححين ، ولكنني أرجو أن يتركوا هذه الكلمات على حالها في استعمالي ، فاذا عن لهم التصحيح فليستأذنوا ، اذ لعل الحق معي ٠

نشرت في جريدة الندوة بتاريخ ٤-١٣٧٩٣ هـ

معجم دودين

يعتبر قاموس « دودين » القاموس الالماني الذى لا يرقى اليه الشك ، ومازال حتى الآن كذلك بالنسبة للطبعة التى تصدر في ألمانيا الغربية ، أما طبعة ألمانيا الشرقية التى تخنقها سموم الشيوعية فقد لعبت فيها أهواؤها الباطلة ٠

ان قاموس دودين يظهر في طبعتين مختلفتين : احداهما في ألمانيا الغربية والاخرى في ألمانيا الشرقية ، والاخيرة تغاير الاولى ، لان الشيوعيين دفعتهم أهواؤهم السافلة الى أن يغيروا الحقائق ويخونوا الامانة العلمية ٠

وعلى سبيل المثال نذكر أنه جاء في القاموس طبعة ألمانيا الغربية : « الالحاد هو انكار وجود الله » وفي الطبعة الشيوعية : « الالحاد هو انكار وجود الله على أسس علمية » ٠

وقد خصص للمادية وهى العقيدة الشيوعية الاساسية تسعة عشر سطرا من التفسير الفلسفى في طبعة ألمانيا الشرقية بينما اقتصر

التفسير في الطبعة الغربية على المعنى المعروف في بيئات العلم ·

وفي طبعة ألمانيا الشرقية وصف « المحرض » على أنه العامل في سبيل الحزب ، وهذا يخالف ما عرف عن المحرض في جميع معاجم العالم ما عدا الشيوعية ·

وصفت الديمقراطية بأنها « شكل من الحكم يحـــدد طبيعته الطبقة الموجودة في كراسي الحكم » ·

وكل تفسير للدين والشرائع والاخلاق في هذا القاموس تجده مفسرا حسب أهـــواء الشيوعية ، أمـــا طبــعة ألمـــانيا الغربيــة فيوثق بهـــا كل الثقة ! ؟

اســـتعمالات غالطة

انتقلت الى ألسنتنا كلمات و « استعمالات » عامية تدور عـلى ألسنة المثقفين والاساتذة ، مستبدلين الذى هو أدنى وخاطىء بالذى هو خـير وصواب ·

ومن ذلك : ان المذيع السعودى الذى كان يقرأ ميزانية الدولة لسنة ٨١ ــ ١٣٨٢ هـ كان يخطىء في اللغة خطأ شنيعا ، فيقول : عشرة مليون ، وثلاثة مليون الخ وأسمع غيره يقول : خمسة لون ، وأربعـــة ثـــوب ·

هذه لغة العجم الذين يشاركوننا في السكن ، وأثروا فينا ·

بل أسمع من المثقفين اعوجاجا في اللسان العربى ، فمنهم من يقول : « بروفة » وترجمتها « تجربة » وفيها غناء ، و « ترويسة » على رأس الجريدة أو الصحيفة وما يكتب في أعلاها من عناوين وبيان ادارى الخ وفي وسعنا أن نقول : « الديباجة » أو العنوان ·

وكلمة « اشتباه » في لغة الشرطة تؤدى معنى الشك والارتياب، وما أكثر الكلمات الخاطئة في لغة الشرطة ! وهى استعمال تركى بقى في ألسنتنا وحسبناها عربية ، وتلـــك الكلمات عربية حقا ، ولكن التركية نقلتها واستعملتها لمعان لم توضع في العربية لها ، مثل : « الاشتباه » و « الافادة » و « أفاد » و « الاشقياء » و « الاستكناه » ·

وفي لغة الشرطة « الافـــادة » هى أقوال من « تحقق » معه ، و « أفاد » أجـــاب ، و » الاشـــقياء » : اللصوص والمجرمــون . و « الاستكناه » : الشـــم .

وكل هذا ليس في العربية ، وانما هو استعمال تركى أخذنـاه من الترك عندما كانوا يحكمون البلاد العربية .

أمـا وقـد ذهبـوا فـلا ضرورة لبقاء اسـتعمالهم وتحريفهم واعواجـــاجهم ؟

الرأس مذكر

كثير من الكتاب والخطباء يحسبون «الرأس» مؤنثا فيقولون : هذه رأس فلان ، وحملت رأس زيد ، وقطعت رأس عمرو .

ولم يرد الرأس مؤنثا في لغة العرب ، بل هو مذكر قطعـا ، فيجب استعماله كما ورد مذكرا .

وما أكثر ما ننشر الصواب وندل على الصحيح ، ولكن الكتاب والخطباء والوزارات والادارات يصمون الآذان ويتمسكون بالخطـأ واللحن والغلط ، فيستعملون الرأس مؤنثا ، ويجمعون « مديرا » على « مدراء » وصواب جمعه : مديرون ومديرين .

المحـــاضرة

كلمة « المحاضرة » بمعنى الخطبة لم ترد في العربية ، وهناك كلمات كثيرة تستعمل في غير ما وضعت له أو لم تسمع صيغتها ممن أخذنا عنهم اللغة مثل محاضرة و تأكد و تبيض ومذكرة وتنـــسم ومسافة والتطور الخ .

ولكن لى رأيـــا في مثـل هذا وهو الاباحة ، لان في هـــذه الاستعمالات دلالة على التطور اللغوى الذى يزيد في ثروة اللغة ما دام اللفظ سائرا مع أبنية العربية وقواعدها .

واذا أبيح الوضع لبدوى جهول أو اعرابى جلف فلماذا يحرم على المثقف والعالم والاديب ؟ ان اللغة لا تملكنا بل نحن نملكها ، فلا حرج أن نضع وننحت ونشتق ما يلائم حاجات العصر ، لانـــه ضرورة لا بد منها ، أما الجمود فيجعلنا في موقف لا نحسد عليه ،

ويتركنا خلف الحضارة بمراحل لا تقدر بالمسافات والابعاد المادية والزمنية القصيرة ، بل قد تبلغ السنين وعشراتها ومئاتها ، ولهذا أجيز استعمال كثير من الكلمات اذا وجدنا الضرورة اليها قائمة وملحة ، مثل « السيارة » لم ترد في العربية اسما لهذا المركب البرى ، ولكن سار في العالم العربى ودار على ألسنة الجميع فلا حرج من استعمال السيارة دلالة على هذا المركب وان كان في العربية يطلق على غير ما يطلق في هذه الايام .

وقد حملتنى الاباحة الى استعمال مثل تلك الكلمات وأنا أعلم ان العربية لم تعرفها بهذه الاستعمالات ، غير أن شيوعها وذيوعها وسيرورتها وسهولة فهمها على الناس جعلتنى أستعملها لان في ذلك ارباء للغة العربية وتطويرا واثراء .

دهرى

ألقيت ذات مرة كلمة في الاذاعة ونسبت الى الدهر فقلت : « دهرى » بضم الدال فخطانى كثير ، وبعضهم تردد ، وبعضهم تريث لانه يثق في لغتى ويحسن الظن بى .

وكثير من الناس ينسبون الى الدهر فيقولون : الدهرى بفتح الدال ، وهو مما جاء مخالفا لقاعدة النسبة .

وله أخ هو « سهلى » بضم السين نسبة الى سهل بفتح السين ، وليس في العربية غيرهما في بابهما .

اصطلاحات صحفية

للصحافة والجريدة والمجلة معان في المعجم العربى معروفة ومشهورة ، ولكن العصر الحديث استعملها لمسميات جديدة خلعوها عليها اصطلاحا .

فالصحافة مهنة الصحفى بلغة هذه الايام ، ولم نرد الصحافة في المعجمات العربية التى اطلعت عليها ، أما الصحفى فهو الذى يأخذ العلم من الصحف لا تلقينا من أستاذ ، وهذه الطريقة في العلم مذمومة ، لان صاحبها لا يسلم من الخطأ والخطل والغلط .

والصحفي في عصرنا من يعمل في الجرائد والمجلات ، واشتقوا لمهنته « الصحافة » مثل التجارة والنجارة والحدادة والوزارة .

والصحيفة : الورقة المكتوبة من وجهيها أو القرطاس المكتوب ، أما الصحيفةبمعناها الاصطلاحي في هذا العصر فهي الجريدة والمجلة.

و « المجلة » هي الصحيفة فيها الحكمة ، والكراسة ، ولم تكن معروفة بما تستعمل له الآن ، لان العرب لم يعرفوا الصحافة . وأول من استعمل « المجلة » بالمعنى المعروف العلامة اللغوى الكبير الشيخ ابراهيم اليازجي .

وأول من ابتكر كلمة « الصحافة » بمعناها الحالي المعروف الشيخ نجيب الحداد المتوفي سنة ١٨٩٩ م .

أما « الجريدة » فالواحدة من قضبان النخل ، ولها معان أخرى ليس بينها هذه « النشرة » التي تنشر فيها الاخبار والمقالات والحوادث وتصدر في وقت معلوم .

وكانت الجريدة تسمى أول صدورها في العربية « الوقائع » وأول من أطلق عليها اسم « الجريدة » العلامة اللغوى العظيم الشيخ أحمد فارس الشدياق المتوفي سنة ١٨٨٨ م ومنه شاع استعمالها بهذا المعنى .

وولدت في دنيا الصحافة مصطلحات كثيرة مثل : المحرر والمخبر والمراسل ورئيس التحرير والتحرير ، وكلها من مواليد هذا العصر ؟

مايلحن فيه الكتاب

هذه طائفة من الكلمات يلحن فيها الكتاب والعلماء ، وقد نشرت عديدا من المقالات في جريدة « البلاد السعودية » منذ خمس عشرة سنة ، وتفقدتها ـ هذه الايام ـ فافتقدتها ، وأكتفى بهذه الكلمات التى وجدتها بين أوراقى •

الخصوبة

يستعمل كثير من أرباب الاقلام ومدرسى الجغرافيا «الخصوبة» فيقولون ـ مثلا ـ : « تمتاز مصر بالخصوبة » ، والخصوبة غير واردة في اللغة ، وليست مصدر خصب ، بل الوارد والمصدر خصبا ، كما جاء في تهذيب اللغة(١) للامام الازهرى والقاموس المحيط للفيروز بادى واللسان لابن منظور والصحاح للجوهرى ، والراموز للسيد حسن(١) وغيرها من المعاجم •

وصواب تلك الجملة : « تمتاز مصر بالخصب » والخصب نقيض الجدب • وهو كثرة العشب ورفاغة العيش •

وخصبت الارض وخصبت بفتح الصاد وكسرها •

سهوم

يقول الناس ـ الا النادر عندنا وعند غيرنا ـ : » وله في الشركة سهوم « وسهوم عندهم جمع سهم ، وهو النصيب ، وهذا خطأ ، فلم يرد سهوم جمعا لسهم •

والسهوم تغير الوجه من حزن ، وهو مصدر •

وفي الصحاح للجوهرى ٢ : ٣٠٠ : والسهام بالضم : الضمر والتغير ، وقد سهم وجهه بالفتح وسهم أيضا بالضم يسهم سهوما فيهما • وفي الصحاح : » السهم واحد السهام ، والسهم : النصيب• والجمع : السهمان « •

وفي لسان العرب ص ٢٠٠ من الجزء الخامس عشر : « السهم واحد السهام ٠ والسهم : النصيب ٠ والجمع : سهمان ، والسهم في الاصل واحد السهام التى يضرب بها في الميسر وهى القداح ثم سمى به ما يفوز به الفالج سهمه ثم كثر حتى سمى كل نصيب سهما ، وتجمع على أسهم وسهام وسهمان » ٠

وفي الحديث الشريف : ما أدرى ما السهمان ؟

وفي حديث عمر رضى الله عنه : فلقد رأيتنا نستفيء سهمانها ٠

وصواب قول الناس : « له في الشركة سهوم » : له في الشركة أسهم أو سهام أو سهمان ـ بضم السين في الاخيرة ـ ٠

تنازل

شاعت « تنازل » على كل قلم ، وتساوى في استعمالها العامة والخاصة وكثر استعمالها بين القضاة ورجال الامن العام ، ولم يسلم من هذا الخطأ الشنيع اللغويون المعاصرون الا النادر ، وكلهم يقول : تنازل فلان لفلان عن كذا ٠

وتنازل بهذا المعنى غير وارد عن العرب ، والوارد : نزل ٠

جاء في اللسان صفحة ١٨٠ من الجزء الرابع عشر : « نزلت عن الامر تركته » ٠

أما تنازل فمعناه : المقابلة في القتال ، ونزول العدو للعدو للحرب ٠

جاء في اللسان صفحة ١٨٠ ج ١٤ : « والنزال في الحرب : أن يتنازل الفريقان » ٠

وفي المحكم لابن سيده « أن ينزل الفريقان عن ابلهما الى خيلهما فيتضاربوا ٠ وقد تنازلوا » ٠

ومثل هذا في الصحاح للجوهرى ٠

مسحة جمال

سمعت من الاذاعات العربية كثيرا من المحدثين يقولون : « عليه مسحة من جمال » وينطقون مسحة بكسر الميم وهو خطأ والصواب : مسحة (بفتح الميم) ٠

وجاء في لســـان العرب ج ٣ ص ٤٣٤ : « عليه مســـحة من جمـال أى شيء منه » •

قال ذو الرمة :

على وجــه مى مســحة من ملاحــة
وتحت الثياب الخزى لو كان باديا

وفي الحديث الشريف عن اسماعيل بن قيس قــال : سمعت جريرا يقول : ما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت الا تبسم في وجهى وقال : يطلع عليكم رجل من خيار ذى يمن عـلى وجهه مسحة ملــك •

وهذا الحديث في النهاية لابن الاثير : « يطلع عليكم من هذا الفج رجل من خير ذى يمن عليــه مســحة ملــك » فطــلع جرير بن عبد الله ، يقــال : عـلى وجهه مســحة ملــك ومســحة جمـال أى أثر ظاهر منه •

قال شمر : العرب تقول : هذا رجل عليـــه مســحة جمـال ومسحة عتق وكرم ، ولا يقال ذلك الا في المدح • قال : ولا يقــال : « عليه مسحة قبح » •

أفســح

يستعمل الكتاب : « أفسح له المكان » وهو خطأ ، والصواب : فسح له في المكان أى وسع له فيه •

أما « أفسح » فغير وارد في لغة العرب ، وهو من لحن الكتاب والعلماء ، والوارد « فسح » الثلاثى ، وقد جاء في القرآن الكريم : « فافسحوا يفسح الله لكم » وفسح ثلاثى مجرد لا مزيد منه عـلى وزن « أفعـــل » •

وفي صحاح الجـــوهرى ج ١ ص ١٨٧ : « فســح في المجلس أى وسع لـــه » •

فداحـــة

ومن الالفاظ التى تدور على أقلام الكتاب والعلماء وألسنتهم : « فداحة » وهو خطأ معيب ، والصحيح : فدح •

ولم تذكر المعاجم المطبوعة جميعها ولا المعاجم المخطوطة التى اطلعت عليها مثل : التهـذيب للازهرى ، والتكملة للصغانى ، والراموز وغيرها « الفداحة » بل ذكرت « الفدح » .

ثم ان كثيرا من أرباب القلم يقولون : أفدحه هذا الامر ، وهو خطأ ، والصواب : فدحه لان « أفدح » لم يسمع ممن يوثق بعربيته .

وجاء في الصحاح للجوهرى ج ١ ص ١٨٧ : « فدحه الدين : أثقله ، ولم يسمع : أفدحه الدين ممن يوثق بعربيته » .

دور النقاهة

يقول كثير من الكتاب : « هو في دور النقـاهة » وهو خطأ فالدور مصدر دار ، والدور الدوران ، والنقاهة : الفهم ، ومعنى تلك الجملة : « هو في دوران الفهم » وهذا غير مرادهم ، بل مرادهم : انه في طريقه الى الشفاء ، وكان قريب العهد بالمرض ، ولم يرجع اليه كمال صحته وقوته .

والجملة التى تؤدى هذا المعنى : « هو في فترة النقه أو النقوه » لان النقه أو النقوه : التماثل للشفاء ، وقرب العهد بالمرض ونقص الصحة والقوة .

جاء في الجزء الثانى من الصحاح للجوهرى ص ٤٣٤ : « نقه من مرضه بالكسر نقها مثل تعب تعبا ، وكذلك نقه نقوها مثل : كلح كلوحا فهو ناقه اذا صح وهو في عقب علته ، ويقال نقه الكلام نقها ونقهه بالفتح نقها أى فهمه ، وفلان لا يفقه ولا ينقه . » .

وفي لسان العرب من الجزء السابع عشر صفحة ٤٤٧ : « نقه ينقه معناه : فهم يفهم فهو نقه : سريع الفطنة » .

وفي الحديث الشريف : « فانقه اذا ، أى افهم » .

ونقهه بالفتح نقها أى فهمه ونقهت الخبر والحديث مفتـوح مكسور نقها ونقوها ونقاهة نقهانا وأنا أنقه » .

« ونقه من مرضه بالكسر ونقه ينقه نقها ونقوها فيهما : أفاق وهو في عقب علته . وهو ناقه : اذا برأ وأفاق وكان قريب العهد بالمرض ولم يرجع اليه كمال صحته وقوته » .

أســياد

جاء في الشعر والنثر المعاصرين وفي عصــور انحـــطاط اللغة العربية جمع : سيد على « أسياد » وهو خطأ صوابه : سادة ٠

وفي لسان العرب ج ٤ ص ٢١٥ : « ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة ٠ فهو سيد ، وهم سادة » ٠

وقال أبو عبيد : « تعلموا العلم ما دمتم صغارا قبل أن تصيروا سادة رؤساء » الخ ٠

وفي اللسان ج ٤ ص ٢١٣ : استاد الرجل اذا تزوج في سادة٠

وفي اللسان أيضا : « السيد الرئيس وقال كراع : وجمعــه ســـــادة » ٠

وفي صحاح الجوهرى مثل ما في اللسان ٠

وجمع : سيد ، على : أسياد غير وارد في اللغة ، وهذا الجمع من خطأ المحدثين ٠

وديـــــان

يجمع كثير من الكتاب والمؤلفين : الوادى على الوديان وهـــو غلط ، والصحيح : الاودية على غير قياس ٠

وقد ذكر الجوهرى في الجزء الثانى من الصحاح صفحة ٥٦١ : « والوادى معروف ، والجمع : الاودية على غير قياس كأنه جمع ودى مثل : سرى وأسرية للنهر » ٠

وقال ابن سيده الاندلسى « الوادى : كل مفرج بين الجبـــال والتلال والاكمام سمى بذلك لسيلانه يكون مسلكا للسيل ومنفذا ٠ قال ابن سيده والجمع : الاودية » ٠

وهناك جمع آخر لواد ٠ فقد قال ابن الاعرابى : الوادى يجمع أوداء على أفعال مثـل : صـاحب وأصحـــاب ٠ وطىء تقول : أوداء عـــلى القلب » ٠

قال أبو النجم :

وعــارضتـــها في الاوداء أوديـــة

قفر تجزع منها الضخم والشعبـا

وقال الفرزدق :

فلولا أنت قـــد قطعت ركـــابى

من الاوداء أوديــــة قفــــارا

وقال جرير :

عرفت ببرقـــة الاوداء رســــما

محيـــلا طـال عهدك من رســوم

وفي مفردات الراغب الاصفهانى في غريب القرآن : « الوادى : الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى : المفرج بين الرجلين واديا وجمعه : أودية » .

ولكن جمع واد على أودية خير من الجمع على أوداء ، لان القرآن الكريم حجة اللغة العربية جمع الوادى على أوديـة فقـــال تعالى : « فسالت أودية بقدرها » ؟

- - -

اصـــول
بعض الكلمات العـامية

اللغة العامية التى نتخاطب بها هى البنت العاقة للفصحى ، انفصلت عنها ، وطغت عليها ، وأخذت من أمها ما استطاعت الى أخذه من سبيل ومسخته ، أو حرفته ، أو صحفته ، ثم أدخلت في معجمها كل لفظ وفد اليها من الشرق أو الغرب ، وأمست بذلك مزيجا من لغات كثيرة ، ففيها ألفاظ وقواعد من العبرية والسريانية والآرامية والتركية والهندية والفارسية واليونانية والايطالية واللاتينية ، وأظن أن بها ألفاظا من الجاوية والصينية وبعض لغات أفريقيا وغيرهـــا من لغـات العـــالم •

على أن أكثر الكلمات في العامية الحجـــازية والنجدية عربى ، وبعضها باق على حاله لم يلحقه تحريف أو تصحيف ، مثل : قطع وأكل وقط وضرب وخرج التى هى من صميم الفصحى ، وبعضـــها لحقه التحريف ، مثل انفشخ وفصيحها : انفشغ ، وبعضها انتقل من معناه الذى وضع له الى معنى جديد لاستقراره في بيئة غير بيئته الاصيلة مثل : دهده فهى في العامية تؤدى معنى الربت على الكتف ، وفي الفصحى معنى الدحرجة •

ومن الالفاظ العربية التى يظنها الناس عامية لدورانها عـــلى ألسنة الناطقين بها : راز ، وسلق ، وفول ، وخميرة ، واستفرغ ، ومداس ، وداوس ، وكباب ، وعتبة ، وملعقة ، وغير هذا كثير •

ولقد كـانت بحـوثى الكثيرة في العامية المنشـورة في صحف ورسائل سببا في أسئلة كثـــيرة تلقيتـــها من قرائى الكرام الذين أفضلوا فدفعونى لتحقيق مئات من الالفاظ العامية ذكرها لى بعضهم في حديثه ، وبعضهم في كتـــابه •

ومن تلـك الالفـاظ : الخربز ، والسـطل ، وصمخ ، وراز ، والسمسار ، والاصطبل ، والهبرة ، وميناء ، وريـــال ، وقرش ،

وبطل (المستعملة في نجد) وقنديل ، ولمبــة ، ووجــاك ، وأقة ، وكفية ، وأسطول ، واسـكلة ، وبابوج ، وبدنجــان ، وبرتكان ، وزنجبيل ، وسقالة ، وسـيخ ، وشــاش ، وشــنكل ، وصابون ، وطرمبة ، وفرفور ، وفرن ، وقادوس ، وطزلكة ، ودغرى ، وورشة ، وزنبيل ، واشنان ، وسقطرى ، وفصفص ، وزهم ، الى مئــات من أمثال هــذه الكلمات .

ورد هذه الالفاظ الى مصادرها يبين لنا الى أى حد بلغت مرونة العــامية وسماحتها .

الخربز

فكلمة « الخربز » في الفارسية : البطيـخ ، ولكنه يعد عربيا فصيحا ، لانه مما عرب واستعمله الفصحاء أو مما اتفقت فيه لغـة العرب ولغة الفرس ، وقد جاء لفظ الخربز في حديث عن أنس رضى الله عنه قال : « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يجمع بين الخربز والرطــب » .

السطل

و « الســطل » كلمة عربية كمـا ذكر ابن منظور في لسان العرب ، وزعم ابن دريد أنه أعجمى ، ولكن لا دليل عنده كما قيل ، ولعله عربى ولكن العامية حرفته فجعلت طاءه مكسورة وهى ساكنة ، والجمع في العربية والعامية : سطول ، ويجوز أن يكون معربا اذا صح قول ابن دريد .

صـمخ

واما « صمخ » فعربى فصيح ، ولكن معناه في العامية : الضرب بجمع الكف مبسوطة .

راز

و « راز » في العــامية معنــاه : حرك الشىء ليختبر ثقله ،

والرجل اختبره ليعلم ما عنده ، وفي الفصحى كذلك ، و « راوز » : اختبـــر •

الســمســار

وكلمة « السمسار » معربة ، وذكر أبو منصـــور الجواليقى صاحب كتاب « المعروب » أنهـا من المعرب ، ويقول الشيخ أحمـد محمد شاكر ـ رحمه الله ـ الذى تولى نشر كتاب الجواليقى ، انه لا دليل عنده وجاء في الحديث عن قيس ابن أبى غرزة : « كنا نسمى السماسرة فسمانا النبى صلى الله عليه وسلم بأحسن منه فقــال : يا معشر التجار » •

وقال أبو نصر :

فأصبحت ما أسـتطيع الــكلام

ســوى أن أراجــع ســمسارها

والسمسار في اللغة : القيم بالامر الحافظ له ، وفي البيـــع : اسم من يدخل بين البائع والمشترى متوسطا لامضاء البيع •

وفي اللغة الآرامية : سفسارا ومعناه : المساوم •

الاسطبل

و « الاصــطبل » كلمة لاتينية ، وقــال ابن دريد : ليس من كلام العرب ، ولعله مما تكلمت به العرب ، وأنشد أبو نخلة :

لولا أبـــو الفضــل ولــولا فضــله

لســـد بـــاب لا يســـنى قفـــله

ومــن صــلاح راشــد اصطبــله

وهو على أى حال من المعرب •

الهبرة

و « الهبرة » في العامية : القطعة من اللحم لا عظم فيها ، وهى عربية فصيحة لفظا ومعنى •

الميناء

و « ميناء » عربية فصيحة ، وجاء في اللسان : وهو مفعال ، من الونى والفتور ، لان الريح يقل فيه هبوبها » وهو مذكر .

الريال

أما « الريال » فدخيل من الاسبانية ، ومعناه : ملكى ، وفي العربية : الريال :اللعاب . ويقال للريال في لغة العرب : درهم ، قال الله تعالى : (وشروه بثمن بخمس دراهم معدودة) وفي الحديث الشريف : « تعس عبد الدرهم والدينار » أى عبد الريال والجنيه .

القرش

و « القرش » من الايطالية ، وقد أخذه الترك والمصريون ، ووفد الينا مع الوافدين فأخذناه منهم .

بطل

و « بطل » المستعملة في نجد هندية الاصل ، وقد أخذه الانكليز من الهند ، وهى القارورة ، وهى في عامية نجد بضم الباء واسكان اللام .

قنديل

واما « قنديل » فلاتينية ، ومعناها : الشمعة يستضاء بها ، ومادة قندل معربة ، وقنديل معربة .

لمبة

وكلمة « لمبة » يونانية كما يقول بعض علماء اللغات ، وأنا أرى أنها بنغالية ، لان كلمة لمبة ، في اليونانية معناها : لامع ، وفي البنغالية : ليمب ، بمعنى مصباح .

وجاك

و « وجاك » تركية كما قيل لى ، وعربيتها : موقد .

أقة ووقية

و « أقة » و « أوقيـة » كلتاهما يونانية ، ونطقهما فيهـــا Oghas للاقة و Oughia للاوقية ، وحكى اللحياني : وقية ، وقيـــل : وقيـــة عربيـــة ٠

أسطول

و « أسطول » يونانية ، وورد في الشعر العربى بعد العصر الاول ٠ قال على بن محمد الأمادى :

أعجـب بأســطول الامـام محمد
وبحسنـه وزمانـــه المســتغرب

اســكلة

و « اسكلة » ايطالية ، وعربيتها : الميناء ، أو المرفأ ٠

البدنجـــان

و « بادنجان » فارسية ، وينطق فيها بادنجان ٠ وقيل : انها عربية محرفة من بيض الجان وهذا تخريف ، وعربيتها : القهقب ، والمغـــد ، والحدج ٠

برتكان

و « برتكان » على لغة العامة أو « برتقال » عـلى لغة الكتاب ، وكلتا اللفظتـين غير عربية ، لان البرتقال فاكهة غـــير معروفة عند العرب ، وسميت برتقالا لان برتقاليا نقلها من الصين سنة ١٥٤٧ م فسميت بأسم بلاده « البرتغال » وعند ما انتقلت الينا قلبت الغين قافا عند الكتاب ، وقلبت القاف واللام كافا ونونا عند العامة ٠

زنجبـــــيل

و « زنجبيل » هندى الاصل ، ويقال : انه في جميـع اللغات باسم واحد ، وهو معرب ، وجاء في القرآن الكريم : (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) ٠

وجاء في شعر الاعشى يذكر طعم ريق جارية :

كـــان القرنفـــل والزنجبيـــــــ
ـــل باتـا بريقها وأريـا مشورا

ســقالة

أما « سقالة » فهى ايطالية ، وعربيتها : مَحالة (بكسر الميم).

الشاش

و « الشاش » منقولة من شش العبرانية ، ومعناها : نسيج رقيق من الكتان ثم من القطن .

شــنكل

وأما لفظ « شنكـــل » فهو فارسى تركى كما يقـــول الشيخ يوسف البستانى ، ويزعم أن أصله عند الفرس والترك : جنك . جنكل ، ومعناه عندهـــم : المخلب أو العقافة ، والعقـــافة : حديدة دقيقة يمد بها الشيء .

أما أنا فأخالف الشيخ يوســف وأعتقد أن العامية لم تأخذها من الفرس أو الترك وانما أخذت كلمة « شكل » العربية ، ومعناها شد قوائم الدابة بالشكال ، وزادت بعد الشـــين نونا وصـــيرتها شـــــــنكل .

الصابون

و « الصابون » لاتينية وبنغاليـــة وفي البنغـــالية : شبن ، وعربيتها الغاسول .

طرمبــة

و « طرمبة » ايطالية ، وعربيتها مضخة .

فرفور

و « فرفور » يونانية بمعنى الفراشـــة ، والعـــامة لاحظت في فرفور الخفة والسرعة وعدم الاستقرار ، والفراشة كذلك ، وأما في

العربية فالفرفور ـ بضم الفاء ـ الغلام الشاب ، والفرفر ـ بضم الفاءين ـ العصفور ، والعامية أخذتها من الفصحى ، فالغلام الشاب خفيف الحركة ، فاستعارته العامية لكل من كان خفيف الحركة ، وأنا أراها من الفصحى ، ولم نأخذها من اليونانية ٠

الفــرن

و « الفرن » لاتينية ، وقال ابن دريد في الجمهرة : الفرن شيء يختبز فيه ، ولا أحسبه عربيا ، ولفظه دخيل على لغتنا منذ قرون ، وفصيحها التنور ، والعامة تسمى نوعا من الخبز « تنورى » نسبة الى تنور ، وكاد ينقرض ٠

قادوس

و « قادوس » يقول بعض اللغويين : انها يونانية ، ومعناها : البرميل ٠ والبرميل نفسه ليس عربيا ، ولعله الخابية ٠

ولعل « القادوس » عربية ومعناها : وعـاء للماء ، وما يجعل من الحب في الرحى ليطحن ، وهو المعروف باللهوة ٠

طزلكة

و « طزلكة » تركية الاصل ، وأصلها طوزلق ، ومعناها ملاحة أو ما يتقى به الغبار ، ومعـنى الطزلكة في العاميـة : البهرج ، وهو مرادفها العربى ٠

دغرى

و « دغرى » تركية ، وأصلها طغرو ، ومعناها مستقيم ٠

ورشــة

و « ورشة » يونانية ٠

زنبيـــل

و « زنبيل » عاميـة محرفة من « الزنفليجة » وهـــو أعجمي

معرب قال الاصمعى : وفي الفارسية زين فالة ، وعاء • وقيل : زين بيلـــــة •
وبيله بالهندية : وعاء •
والزنفليجة قال عنها الاصمعى : سمعتها من الاعراب • وقال أبو حاتم : وسمعتها من أم الهيثم وغيرها ســهلا في كلامهم كــأنهم قلبوها الى كلامهم •
ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر : وأنا أرجح أن هذه الكلمة أى « الزنفليجة » هى التى حرفها العامة الى الزنبيل ، فعادوا بها الى قريب من لفظها الفارسى •

اشـــنان

و « اشنان » فارسى معرب ، ويسمى بالعربية : الحرض •

سقطرى

و « سقطرى » التى يوصف بها السم في كلام العامة فيقولون: السم السقطرى ، ومعربها سقطرى ، وهو النقاد الخبير ، وهى من الرومية التى تكلمت بها العرب ، وفي الرومية : سقنطار •
أما السقطرى التى يوصف بها العامة السم فيقولون : سم سقطرى ، فلعلها منسوبة الى الجزيرة المسماة سقطرة •

فصفص

و « فصفص » معربة من الفارســـية ، وأصلها « اسبست » وجمعها فصافص ، وورد في قول النابغة :
وقارفت وهى لم تجرب وباع لها
مـــن الفصافص بالنمى ســــفسير
والفصفصة : حب برى تـأكله البادية عام القحط بعـــد دقه وطبخه ، وهو غير الفصفص المعروف عند العامة •

زهـــم

وأما « زهم » بمعنى نادى ، فأصلها عربى ، ولكن في الفصحى معناه : أكثر الكلام •

تكرفس

معناه : تداخل بعض الرجل في بعض ، وفي الفصحى ، عن أبى دريد : تكرسف الرجل ، اذا تداخل بعضه في بعض .

وفي العامية كلمات عربية أصاب بعض حروفها التقديم والتأخير من جراء انتقالها الى العامية ومنها : تكرفس ، ويغلط بعض الاطفال فيقول : تكرسف ، وهذا هو الغلط الفصيح ، وحبذا استعمال العامة اياه .

البنك

بضم الباء فيقال : في بنك الحر ، وفي بنك الموسم ، ومعناه : في أشد الحر وخالصه ، وفي الفصحى ، عن ابن دريد : بنك الشيء خالصه .

فالعامية أخذت الكلمة من الفصحى لفظا ومعنى .

السروال

مفرد في العامية وجمعه سراويل ، وهو فارسى معرب ، واستعمل في الفصيح مذكرا ومؤنثا ، ولم يثبت الاصمعى وأبو حاتم الا التأنيث ، وعليه شعر الفرزدق وغيره ـ كما ذكر صاحب جامع التعريب ـ .

ولفظ سيبويه : « سراويل واحدة ، وهى أعجمية عربت فأشبهت من كلامهم ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ، فهى مصروفة في النكرة » .

ذكر قصد السبيل والصحاح وجامع التعريب قول سيبويه هذا وقد أخطأوا في نسبة جملة : « فهى مصروفة في النكرة » الى سيبويه ، اذ هى ليست من مقولاته ، وقال ابن برى : فهى مصروفة في النكرة ، ليس من كلام سيبويه .

ويذهب المتنبى مذهب سيبويه في اعتبار سروايل مفردا ، ولهذا جمعه على سراويلات وقال :

انى على شغفى بما في خمرهـــا

لأعـف عمـا في سراويلاتهـــا

وبعض النحويين لا يصرفها في النكرة ، ويزعم أنه جمع سروالة وسروالة وينشــد :

عليــه مــن اللــؤم سروالـة

فلــيس يــرق لمســتعطف

ويحتج في ترك الصرف بقول ابن مقبل يصف ثورا :

يمشى بهـا ذب الريـــاد كأنــه

فتى فـارسي في سراويـل رامـح

وفي الصحـــاح والرامــوز : السراويــل يـذكر ويؤنــث والجمع السراويلات •

وفي جامع التعريب : عن أبى الحسن أنه ســمع بعض العرب يقول : سروالة ، وحينئذ يصير جمـعا ، واذا كــان جمــعا فهو مؤنث لا غــير •

وزعم يعقوب : ان النون في سراوين بدل اللام ، كــذا في المخصص والمحكم لابن سيده ، والجمع : السراويلات •

وفي السروال لغات حكاها غير واحد ، وهى السروال فتحـا لأوله وكسرا ، والسراويل ، والسروالة ، والسروين كلها بالسين المهملة ، وشروالة بالمعجمة •

قال أبو حاتم : ان من العرب من يقول شروال بالشين المعجمة وهو فـارسي والشروالــة والسرويــل ، وليس في الكلام فعـويل ـ بالكسر ـ غيرهـــا •

وفي التهذيب ـ مخطوطة مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ٤٣ لغة ـ وفي النهاية لابن الاثير : في حــديث أبى هريرة أنه كره السراويل المخرفجة • قال أبو عبيد : قال الاموى ، يقال في تفسير الخرفجة في الحديث أنها التى تقع على ظهور القدمين •

فنش

يقال : فنش الرجل ، أى استرخى ونكس وجبن ، وهو عربى فصيح لفظا ومعنى • ففى التكملة ، قال أبو تراب : فنش الرجـل

تفنيشا ، اذا استرخى في الامر • وأنشد اللحيانى :

ان كنت غير صائدى ففنش

أى فاقعد • وقال أبو تراب : سمعت القيسيين يقولون : فنش الرجل عن الامر اذا خام عنه •

وخام عن الشيء : جبن ونكص ، قال عنترة :

اذ يتقون بى الاسنة لم أخم

عنها ولكن تضايق مقدمى

وأنا اذ أشير الى ما يستعمله العامة من الفصيح أريد أن أدفعه الى أقلام الخاصة حتى يستعملوه ، وأن أشعر العامة أنهم يتكلمون بالفاظ من فصيح العربية لولا أن بعضها مصاب بالتحريف الذى أرجو أن يتجنبوه •

العترى

بتحريك التاء ، في اللغة العامية : الزرع الذى لا يسقى الا بماء المطر ، وهو لفظ فصيح لولا التاء ، والفصيح : العثرى ـ بالثاء المثلثة ـ ولكنه عندما انتقل الى بيئة العامية انقلبت الثاء تاء ، والعامية في الحاضرة لا تنطق الثاء الا تاء أو سينا في بعض الاحيان • فالثوب ، والثلج ، والثلث ، ينطق : التوب ، والتلج ، والتلت • والاثمد وثبت ينطقان : الاسمد ، وسبت ، وتنطق العثرى في عامية البدو بالثاء كالفصحى •

جاء في تهذيب الصحاح للزنجانى ج ١ ص ٣٠٥ : العثرى بالتحريك : العذى وهو الزرع الذى لا يسقيه الا ماء المطر •

المسقوى

والقاف في عامية الحجاز تنطق كالجيم المصرية ، والمسقوى في اللغة العامية : الزرع الذى يسقى بالماء الجارى الظاهر ، واذ نطقت العامة القاف كنطق الفصيح فان الكلمة تؤدى في العامية والفصحى معنى واحدا •

جاء في تهذيب الصحاح ج ٣ ص ٩٩٣ : والمسقوى من الزرع : ما يسقى بالسيح ، والسيح : الماء الجارى الظاهر ٠

الفشـــار

ليس من كلام العرب كما ذكر القاموس ، وكان يطلق في عامية القرون الماضية على الهذيان ، أما في عصرنا هذا فيطلق على ما هـو أفظع من الكذب ، فالكذاب من يخبر بما يناقض الصدق على أن ما كذب فيه جائز الوقوع منه ، أما الفشار فهو من يكذب فيما لا يجوز أن يصنعه أو يقع منه ، ثم وصف به من كان كثير الكذب والاسراف فيـــه مع المبـــالغة ٠

القبانى

ميزان خاص توزن به « الكميات » الكبيرة ، وهو معروف ، وليس بعربى ، جاء في « جامع التعريب بالطريق القريب » تأليـف عبد الله الغدرى الشهير بالبيسى ـ مخطوطة مكتبة شيخ الاســلام عارف حكمة الله بالمدينة ٤٥ لغة ـ قـــال أبو حـــاتم : هو فارسى معرب ، ولو كان عربيا لكان اشتقاقه من القب والقبيب ، وهو ضرب من الصـــوت ٠

وقال الازهرى في تهذيبه الذى ما يزال مخطوطا حتى الآن : القبان الذى يوزن به لا أدرى أعربى هو أم معرب ٠

وفي هامش جامع التعريب : قبان ، أصله كفان مركب مـــن كـف وهو كفـة المـيزان ، وآن علامـــة التثنـية فقبـــان تعريب من تعريب مولد ٠

وقال أبو عبيدة : هو معرب قبان الذى يوزن به ٠

وكل هذا يثبت أن « قبان » فارسى معرب ، وهو مســـتعمل منذ ألف سنة لان الامام الازهرى ذكره في كتـــابه تهـذيب اللغة ، والازهرى توفي في القرن الثانى ٠

البربخ

فصيحة لفظا ومعنى ، ويظنها بعضهم عامية ، وهو خطأ ، قال الصاغانى في « التكملة والذيل والصلة » : البربخ أهمله الجوهرى

وقال الليث : البربخ منفذ الماء ومجراه .

الابعـد

في العامية : قال الأبعد كذا ، وهو من يذكر في غيبته بسوء تعيذ جليسك منه . وهو فصيح لغة ومعنى . وكذلك : البعيد .

جاء في اصلاح المنطق لابن السكيت : «كب الله الأبعد لوجهه» .

شملا كمـلا

هاتان كلمتان يستعملهما العامة ، أما الفصحاء فلا يستعملون ظنا منهم أنهما عاميتان ، مع أنهما من الفصحى ، وفيها : أعطاه المال كملا ، أى كاملا تاما ، وشملا مصدر من شمل بمعـنى عم ، أمـا « كملا » فليس بمصدر ولا نعت وانما هو كقولك أعطيته المال كله .

سك وصك

تنطق غالبا بالسين وقليلا بالصاد ، ويقال : صـك الباب ، أى أغلقه ، وهو فصيح لغة ومعنى ، وقلب الصاد سينا من خصائص الفصحى والعامية .

جاء في الراموز : صكه كرد : ضرب . والباب : أطبقه وأغلقه .

وفي تكملة الصغاني : صك الباب : أغلق (على مالم يسم فاعله) .

رز

معروف ، وهو حب يؤكل مسلوقا ، فارسى معرب .

قال الدينورى :وفيه لغـات : أرز ، بضم الالـف والزاى مشددة ، واختارها الاصمـعى وكره الفـتح ، لانـه ليس من أبنيـة الجمع ، وأرز ، بفتح الالف وتشديد الزاى ، وبعضهم : يضم الالف ويخفف الزاى ، وبعضهم : يحذف الالف ويضعف الزاى . وشر منها رنز ، وهى لغة عبـد القيس ، كرهوا التشـديد فأبـدلوا من الزاى الاولى نونا .

واختار عامتنا الرز بعد حذف الهمزة وتشديد الزاى .

صرقع

تؤدى في العامية معنى الصوت الشديد المسموع من صفع الخد والوجه وهو في الفصحى : الصوت ، قال الازهرى : سمعت لرجله صرقعة • وهى عند انتقالها الى العامية واستقرارها في بيئتها احتفظت بالمعنى الاصيل مضافا اليه الشدة في الصوت اثر صفع •

الفرقعة

في العامية : الصوت الشديد من انفجار ، وفي الفصحى : الفرقعة والصرقعة بمعنى • وفي اللسان ج ١٠ ص ١٢٢ : الفرقعة : الصوت بين شيئين يضربان •

وهذه مثل الصرقعة انتقلت الى العامية بمعناها فأضيف اليه ما يزيد فيه وهى لا تؤدى في الفصحى معنى الانفجار •

الحبحب

يسمى عامتنا البطيخ حبحبا ، جاء في التكملة ج ٥ ص ٤٨٨ : « البطيخ الشامى الذى يقال له : البطيخ الهندى ، لغة مصرية ، وأهل اليمن يسمونه الحبحب » •

الهتيكة

في العامية : الهتيكة ، الفضيحة وقد أخذ من الفصيح لفظا ومعنى ، وورد ذلك في لسان العرب ج ١٢ ص ٣٩٢ وتهذيب الصحاح ج ٢ ص ٦٢٣ •

وتستعمل عامة مصر كالحجاز الهتيكة بمعنى الفضيحة •

الدورق

معرب • وقال ابن سيده : هو مقدار لما يشرب • وقال الجوهرى : مكيال الشراب ، أراه فارسيا معربا ، ولفظ المطرزى : مكيال للشراب ، وهو أعجمى •

وفي ضياء الحلوم مختصر معجم شمس العلوم : الدورق ـ فوعل ـ بالفتح ـ مكيال الشراب ، وهو معرب ، وفي قصد السبيل : جرة ذات عروة •

وفي عاميتنا : جرة من فخار لتبريد الماء •

داق

داق الطعام • العامية في الحجاز ـ الحاضرة ـ لا تنطق الذال ، فهي تقلبها دالا غالبا وزايا قليلا ، فتقول في ذاب وذنب وهذا : داب ودنب وهدا ، وتقول في : ذنب ـ وهو الجرم ـ وذكى : زنب وزكى • وداق هي ذاق ، ولكن لم يخطىء العامة في جعل الذال دالا في هذه الكلمة ، فقد ورد في الفصحى •

جاء في التكملة ج ٨ ص ٧٧٨ : « قال أبو عمرو : الدوق ، الذوق يقال : دقت الطعام وذقته ،بالدال المهملة والذال المعجمة » •

دبل تدبيلا

يقول لاعبو « الكوتشينة » : دبل أى ضاعف بصيغة الماضي والامر واشتقوا كلمة دبل (وزن قفل) بمعنى مضاعف و « دبل » على وزن عرب و « دبلى » بضم الدال واسكان الباء وكسر اللام لمن كان ضخم الجثة كأنه اثنان في واحد •

ودبل تدبيلا في الفصحى • والتدبيل كما قال ابن الاعرابى : تعظيم اللقمة وازدرادها ، وثلاث كلمات متماثلة في الخط مختلفة في الشكل • والدبلة ـ بضم الدال ـ اللقمة الكبيرة •

وفي نهاية ابن الاثير : في حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه مر في الجاهلية على زنباع بن روح ـ وكان يعشر من مر به ـ ومعه ذهبة فجعلها في دبيل وألقمها شارفا له ، الدبيل من دبل اللقمة ـ بتخفيف الباء ـ ودبلها بتشديدها ، اذا جمعها وعظمها ، يريد عمر أنه جعل الذهب في عجين وألقمه ناقته •

ومن هذا يظهر لنا أن بين استعمال العامية والفصحى لمادة دبل نقاط التقاء •

الدبـــل

أصلها دبل ـ بفتح فسكون ـ ولما كان الوقوف على الحرف الاخير بالسكون فقد التقى ساكنان تخلص العامة بكسر الباء من التقاء الساكنين فصارت دبل ، بفتح فكسر • وهو في العامية : مجرى الماء الذى يكون مغطى ، ويكون بين حائطين قصيرين يجرى بينهما ماء العيون ، واستعير لمجارى المياه القذرة أيضا والجمع الدبول • ولا تطلق على الانابيب لانها ليست ذات حيطان •

والمعنى الاول الذى استعمل له في العامية مستعمل في الفصحى ، فقد جاء في حديث خيبر : دله الله على دبول كانوا يتروون منها أى جداول ماء واحدها دبل ، سميت به لانها تدبل ، أى تصلح وتعمر •

الكتاب والمكتب

مدرسة صغيرة يتعلم فيها الاطفال • وهو عربى فصيح •

جاء في المخصص لابن سيده ج ١٣ ص ٤ : « المكتب والكتاب : موضع تعلم الكتاب » •

والكتاب هو الخط ، ذكر الخليل : الخط هو الكتاب •

والعامة أخذوه من الفصحى لفظا ومعنى ، والكتاب على وزن تفاح •

الزلبيـــة

هى الزلابية ، وينطقها بعض العامة بالصيغة الثانية •

جاء في « الطراز المذهب في الدخيل المعرب » للعلامة محمد النهالى الحلبى ، مخطوطة مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ٨٣ لغة ـ ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطات بمكتبة شيخ الاسلام ـ : « الزلابية • مولدة » •

وفي محيط المحيط لبطرس البستانى ج ١ ص ٨٧٥ و ٨٧٦ : « الزلابية : عجين يمد على نحو طول شبر في عرض ثلاث أصابع ويقلى بالزيت ثم يعقد بالدبس • وهى بالفارسية زليبيا » • وفي

أقرب الموارد : الزلابية : حلواء معروفة • وفي القاموس : الزلابية حلواء ، وكذلك في التاج ، وفي البستانى نص ما في المحيط وزاد : « وهى على العربية » •

وفي شفاء الغليل : « قيل هى مولدة والصحيح أنها عربيـة لورودها في رجز قديم » ولم يذكر الرجز •

وفي قصد السبيل : حـلواء معروفـة ، ثـم ذكر مـا ذكره شـفاء الغليـل •

وأكثرت مـن الشـواهد ليظهر للقـارىء أن الزلابية المعروفة عندنا الآن ليسـت حلواء معـقودة بالدبس ، بل الزلابيـة المعروفة عجينة تدحى حتى ترق وتأخذ شكل دائرة يبلغ قطرها ٣٠ س أو أكثر ثم تقلى بالسمن أو الزيت •

أما الزلابية من الناحية اللغوية فعربيـة ، وقد ورد في رجز قديم لاحدى المجعات من الاعراب قالت :

ان هنى حزنبـل حزابيـه
اذا قعـدت فوقه نبـا بيـه
كالقدح المقلوب فوق الرابيـه
كـأن في داخلـه زلابيـه

ووردت هذه الابيات في التكملة والفائق للزمخشرى والتـاج وكثير من كتب اللغة الا أن بعضهم اختلف عن بعض في روايتـها فالفائق يروى « كالسكب المحمر » بدل كالقدح المقلوب • والسكب المحمر : شقائق النعمان •

الخشـاف

في قصد السبيل : معرب « خوش آب » أى كله جيد • أردؤه ما عمل من المشمش ، وأجوده ما أخذ من الزبيب الجيد • وما عمل من الخوخ يزيل العطش الخ •

وفي محيط المحيط بكسر الخاء ، وهو زبيب ونحوه ينقـع في الماء ثم يؤكل بمائه • مولدة •

والخشاف وفد الى هذه البلاد مع الوافدين من حجاج فارس ، وأخذنا منـــهم ومن غيرهم كـثيرا من الكلمات في المطعوم والمشروب والملبوس والمشـــموم ٠

الحـــارة

استعمال الحارة استعمال فصيح ، أما الحواير في جمع الحارة فخطأ كما يذكر قصد السبيل ، والحارة : المحـلة : لانهم يحورون اليها ، أى يرجعون ٠

الجـــابة

يقول العامة : ما سمعت جابته ، أى جوابـــه ، وهو فصيح لفظا ومعنى ، قال ابن ســـيده في المخصص ج ١٣ ص ٦ : عن ابن جنى : أجبته اجابة ، والاسم ، الجابة والمجوبة والجواب ٠

الـــديس

هو في العامية ثدى المرأة وليس بعربى ٠

قال الصغانى : أهل العراق يسمون الثدى : الديس ٠ وليس من كلام العرب ٠ وفي جامع التعريب ما ذكر الصغانى ، أما قصد السبيل فيقول : الديس : الثدى ٠ عراقية لا عربية ٠

مدغبـــج

أى ممتلىء شحما ولحما من النعمة والاكـــل ، وفي الفصحى كذلـك ، ففى التكملة : « هـم يدغبجـون أنفســـهم ، أى هـم في النعـــيم والاكـل » ٠

صمـــد

يقال : صمد رأسه ، أى لف رأسه بخرقة أو منديل ، ولا يقال ذلك في العمامة ٠

وهذا الاستعمال فصيح صحيـح جـــاء في التـكملة والذيل

والصلة : صمد رأسه تصميدا ، وذلك اذا لف رأسه بخرقة أو منديل أو ثوب ما خلا العمامة .

سمبوك

سفينة صغيرة يستعملها أهل موانىء الحجاز ، وفي « قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل » تأليف العلامة محمد الامين بن فضل الله المحبى ـ مخطوطة مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة ٩٨ لغة : « عبر به في الكشاف ، وقيل منه سمبك الدابة على التشبيه ، ولم نره في كلامهم قديما » .

وذكر السمبوك في كثير من الكتب التى عنيت بالمعربات والدخيل ، وما يزال مستعملا في الحجاز ، واسمه السمبوك ، بفتح السين .

وكنت أذعت ذات مرة أن السمبوك أصله السنبوق ، وقلت : لعله من السبق ووجدت في التكملة للصغانى ج ٧ ص ٦٨٦ ـ نسختنا المصورة من نسخة شيخ الاسلام بالمدينة ـ السنبوق ، بالضم ، الزورق الصغير ، وهو منقول من السبق .

وفي تعليقنا على تهذيب الصحاح للزنجانى ج ٢ ص ٦١٣ : ويفهم من كلام الصغانى أن اللفظ عربى وحرفت الكلمة عندما استعملتها العامية ، وما ذهب اليه الصغانى حق .

والسمبوك عامية ، أما ما ذكره الصغانى فعربى لانه من السبق ، ولعل الميم التى في السمبوك نون قلبت ميما ، ولما كانت ـ النون ـ ساكنة وجاء بعدها باء فقد قلبت ميما ، وكذلك في الفصحى ، ثم خففت الضمة واستحيلت في العامية فتحة . كما ان القاف بنطقها الفصيح ثقيلة على لسان العامة فصارت كالجيم المصرية ثم صارت كافا .

العال

يقول العامة عندنا : صوف عال ، وقماش عال ، ويقصدون به

أنــه جيــد ممـــتاز ، وفي بعض الاعلانات التى تنشر في الصحف : « السمن العال » وهو بمعنى العالى .

جاء في قصد السبيل : العال بمعنى العالى . قال في المعجم : هو مقصور من العالى ، وبه سمى موضع . ووقع في الشعر ، وظاهر كلامه أنه سمع منهم ، والمشهور أنه مولد .

قال الشاعر :

العـــال لا نرضى بـــــه والدون لا يرضى بنـا

وقال السيد محمد خليل المرادى مفتى دمشق الذى اطلع على قصد السبيل وعلق عليه بعض الحواشي : الظاهر أن « العال » من الاسماء المنقوصة التى حذفت لامها تخفيـــفا كابن العاص ، وكما في قوله سبحانه وتعالى : « جابوا الصخر بالواد » ونظائره كثيرة ، وهو جار على سنن الاستعمال العربية .

قــز

يقولون : قزت نفسى منه . وهو فصيح لغة ومعنى . ومعناه : عافته نفسى وكرهته . وفي المزهر للسيوطى : قزت نفسى عن الشىء قزا ، أبت . لغة يمانية .

الفوطـــة

أزار يعقد في وسط الانسان وينزل من السرة حتى العقبين ، وهو حرير أو قطن أو صوف . والفوطة عامية ، وفي وسعنا أن نطلق عليها : المنطقة ، بكسر الميم ، وهى شائعة بين الرجال والنساء في أندونيسيا والهند واليــمن والحجاز ، كمـــا أن النســاء العصريات يلبسن الفوطة القصيرة وهى « الجونلة » .

وفي جامع التعريب : « الفوطة ثوب قصير غليظ يكون مئزرا ، لغة سندية . وقيل : ثوب صوف والجمع فوط » .

وفي قصد السبيل : « الفوط ثياب تجلب من السند ، أو مآزر مخططة يتزر بها الحمالون . واحدته فوطة . لغة سندية . وهــو فوطة حمام ، اذا كان مؤجرا ، لانها كل وقت وسط انسان » .

أما في بعض البلدان العربية كمصر فتطلق الفوطة على المنشفة وهي منديل يتمسح بـــه •

السـكات

عند العامة : السكوت والسكات ، وهو فصيح لفظا ومعنى ، ويحسبه كثير من الكتاب من لحن العامة ولغتهم •

جـاء في جوامـع اصـلاح المنطق ص ٦٣ : سكت سكوتـا وسـكاتا وسـكتا •

عـوار

يقول العامة : القماش عوار ، وهو عيب • وأخذته العامية من الفصحى لفظا ومعنى • وفي جوامع اصلاح المنطق ص ٦٢ : العوار ـ بضم العين وفتحها ـ : عيـب في الثـوب • والعـوار : الخرق والشـق في الثـوب •

واستعمال القماش لما ينسج خطأ ، فهو في الفصحى : ما كان على وجه الارض من فتات الاشياء • (راجع تهذيب الصحاح ج ٣ ص ١٠٣٥ و ١٠٦٤) •

ويشترك مع عامة الحجاز في هذا الاستعمال أهل مصر وجزيرة العرب والعرب في هذه الايام •

صـلوح

يستعمل عندما يراد تكنية من كان اسمه صالحا فيقولون : أبو صلوح ، وصلوح فصيح لغـة ومعنى ، ففى المعـاجم الحديثة والقديمة وفي الجوامع : صلح صلاحا وصلوحا وصلاحية •

نقـز

تستعمل بمعنى وثب ، ولـه معـان أخرى تصدر من الوثب كنـاية أو مجـازا •

وفي الصحاح والمزهر : نقز الظبى ينقز نقزا ونقزانا : وثب •

أزّعْتِرّ

يستعملها العامة عند التحدى فيقول أحدهم للآخر : أزعتر ٠ وهو منحوت من كلمتين عربيتين فصيحتين هما : أزمع تر ٠ وهما للتحدى أيضا ٠

وفي العربية نحت كثير مثل : الحوقلة ، والبسملة ، من : لا حول ولا قوة الا بالله ، وبسم الله الرحمن الرحيم ٠

وعلى هذا فكلمة أزعتر منحوتة من : أزمع تر ٠

ماقدرش

يلحق اخواننا المصريون شينا بآخر بعض الافعال - في الماضى والمضارع - وقد دار بينى وبين الاديب المصرى عبد الرحمن صدقى حديث حولها ، وسأله أحد الحضور عن حقيقة الشين في مثل : ما اقدرش ، وما كلش ، وما كتبتش ٠ فأجاب : انه يظن الشين للنفى ، فقلت له : ان أداة النفى هى « ما » لا الشين ، أما الشين فجزء بقى من كلمة محذوفة وهى « شيء » فجملة ما اقدرش ، ماكلش ، ما كتبتش أصلها : ما أقدر شيئا ، وما آكل شيئا ، وما كتبت شيئا ٠

والعامة تحذف بعض حروف الكلمة أو بعض الكلمات رغبة في السهولة والوضوح ٠

الجغمة

تستعمل في العامية بمعنى الجرعة من الماء ٠

وفي تهذيب الصحاح ج ١ ص ١٩٥٨ : غمج الماء جرعه ٠ والغمجة : الجرعة ٠ والكلمة العامية فصيحة لولا انتقال الجيم من موضعها ٠

سم

تستعمل في عامية نجد ، فاذا نادى أحد أجاب المنادى : سم ، وهى مقطوعة من « سمعا » والعامة لا يعرفون ، والمجيب يريد أن

يقول : سمع ، بتسكين الميم والوقوف على العين بالساكن ٠ وعندما تسكن العين تنطبق الشفتان على الميم الساكنة فتختفى العين أو لا تستطيع أن تثب من مخرجها فتبقى صامتة لا تبين ، ثم استسهل الناس الوقوف على الميم واخفاء العين فقالوا : سم وهم يريدون : سمعا ٠

التشليح

التشليح : أخذ كل ما مع الانسان ، وهو عامى ، وقد استعمل منذ مئات السنين للمعنى الذى تستعمله العامة الآن ، ففى التكملة : التشليح : التعرية ٠ يقال : شلح فلان ـ بفتح اللام مع التشديد ـ اذا خرج عليه قطاع الطرق فسلبوه ثيابه وعروه ٠ وهى لغة أهل السواد والنبط ٠

العتلة

عصا ضخمة من حديد تستعمل للهدم وغيره ٠

وفي التهذيب للازهرى ـ نقلا عن مخطوطة مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة ـ قال أبو عبيد عن أبى عمرو : العتلة : بيرم النجار ٠ وقال الليث : كأنها حد فأس عريضة في أصلها خشبة يحفر بها الارض والحيطان ليست بمعقفة كالفأس ولكنها مستقيمة مع الخشبة ٠

وفي جامع التعريب : البيرم والبيارم ٠ قال كراع في المجرد : هى عتلة النجار ، كلمة أعجمية ٠ وقال ابن سيده : البيرم بالفارسية بتفخيم الباء ٠ وفي اللسان ، قيل : عتلة النجار خاصة ٠ والبيرم : العتلة ٠

وفي نسختنا الخطية من الراموز : العتلة : بيرم النجار ، والهراوة الكبيرة ، وحديدة كأنها رأس فاس ، أو العصا الضخمة من حديد يهدم بها الحائط ٠

وننتهى من هذا الى أن العتلة فصيحة ، واستعمال العامة لها صحيح ٠

فـرخ

تقال شتما للصـــغير والكبير ، كمـا أنهـــا تقال في موضع الاعجاب : فلان فرخ ، أى ذو دهاء ومكر .

وفي الاســـاس للزمخشرى أن العرب تقول : فلان فرخ مـن الفروخ ، ويريدون به ولد الزنى . وفي شفاء الغليل : الفرخ كناية عن اللقيط عند أهل المدينة .

فنجان وفنجال

الاول أعم ، والثانى قليل الاســتعمال ، والجـــمع فناجين وفناجيل ، فارسى معرب ، وأصله كما يذكر قصد السبيل والمغرب وشفاء الغليـل : فنجـانة ، معرب من بنـــكان ، وفنجـان خطأ . والجمع فناجين وفجاجين . وقيل فجاجين جمع فجانة ـ بكسر الفاء وتشديد الجيم ـ لغة في فنجانة ، أو جمع على غير الواحد . قاله أبو منصور وهذه لغة يمانية ولم ينصوا على أنها قديمة أو محدثة .

جلط وانجلط

جلطت الجلدة وانجلـطت : جرحت وكشـــطت ، وكذلـــك في الفصيـــح .

جاء في التكملة : جلط الجلد كشطه .

أما انجلط في الفصحى فلم أقف له الا على معان لا تتفق مـع المطاوعة لجلط بمعنى كشط ، ولكن العامية استعملته ، ولكن لـه أصـــلا في العربيـــة .

المجـــغ

في العامية : المجغ ، بكسر الميم والجـــيم ، وهو الرقيع الذى يستثقل قوله وعمله ، وفي الفصحى : المجع ، بفتح الميم وكسر الجيم وآخرها عين مهملة .

جبـــــد

بمعنى جبذ ، وجبذ مقلوب جذب ، وهـو وارد في الفصحى ،

وجبد هي جبذ ، الا أن العامية لا تنطق الذال الا دالا غالبا ٠

جاء في البخارى ج ٧ ص ٣٤ طبعة بولاق : « في حديث عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه اعرابى فجبذ بردائه جبذة شديدة ٠ قال أنس : فنظرت الى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد ، مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء ٠

فجبد فصيحة لولا أن الذال صارت دالا ٠

وصلى الله على خير خلقه محمد الذى يجذبه الاعرابى بردائه حتى ينطبع بصفحة عاتقة اثر تلك الشدة فلا يؤذيه أو يؤنبه ، بل يضحك له ويعطيه ٠ حقا ، ان محمدا عليه السلام لعلى خلق عظيم ، فأين نحن منه اليوم ؟

شراب

كلمة « شراب » من أصل فارسي ، وهو « الجورب » والجورب فارسية ، وفي الفارسية « كورب » وأصله « كوربا » أى قبر الرجل ، وعربت « جورب » ثم انتقلت الى العامية فصارت « شراب » على وزن تفاح ٠ قلبت الجيم في العامية شينا وشددت الراء ٠

قحص

في العامية : القحص هو الوثب مع القلق ، وفي العربية : القحز : الوثب والقلق ، وقلبت الزاى صادا في العامية ، وقلب الصاد زايا لغة عربية ، مثل صقر نقول فيه : زقر ٠ وفي النوادر لابى زيد ص ٢٥١ : قحز عن ظهر البعير يقحز قحوزا ، اذا سقط ، وكذلك في المعجمات ٠

الزناخة

الزناخة كناية عند الاطفال والصغار عن الخصم ، وفي الفصحى : السناخة : الوسخ ، وآثار الدباغ لتعفنه، والريح المنتنة٠

وقال أبو كبير الهذلي :

فدخلت بيتا غير بيت سناخة
وازدرت مزدار الكريم المفضل

وقلبت السين زايا في العامية، والخصم مكروه ، وهو كالوسخ، ولعل من سمى الخصم زناخة لاحظ ما في معنى « السناخة » .

وهـذه اللفظة قد ماتت ـ الآن ـ ولولا سؤال من قارىء ما ذكرتها بعد أن أغفلها الاطفال .

فـرام

عربية صحيحة ، و « فرام » شتيمة تقال في الجد والهزل والمزاح ، وفي الفصحى : الفرام : بائع الفرم ، كالعطار بائع العطر ، والفرم كما جاء في « لسان العرب » والصحاح وغيرهما : ما تعالج به المرأة قبلها ليضيق . يقال منه : استفرمت المرأة .

قال أمرؤ القيس :

يحملننا والاسل النواهلا
مستفرمات بالحصى حوافلا

ويريد الملك الضليل : ان من شدة جريها تدخل الحصى في فروجها ، فكأن الحصى لها كالفرم للمرأة .

وقال شاعر :

وجدتك فيها كأم الغلام
متى ما تجد فارما تفترم

والفرام مبالغة فارم ، والعامة لاحظت عندما استعملت هذا اللفظ للشتيمة والانتقاص أن بائع الفرم ـ وهو الفارم أو الفرام ـ مهين .

السيب

يريد العامة بالسيب : الممر الضيق للهواء في المنزل ، وهو في الفصحى : مجرى الماء .

والعامة نقلوه لفظا ووضعوا له معنى غير معناه في الفصيح .

زحلــــق

عربية صحيحة ، وأصلها الثلاثي : زلق وزحل • والزحلقة : الدحرجة • قال رؤبة :

لمــا رأيــت الشــر قــد تألقــا
وفتنــة ترمى بمــن تصعقــا
مــن خر في طحطاحهــا تزحلقــا

وهى في العامية والفصحى ذات معنى واحد •

الزمــــازمة

تطلق هذه الكلمة على الطائفة التى تتولى السقاية من ماء زمزم بالمسجد الحرام ، ولم أجد في المعجمات هذا الاطلاق ، والوارد لغويا: الزمازم ، جمع زمزمة • والزمزمة : كلام المجوس عند أكلهم بصوت خفى ، وفي حديث عمر رضى الله عنه كتب الى أحــد عماله في أمر المجوس : « وانههم عن الزمزمة » •

وفي اللسان ١٥ : ١٦٦ : الزمزمة : صوت الرعد •

والزمازم جمع زمزمــة ، وهو الصوت الذى لا يبين لتداخله كماقال العكبرى في شرح ديوان المتنبى ، وقال المتنبى :

خميس بشرق الارض والغرب زحفه
وفي أذن الجــوزاء منــه زمــازم

وفي « التكملة والذيــل والصــلة » للصغــانى ١٠ : ٧١٤ (مصورة مخطوطة مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة وهى بخزانة كتبنا) قول الشاعر :

همــاهم مــن خــابل زمــازم

وفي « تهذيب الصحــاح » للزنجــانى ٢ : ٧١٤ : والزمزمة: الجماعة من الجن كما تزعم العرب ، وزمازم النار : أصوات لهبها • قال أبو صخر الهذلى :

زمــازم فــوار من النــار شاصب

وليس في هــذه المادة اللغوية « زمازمة » بالاصطلاح المعروف

عندنا وهو جمع « زمزمى » في لغتنا العامية .

ولكلمة « الزمازمة » معنى لا يتفق مـع الاســلام ، فالزمازمة سدنة نار المجوس ، وفي كتاب « كليلة ودمنة » :

« قال برزويه رأس أطباء فارس وهو الذى تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمته من كتب الهند : ان أبى كان من المقاتلة ، وكانت أمى من عظماء بيوت الزمازمة » .

ولكن لا مانع في العربية أن يجمع الزمزمى ـ الذى يعـــمل في سقاية ماء زمزم ـ على زمازمة ، مثل عبقرى وعباقرة .

كلـــــفت

يقال في العامية : فلان كلفت العمل ، أى طواه وأداه بدون عناية واتقان وأمانة .

وعلمت أنها من أصل يونانى ، فهى في اليونانية « كليفتى » ومعناها : السرقة .

وبحث الدكتور زكى مبارك ـ رحمه الله وغفر له ـ في جريدة « البلاغ » التى كانت تصدر في القـــاهرة وكتب في العـدد ٩٢٠٠ الصـــادر في ٢٩ـ١٢ـ١٣٧٠ هـ (١ـ١٠ـ١٩٥١ م) ذاكرا ان « كلفت » العامية مأخوذة من اليونانية « كليفتى » .

ومن معانى « كلفت » في الانجـــليزية : التزييف ، والشق ، والفلق ، والثقب ، وفي الفرنسية : التزوير والتزييف .

★

★ ★

وليس ما ذكرته كل ما تحدثت فيه من أصول الكلمات العامية، بل هذا ما وجدته في محفوظاتى ، وقـــد نشر منـذ عشرين سنة في صحيفة « البلاد السعودية » .

فهـــرس الكتـــاب

صفحـة	الموضـوع
٣	الاهـــداء
٥	تقـــديم
٩	اللغة الانسانية
١٤	اللغة العربيـة
٢٠	الاهتمام بالعربيـة
٢٧	العامية أقدم من الفصحى
٣٤	العربى لا يعرف معنى كل كلمة
٤٠	في الجاهلية من يخطئون في العربية
٤٦	عوامل ضعف اللغة العربية
٥٣	عوامل ضعف اللغة العربية (٢)
٦٠	نشأة النحو العربى
٧٦	الوضع والتـــعريب
٨١	حـــق الوضـــع
٨٦	اللغـــة والعـــلوم
٨٩	الإلفـاظ كائنات حيـــة
٩٣	العربيـــة في خطر
٩٦	التصحيـــف
١٠٠	العامية والتسهيل والاعراب
١٠٧	المـدارس هى المســئولة
١١٢	لغـــة الدواوين
١١٥	خطـأ في قواعـد اللغـة
١٢٤	الخـــطأ اللغـوى
١٢٨	ليست فرعونية ولكنها عربية
١٣٣	دبـل وفنش

صفحة	الموضوع
١٣٧	يهرفون في اللغة
١٤١	يهرفون في اللغة (٢)
١٤٦	يهرفون في اللغة (٣)
١٥٢	مناقشة لغوية
١٥٥	الكلتور
١٥٧	دعاة العامية
١٦٠	العامية لغة الشعب
١٦٢	يسألون في اللغة
١٦٧	عصر العامية
١٦٩	لغة الوزارات
١٧١	اقتراح تأليف معجمين
١٧٤	بحاثات لغوية
١٨٩	ما يلحن فيه الكتاب
١٩٥	أصول بعض الكلمات العامية
٢٢٣	فهرس الكتاب



كتب المؤلف

أ ـ الكتب التى نفدت :

١ ـ كتـــابى
٢ ـ محمد بن عبد الوهاب (طبع مرتين)
٣ ـ أريد أن أرى الله (قصص)
٤ ـ الهوى والشباب (شعر)
٥ ـ صقر الجزيرة ٣ أجزاء
٦ ـ الخرج والشرائع
٧ ـ ســعود
٨ ـ المنصـــور
٩ ـ المقـــالات
١٠ ـ البيـــان
١١ ـ الهجرة (مسرحية قصيرة)
١٢ ـ المقـــدمة
١٣ ـ حرب الأكاذيب
١٤ ـ الزنابق (مسرحية مترجمة لطاغور)
١٥ ـ قطرة من يراع
١٦ ـ مقصورة ابن دريد
١٧ ـ الصحاح ومدارس المعجمات العربية
١٨ ـ الشيوعية والاسلام
١٩ ـ الفصحى والعامية
٢٠ ـ عشرون يوما في الصين

ب ـ الكتب المحققة التى نفدت :

٢١ ـ تهذيب الصحاح للزنجانى ٣ أجزاء (بالاشتراك مع عبد السلام هارون)
٢٢ ـ الصحاح للجوهرى ٧ أجزاء ، منها جزء المقدمة
٢٣ ـ ليس في كلام العرب لابن خالويه
٢٤ ـ مقدمة في تهذيب اللغة للأزهرى